
ناجي علوش
المسيرة
إلى
فلسطين

ناجي علوش

المسيرة إلى فلسطين

منشورات دار الطليعة - بيروت

الطبعة الأولى
ايلول ، ١٩٦٤

مدخل

كانت هزيمة سنة ١٩٤٨ نتيجة طبيعية لظروف عاشتها الأمة العربية ...

كانت الهزيمة من الضعف ... والتفكك ... والتخلف وسيطرة الاستعمار على بلادنا ، وستكون العودة من القوة... والوحدة ... والتقدم ... والتحرير .

ولقد بدأنا نسير على هذه الطريق ؛ فإلى أين وصلنا ؟ ما قوة اندفاعنا ؟ ما هي عوامل ضعفنا وقوتنا ؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عليه ، بعد ستة عشر عاماً من الهزيمة .

١٩٦٤/٧/١٥ — المؤلف

القسم الأول

وجهات نظر حول قضية فلسطين

مقدمة

هذه وجهات نظر عربية وأجنبية، عسكرية ومدنيـة ، تكشف جوانب من هزيمتنا، وعوامل ضعفنا وقوتنا...

نقدمها للقارىء العربي ، لعله يجد فيها ما يوضح الصورة التي ارتسمت في ذهنه عن هزيمة سنة ١٩٤٨ وعواملها .

كارثة فلسطين

لكتاب كارثة فلسطين أهمية خاصة ، ذلـــك أن مؤلفه عبدالله التل عاش قضية فلسطين ، عسكرياً يـــتردد على القدس ، وسياسياً يشترك في المفاوضات والمساومات التي أدت الى الهزيمة ... والكتاب يتعرض لحوادث عسكريـــة وسياسية هامة ، فيكشف عن أسرار خطرة ، لم يذكرها كتاب من قبل وتعتبر ذات أهمية خاصة بالنسبة لقضية فلسطين .

ففي الناحية العسكرية نجد دراسة واضحة لأسباب ضياع اللد والرمـــلة والمثلث والنقب .

وفي الناحية السياسية نجـــد كشفاً للملابسات التي أدت الى تسليم اجزاء من فلسطين العربية للصهاينة .

إلا أن السياسة تظل هي العامل الرئيسي فتنال الاهتمام الذي تستحقه .

الكارثة كما يقدمها التل ...

دخلت الجيوش العربية فلسطين، وهي واثقة من النصر ، متمتعة بثقةالشعب العربي في اقطاره كلها ، ولقد دخل من الاردن تسعة آلاف وخمسين مقاتلاً منهم الف ومائتا متطوع . تجمعت هذه القوات في الشونـــة في ١٩٤٨/٥/١٤ وبدأت مسيرتها في منتصف ليلة (١٤ — ١٥) فبلغت أهدافهـــا الأولى مع الصباح ، ولم تكن كتائب الجيش العربي مزودة بأمر حربي للعمليات ، اذ أن ما عرفته فقط كان الأمكنة التي تعسكر بها . ومنذ اللحظة الأولى بـــدا كل شيء واضحاً

للضباط . اذ أن « كلوب » اختار طريق جسر اللنبي – أريحا – الجفتلك – نابلس – بدل أن يختار طريق أريحا القدس ، وهي معبدة وقصيرة بينما الأولى طويلة وغير معبدة . وعندما اجتمع « كلوب » بقائد الفرقة وقادة الالوية والكتائب اخبرهم بأن أسباب اختيار هذه الطريق هي :

١ – موافقة الجامعة العربية على استثناء القدس من خطط الجيوش العربية .
٢ – وجود هدنة بين العرب واليهود في القدس ، يشرف عليها قناصل الدول الأجنبية .
٣ – الوضع السياسي للقدس واحتمال جعلها دولية مما يمنع الجيش العربي من الاقتراب منها .

وحسب الخطة المرسومة تقدمت القوات الاردنية ، واحتلت المنطقة الوسطى من فلسطين . وكان توزيعها عجيباً ، اذ أن اكثرها كان بعيداً عن خطوط النار ، فلم تخصص لمدينة القدس إلا كتيبة واحدة ، غير مكتملة العدد ، اذ أن سرية من سراياها ظلت في الغور ، بينما لم يكن فيها اكثر من خمسة عشر ضابطاً مع ان مرتب الكتيبة من الضباط سبعة وثلاثون ، أما مدينتا اللد والرملة – وهما في خط النار وعلى بعد خمسة عشر كيلومتراً من تل أبيب –فلم تخصص لهما إلا سرية واحدة .

وكان كل قادة الجيش من الانكليز ، ما عدا خمسة أشخاص هم القائمقام صدقي الجندي والقائد حابس المجالي ووكلاء القيادة عبدالحليم الساكت وعبدالله التل وعلي الحيارى .

أما أسلحة الجيش فكانت كما يلي : اثنتان وسبعون مدرعة ثقيلة ، واثنتان وخمسون مدرعة كشافة وأربعة وعشرون مدفعاً من عيار خمسة وعشرين رطلاً ، وثمانية وثلاثون مدفعاً من عيار ستة أرطال وأربعون مدفعاً من عيار ثلاث بوصات ، وتسعة وعشرون مدفعاً من عيار بوصتين. أما الأسلحة الخفيفة فكانت كما يلي :

رشاش برن	رشاش فيكرز	هوشكس	طومسون	بندقية
٣٣٤	٢٢	٣٥	٦٦٨	٧٣٥٩

وكان قـاده الكتائب المسلحة بالأسلحة الثقيلة من مدرعات ومدفعية من الانجليز ، أما الكتائب التي يقودها « عرب » فـذات سلاح خفيف ، وناقصة تجهيزاتها .

التزمت كتائب الجيش العربي مواقف دفاعية مـا عدا الكتيبة السادسة في القدس . ولم يكن بالطبع بامكان ٧١١ جندياً أن يحققوا المعجزات دون أن تسندهم أسلحة ثقيلة . وعلى الرغم من ذلـك فقد استطاعت هذه الكتيبة تطهير القدس القديمة من اليهود ، ورد الهجمات المتكررة التي كانوا يشنونها من أجـل الاستيلاء على ما تبقى بيد العرب منها . وكان عبدالله التل يتصل دائمـاً بالقيادة والقصر لتـأمين القوات الكافية لطرد اليهود من القدس ، ولكن الانـكليز لم يرق لهم ذلك فدبروا هجومين فاشلين لإضعاف ثقة الجنود بأنفسهم، وتحطيم حماستهم واندفاعهم . وكان أحد هذين الهجومين الهجوم الذي وضع خطته قائد الكتيبة الثالثة الانـكليزي (نيومان) .

كان قصد الهجوم احتلال منطقة بنـك باركلس ومنطقة باب العمود خارج السور وقد حددت الساعة الثالثة والنصف صباحاً من يوم ٤٨/٥/٢١ ، إلا أن هذا الهجوم كان مقصوداً منه الإخفاق ، للأسباب التالية :

أ — حددت للهجوم الساعة الثالثـة والنصف صباحاً ، وكانت نقطة البدء منعطف الشيخ جراح ، إلا أن الهجوم حقيقة لم يتم إلا بعد شروق الشمس ، لأن الجنود مشوا ثمانية كيلومترات من نقطة التجمع الى نقطة البدء، مع أن السيارات تركت في منطقة التجمع ، وكان ممكناً ان تصل الى نقطة البدء .

ب — لم يتجاوز عدد المهاجمين سريتين ، وترك الباقي احتياطياً مع أن هناك سرايا الكتيبة الخامسة المرابطة في الشيخ جراح ، والتي كان بالإمكان جعلهـا احتياطياً للهجوم .

ج — لم يطلب القائد مساندة المدفعيـة الثقيلة كما جاء في الأمر الحربي ، ولم

يطلب اشتراك المدرعات الثقيلة الموجودة في الهجوم .

د ـ عدم السماح لقادة السرايا والفئات بكشف الأهداف والمناطق المعينة لتقدم الجنود وعدم استعمال أدلاء من ابناء المنطقة لمرافقة الجنود الزاحفين .

وعلى الرغم من أن القوات وقعت في أتون النار عند بدء الهجوم ، فقد استطاعت سرية الميسرة أن تحتل هدفها وهو عمارة النوتردام ، إلا أن القائد الانكليزي لم يرق له ان يحقق جنوده انتصاراً جزئياً فأمر بالانسحاب متجاهلاً التضحيات التي قدمها جنوده .

وعلى الرغم من هذا الاخفاق فقد صمدت الكتيبة السادسة ، واستطاعت أن تفرض حصاراً محكماً على الأحياء اليهودية في القدس .

ولم تمض عشرة أيام على دخول الجيوش العربية لفلسطين حتى أخذت الاردن تظهر نواياها، ففي اجتماع اللجنة السياسية في عمان بتاريخ ٥/٢٥ أعربت الاردن عن عدم مقدرتها على الاستمرار في الحرب بسبب نقص في الذخائر والمعدات ، وهددت بالانسحاب من الجامعة العربية اذا رفضت دول الجامعة . فوافقت دول الجامعة على قبول الهدنة خوفاً من حدوث مشاكل .

ولقد أصدر كلوب قائد الجيش الاردني أوامره الخاصة بالهدنة في ٤٨/٦/١ ، أي قبل الاتفاق على الهدنة بعشرة أيام ، وكان أهم ما في الأمر أنه :

أولاً : يلزم قطعات الجيش بالتزام مواقعها .

ثانياً : جمع المتطوعين الاردنيين وإعادتهم الى الضفة الشرقية .

ثالثاً : منع الفلسطينيين من حمل السلاح إلا بترخيص .

ومرت الهدنة دون أن يفعل العرب شيئاً بينما استفاد منها اليهود في انقاذ الاحياء اليهودية المحاصرة من القدس ، وفي شراء الاسلحة اللازمة ، وتوحيد القوى ، وتدريب رجالهم .

وعندما انتهت الهدنة عاد القتال من جديد فسقطت مدينتا اللد والرملة والجيشان العربي والعراقي يتفرجان : ذلك ان اليهود هاجموا هذه المنطقة الحيوية وليس فيها الا سرية واحدة من الجيش العربي . ولقد تجمعت قوات هذه السرية

في قلعة البوليس وانسحبت في ٧/١٢ الى رام الله سالمة .

وكان قصد كلوب من تسليم الرملة ما يلي :

١ – توسيع المنطقة اليهودية ، لا سيما ان احتلال اليهود لمنطقة اللد والرملة يفيد اسرائيل من ناحيتين؛ الأولى : ابعاد الخطر العربي عن تل أبيب ، والثانية : فتح الطريق بين تل أبيب والقدس .

٢ – تحطيم ثقة العرب بقوتهم .

٣ – كشف ميمنة الجيش المصري .

وغير هذا التغيير، لم يحدث ما بعد الهدنة ، فالحكومة الاردنية لم ترد ان تطهر القدس الجديدة من اليهود ، ولم تحاول أن تدافع عن اللد والرملة او تحاول استرجاعها ... ولقد كان كل ما حدث نتيجة محادثات بين الملك عبدالله والصهاينة ، فالملك عبدالله يريد ان يوسع حدود مملكته ، واذا كان الصهاينة يسمحون له باغتصاب جزء من فلسطين فلماذا لا يتفاهم معهم .

وكانت مطامع الملك عبدالله ، تدفعه لأن يتآمر مع الصهاينة على فلسطين وابنائها والجيوش العربية التي دخلت لتحررها . وكان واضحاً للملك عبدالله ان آماله لا يمكن ان تتحقق الا اذا استطاع :

أولاً : أن يؤمن عدم تدخل الجيش العراقي في الحرب ، ولقد استطاع أن يفعل ذلك : فظل الجيش العراقي مجمداً حتى غادر فلسطين .

ثانياً – هزيمة جيش مصر .

ولقد فعل كل ما يستطيع من أجل ان يحقق هذين الغرضين فنجح ، ولما كان امر الجيش العراقي في يد البيت الهاشمي ببغداد، لم يصعب على الملك عبدالله شله اما جيش مصر فكان لا بد لإبعاده عن فلسطين ، من اعطاء الصهاينة الفرصة الكافية لضربه وذلك بتجميد فعالية الجيشين العربي والعراقي .

ولتحقيق ذلك لجأت الحكومة الاردنية الى ما يلي :

أولاً : تسليم منطقة اللد والرملة لكشف ميمنة الجيش المصري .

ثانياً : سحب الكتيبة الاردنية التي كانت مرابطة في النقب ، وفتح الطريق

امام الصهاينة ليحتلوا العقبة ، وكان من نتيجة ذلك أن عـزل الجيش المصري في منطقة الخليل ، وقام سور من القوات اليهودية بين مصر وبواقي الضفة الغربية .

اما الجيش العراقي فكان لا بد من اخراجه لتحقيق امنية الملك عبدالله بحكم المنطقة الباقية من فلسطين ، وعرف الصهاينة تطلع الملك عبدالله فطلبوا منه أن يتنازل عن المثلث مقابل اعترافهم بالوفد الاردني متكلماً باسم الجيش العراقي في مباحثات الهدنة برودس ، ولقد قبلت الحكومة الاردنية ذلك ...

وهكذا استطاع الصهاينة البقاء في القدس .

واحتلوا اللد والرملة .

وتوسعوا نحو الجنوب فاحتلوا العقبة من بعد احتلال النقب .

ولم تكن الحرب حرباً ، فالجيش العراقي لم يدخل الحرب ، والجيش الاردني لم يقاتل الا دفاعاً عن القدس القديمة .

لقد استطاع عبدالله التل ان يكشف عن تآمر حكام عمان على فلسطين ، وان يأتي بالادلة الدامغة ، والوثائق التي لا شك فيها ، ساعده في ذلـك وجوده قائداً للقوات المقاتلة في القدس ، وحاكماً عسكرياً فيها ، وصلته بالعرب مـن ضباط الجيش .

ولهذا يظل كتاب عبدالله التل غنياً وافر المادة اذا ما نظرنا اليـه من حيث كونه مذكرات .

ولكن الذي يقرأ هذه المذكرات يجد أن المؤلف دخل فلسطين وهـو يجهل أن الدول العربية عامة والاردن خاصة عندما دخلت معركة فلسطين لم تكن تملك امكانيات تحريرها .

ولقد قام عبدالله التل بواجبه جندياً في معركة الدفاع عن القدس ، ومواطناً في دعم المعارضة الناشئة ، ولكنه غاب عن المسرح في الوقت الذي اصبح فيـه قادراً على الإطاحة بالعرش الهاشمي .

ما كان منتظراً من التل

وعلى الرغم من أن مثل هذه المذكرات مفيد ، لأنه يكشف دور حكومـة

عربية في التآمر مع اليهود على فلسطين ، فلقد كان منتظراً من التـــل أن يقدم أكثر من المذكرات ، كان منتظراً منه أن يقدم دراسة وافية لأسباب الهزيمة في فلسطين من الناحيتين العسكرية والسياسية ، وتصلح مذكراتـــه — وهي نتاج تجربته — مرجعاً لهذه الدراسة .

ان كشف دور حكام عمان في الكارثة ضروري ، ولكن الاكـثر ضرورة منه الآن هو دراسة عوامل الهزيمة والنصر في معركة فلسطين ، وعلى الصعيـــد العربي ، لا القطري واذا كانت اية مبادرة جزئية ، مفيدة في هــذا المجال ، فان ما هو مطلوب لا يغني عنه شيء ...

المجاهدون في فلسطين

لقد تعرضت كتب كثيرة لهزيمة العرب في فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ولكن هذه الكتب ، كانت فيما قرأت ، تعالج القضية من ناحية سياسية عامة . أما الناحية العسكرية فقليلة هي الكتب التي تعرضت لها .

وقد حدث صدفة أن وقعت على كتاب يبحث قضية فلسطين من هذه الناحية . وعلى الرغم من أن الكتاب قديم – على ما أعتقد – فقد رأيت من الضروري مناقشته .

اسم الكتاب « المجاهدون في فلسطين » ، ألفه أحد قادة المجاهدين « محمد طارق الافريقي » ، الذي قاد قطاعاً من المجاهدين في منطقة غزة ، ثم قطاعاً من المجاهدين في مدينة القدس . والكتاب أشبه ما يكون بالمذكرات ، وقيمته تنبع من كونه يمثل وجهة نظر أحد المجاهدين ، في حرب سنة ١٩٤٨ مع الصهاينة ، وفي اسباب الهزيمة التي تبعتها .

والكتاب صغير الحجم ، صادر عن دار اليقظة العربية بدمشق ، ولا يوجد عليه تاريخ السنة التي صدر فيها . ويبدو أنه مكتوب بسرعة ، فهو ليس واسعاً ولا منظماً ولا يعتمد الاسلوب الأدبي .

تحدث المؤلف في كتابه عن :

١ – تاريخ الحركة الصهيونية .

٢ – قوى المجاهدين وأنواعها .

٣ – المعارك التي قادها أو أشرف عليها .

٤ – اسباب الهزيمة .

٥ – اقتراحاته وملاحظاته .

ولكن الحديث عن هذه الامور جاء موجزاً غير مكتمل ، ويهمنا من هـذه الامور حديثه عن قوات المجاهدين ، كما تهمنا اقتراحاته وملاحظاته .

قوى المجاهدين

تكونت قوات المجاهدين باشراف الهيئة العربية العليا . وقد قسمت فلسطين الى مناطق ، يشرف على كل منها قائد ، ويخضع هؤلاء القـادة لقيادة الشهيد « عبد القادر الحسيني » في القدس .

وتتألف قوات المجـاهدين من عشرة آلاف جندي نظامي ، وحوالي خمسة عشر الفاً من المتطوعين الذين يعتمدون جزئياً على امـدادات الهيئة العربية ، وضعف هذا العدد من المتطوعين الذين يعتمدون على أنفسهم .

وكانت امدادات الهيئة العربية العليا لهذه القوات كما يلي :

مقدار السلاح	نوعه	الذخيرة	لوازم
٥٣٩٦	بندقية	٦٬١٠٢٬٢١٦	٣٤١١ بدلة
٤٩٩	مدفع رشاش	٢٦٧٬١١٨	٣٧٦٧ حذاء
٣٦٤	تومي	٥٦٦٬٢٥٧	٢٠٢٤ بطانية
٣٠٩	مسدس	٤٬٢٤٢	
١٢٤	مدفع بويز ضد المصفحات	٧٬٤٤٥	
٦٦	مدفع ضد الدبابات	٦٠٬٠٩٩	
٢٣	مدفع هاون	١٢٬٤٨٣	
١٦٠٩	صندوق متفجرات		
٤٦٬٧٤٠	قنبلة		
٣٨٦٧	لغم جاهز		
٣٠٧٣٣	كبسول للقنابل		

٤٩٠٠٠ كبسول للبنادق
٣٢ كيس بارود

وكانت هذه القوات دائماً تفتقر للذخيرة ، والحاجات الضرورية ، وكانت الرواتب تصرف لها حسب الامكانيات . وعلى الرغم من ذلك فانها كانت في بداية الحرب تسيطر على أرض فلسطين .

دخول الجيوش النظامية

اتخذت الجامعة العربية في اجتماعها المنعقد بعاليه سنة ١٩٤٧ القرارات التالية :

١ – وضع عرب فلسطين في وضع مماثل لليهود من حيث التدريب والتنظيم والتسلح .

٢ – الاستعانة بالمتطوعين .

٣ – مرابطة الجيوش العربية على الحدود ودخول بعض وحداتها الفنية لمساعدة المجاهدين عند الحاجة .

ولقد بدىء بتنفيذ هذه الخطة ، وذهب حوالي الف من عرب فلسطين ليدربوا في معسكر قطنا بالشام ، الا ان الحكومة البريطانية اعترضت على تدريبهم ، على اساس انها ما زالت دولة منتدبة ، وان العمل غير ودي .

وكان هذا (أي تنفيذ الخطة) هو ما يرضي المجاهدين . الا ان الحكومات العربية اتخذت قراراً آخر فيما بعد ، يقضي بدخول فلسطين في الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ أي في اليوم الذي ينتهي فيه الانتداب البريطاني .

ولقد تمكنت الجيوش العربية من احتلال القسم الأكبر من فلسطين خلال ايام إلا أن الهدنة الاولى اضاعت الفرصة . وبدخول الجيوش العربية اصبح دور المجاهدين ثانوياً .

وبما ان الكاتب حرص على « ألا يطرق باب المعارك النظامية » فإنني لن اطرق بابها .

اقتراحات الكاتب وملاحظاته

على الرغم من ان الاقتراحات والملاحظات قليلة ، الا ان كثيراً منها غير هام ، وسنعرض هنا اقتراحين هامين :

الأول – قدمه الكاتب للجهات المختصة في الدول العربية ، يطالب فيه بأن يكون دخول الجيوش العربية الى فلسطين كما يلي :

١ – الجيش المصري ويرمي بثقله في الجنوب .

٢ – الجيش الأردني ويرمي بثقله في الوسط وتكون تل أبيب هدفه .

٣ – الجيش العراقي ويرمي بثقله في الوسط وتكون وجهته حيفا .

٤ – الجيش السوري ويرمي بثقله في الشمال ويكون اتجاهه الناصرة .

على ان تكون المعركة سريعة ، وينقض الجيشان الأردني والعراقي بسرعة على أهدافهما .

الثاني – وقد ورد على شكل ملاحظة في آخر الكتاب ، ويقترح فيه ان تكون غزة مع اليهود ، شريطة ان تبقى بئر السبع مع العرب حتى يتم الاتصال بين مصر والاردن ، وتحرم اسرائيل من ميناء على العقبة .

ولا شك ان ان في الاقتراحين بعد نظر. فلو عمل بالأول لما قامت اسرائيل، ولو عمل بالثاني لما عزلت مصر عن اطول خطوط النار بين العرب واليهود ، ولما كان بالامكان اقامة ميناء « ايلات » في العقبة .

ملاحظات

الا ان الكتاب كله لا يتسم بمثل هذا الوضوح فهو :

أولاً – لم يبحث امكانيات العرب من حيث مقدرتهم على مجابهة اسرائيل ، ومن ورائها الاستعمار والصهيونية العالمية . وهذه الناحية سياسية ، الا انها تهم العسكري أكثر مما تهم السياسي ، فلا بد للعسكري من ان يعرف بالضبط قوة الجهة المعادية .

ثانياً – لم يبحث اوضاع المجاهدين ، ولم يشر ولو اشارة عابرة ، الى ما كانوا

يعانونه من نقص في السلاح والغذاء ، والخبرات الفنية . ولم يتحدث عن عجز قيادات المجاهدين عن تنظيم جيش شعبي قوي ، يزيد عن مائة الف رجل . ولقد كان ذلك ممكناً بسبب الاستعداد الشعبي ، لو ان القيادات كانت واعية وحازمة .

ثالثاً – اغفل الكاتب ما نتج عن نقص التنظيم من تبذير للجهد والذخيرة ، وكان يجب عليه ، وهو العسكري ان يهتم بهذه الناحية .

رابعاً – لم يناقش ما ترتب على دخول الجيوش العربية ، وكل ما قاله في هذا المجال – « كان يجب على قيادة الجيوش العربية العليا ان تدخل جيوشها النظامية الى فلسطين ، بصورة اكثر ترتيباً وتحشيداً ، مما كانت عليه ، وان تقسم جموعها وجبهاتها حسب وضع فلسطين الجغرافي ، واهمية اهدافها الاستراتيجية ، وتدير الاعمال العسكرية على وجه اقوم مما فعلت »، وليس هذا بالطبع كل ما يجب ان يقال في هذا المجال ، الا انه ينسجم مع هدف المؤلف في عدم التعرض لكثير من الاسرار التي اصبحت معروفة . ولقد قال في المقدمة : « ولما كان ليس بالامكان في الوقت الحاضر ، المجاهرة ببعض الحقائق عن المعارك النظامية للجيوش العربية ، او ببعض حقائق الحوادث ، رأيت من المناسب ان اكتفي بالتلميح بما يغني عن التصريح فيما سجلته في هذه المذكرات » . ولكنه لم يأت بشيء تلميحاً ، او تصريحاً .

ويذكر المؤلف انه استقال من منصبه في ٢١/١٠/١٩٤٨ لأسباب صحية ، مع ان الاسباب سياسية وتتعلق مباشرة بتصفية قوات المجاهدين ..

لقد كان المؤلف شجاعاً في الحرب ، وقد اعترف له الذين يعرفونه ، ولكنه لم يملك الشجاعة الادبية التي تجعله قادراً على ان يقول ما يجب ان يقوله عن قضية فلسطين .. وكتابه وجهة نظر ، ان دلت على شيء ، فانما تدل على عجز قادة المجاهدين عن ايضاح اسباب الهزيمة في قضية فلسطين .

صهيونية مناحيم بيجن

لا نخطىء أبداً اذا اعتبرنا ميناحيم بيجن ممثلاً للتصور الصهيوني على المستويين السياسي والعسكري . ويعتمد هذا التصور على الاعتقاد من ناحية سياسية على ان حل مسألة اليهود لا يكون إلا بالعودة الى أرض الميعاد . أرض « اسرائيل » التي تتعدى حدود فلسطين الحالية . أما من الناحية العسكرية فينطلق هذا التصور من الاعتقاد بان العودة لا تتم بالا بالقوة .

ميناحيم بيجن والعودة

كان ميناحيم بيجن احد اليهود البولنديين العاملين من أجل « العودة » . يقول عن نفسه : « وكنت اعمل مع رفاقي لتثقيف الجيل الطالع بحيث نجعله مستعداً ليس فقط ليشتغل في بناء الدولة اليهودية بل ايضاً للقتال والتضحية والموت من اجلها »[1] .

ويبدو انه كان فعالاً نشيطاً فأصبح رئيساً لفرع منظمة « البيثار »[2] في بولندا؛والقت به الحرب العالمية الثانية بعدئذ في فلسطين .

وكانت العودة حلماً من أحلام طفولته فقد علمه والده ان اليهود يجب ان يعودوا الى أرض اسرائيل. وهو يروي ان الالمان قتلوا والده وهو ينشد النشيد

---

١ – كتاب الثورة صفحة (١٦) ترجمة سمير صنبر ٢ – صفحة ١٥ اصدار دار النشر للجامعيين .

٢ – منظمة للشبيبة اليهودية .

اليهودي ... « الهاتكفا » .

وتعني أرض اسرائيل بالنسبة لميناحيم بيجن مـا عنته بالنسبة لوالده ... فلسطين وشرق الاردن [1] .

الثورة في سبيل العودة

ويرى بيجن « ان العالم لا يشفق على المذبوحين ، انه يحترم الذين يحاربون فقط .. وهـذه هي الحقيقة » .. وكان على اليهود بالطبع ان يكافحوا لكي يحترمهم العالم ، ولهذا اعتبر بيجن ان الكفاح هو الحياة « نحن نكافح اذن فنحن نحيا » .

وأخذ الكفاح تعبيره العملي في منظمة « الارغون » السرية وتتكون هـذه المنظمة من :

١ – جيش الثورة . ٢ – وحدات الصاعقة . ٣ – قوة الدعاية الثورية . وتؤمن بالطاعة والنظام وتقاوم التبجح والفضول . وجعلت هذه المنظمة هدفهـا تحرير أرض اسرائيل كلها بالقوة .

وبدأت عملياتها الإرهابية ضد الاستعمار البريطاني لأنها كانت تعتبره العقبة في تحقيق أهدافها، وكانت تقوم بعملياتها قاصدة تلطيخ هيبة الحكومة البريطانية . . ومن أعمالها الناجحة نسف فندق الملك داود ومهاجمة سجن عكا . ولمـا كانت تعتبر المعركة معركة حياة أو موت ، فقـد الغت من الحسبان وجود أخلاق أو مثل عليـا ، « ففي مثل هذه الحالات – على رأي بيجن – لا وجود للأخلاق والمثل العليا » . وانحصر عمل المنظمة في الأهداف التالية :

أ – الحصول على الأسلحة عن طريق مهاجمـة معسكرات الجيش البريطاني وشرائها من الخارج .

ب – تلطيخ هيبة الحكومة البريطانية .

ج – إيصال أكبر عدد ممكن من المهاجرين الى فلسطين بكل الوسائل .

---

١ – المصدر السابق .

وقامت المنظمة بعمليات كثيرة نجح الكثير منها... وكانت تتحالف أحياناً مع « الهجاناه » وأحياناً تختلف معها . ويمكن تلخيص أسباب الخلاف فيما يلي :

أولاً : كانت الارغون تريد إعلان دولة يهودية منذ سنة ١٩٤٥ ، وإنشاء مجلس وطني .. الخ وإعلان ذلك. ولم تكن الهاجاناه ترفض ذلك رفضاً قاطعاً بل كانت ترى ان الوقت لم يحن بعد لإعلانه .

ثانياً : كانت الهاجاناه تابعة للوكالة اليهودية والوكالة علنية وتريد ان تحتفظ بعلنيتها وبوجودها القانوني، بينما كانت الارغون سرية ولا يهمها ان تكون علنية. وقد اشتركت الهاجاناه والارغون في عمل موحد دام تسعة اشهر من تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ الى تموز ١٩٤٦ . وكانت الارغون تنال موافقة الهاجاناه على خطتها ثم تنفذها . وعند الافتراق بينهما استمرت الارغون في اعمالها الثورية العصابية حتى عادت فاجتمعت بالهاجاناه سنة ١٩٤٧ . ولم يحصل اندماج كامل بينهما ، بل ظلت وحدات الارغون مستقلة تعمل حسب خططها ولكن بعد ان تنال موافقة الهاجاناه كما حدث سابقاً .

ومن أعمال الارجون الارهابية الشهيرة مجزرة دير ياسين ... التي استنكرتها الهاجاناه بعد ان كانت موافقة عليها . وكان أثر مجزرة دير ياسين كبيراً ... فقد دب الرعب في القرى العربية فسقطت بعد دير ياسين بيت اكسا وكالونيا «وبسقوطها واحتلال القسطل استطاعت القوات اليهودية ان تحافظ على الطريق الى القدس »[1] .

إن « ميناحيم بيجن » يكشف في مذكراته عن وقائع عديدة هامة ونستطيع أن نوجز هذه الوقائع فيما يلي :

أولاً : دور « الارغون » في حملة الارهاب ضد الانجليز وضد العرب .

ثانياً : علاقة الارغون بالهاجاناه واتخاذ الهاجاناه موقفاً مزدوجاً من أعمال الارغون ؛ فالهاجاناه راضية عن أعمال الارغون ما دامت عامل ضغط على الاستعمار البريطاني وهي تدعمها وتسندها، ولكن الهاجاناه تستنكر اعمال

---

١ - صفحة ٦٨ .

الارغون عندما يكون هذا الاستنكار ضرورياً لكسب تأييد السلطات البريطانية . لقد ايدت الهاجاناه قيام الارغون بمجزرة دير ياسين ، ثم استنكرتها كسباً للرأي العام العالمي .

ثالثاً : علاقة حكومة حزب العمال بالصهيونية . فميناحيم بيجن الذي يتهم حكومة حزب العمال بالتحيز للعرب يقول: « وقد وعد مستر اتلي ايضاً بترحيل جميع سكان فلسطين العرب ، وفي الفترة التي سبقت الحرب الرسمية سنة ١٩٤٨ كانت السلطات البريطانية هي التي شجعت السكان ودفعتهم للهرب على ان يعودوا منتصرين . ولذلك نستطيع أن نقول انهم نفذوا جزءاً من قرارهم وكان علينا نحن أن ننفذ الباقي » فكيف تكون حكومة حزب العمال متحيزة للعرب ..؟

رابعاً : علاقة لجنة الامم المتحدة بالصهيونية [١]. يروي بيجن ان عدداً من اعضاء اللجنة اجتمع به سراً ، منهم الدكتور « رالف بانش » و « جرينادوس » ممثل غواتيمالا ، وفيريكان من اورغواي . ويذكر بيجن ان الدكتور بنش قال له : « انني استطيع ان افهمكم فأنا ايضاً من فئة مضطهدة » كما يذكر ان جرينادوس وفيريكان أبديا تأييدهما للمخطط الصهيوني .

أما « هو » مندوب الصين فقد ودع بيجن قائلاً : « الى اللقاء في فلسطين المستقلة » .

خامساً : استهتار الصهيونية بالعرب : فبيجن يدعي انه لم يكن سنة ١٩٤٧ يحسب للعرب حساباً ، ويروي ان رئيس اللجنة الدولية ساند ستورم سأله عما سيفعله اليهود اذا هاجمهم العرب فقال : « ان العرب لن يهاجمونا الا اذا دفعهم وساعدهم فريق ثالث » ، ثم « انهم اذا حاولوا مهاجمتنا فاننا سنحطمهم ففي هذا العصر لا يقرر العدد الكبير نتيجة الحروب إنما العقول المدبرة والنفسيات هي التي تقررها » .

---

١ – ارسلت الامم المتحدة هذه اللجنة للتحقيق في النزاع العربي اليهودي في نيسان « ابريل » سنة ١٩٤٧ .

ويردد بيجن بالطبع مــا تردده الصهيونية عادة عن « اسرائيل » فهي ارض منحها الله لليهود وهذه الارض وحدة لا تتجزأ . يقول : « ان بلادنا المعطاة لنا من الله هي وحدة لا تتجزأ ، وكل محاولة لتجزئة اسرائيل ليست جريمة فحسب بل هي كفر وخيانة . ان الذي لا يعترف بحقنا في بلادنا كاملة ليس منا ، وليس له الحق أن يعيش في الجزء الذي نحكمه الآن . اننا لن نتنازل عن حقنا الطبيعي هذا، بل سنظل نعمل باستمرار في سبيل وحدة اسرائيل واستقلالها الكامل »[1].

وعلى هذا الأساس يرفض التقسيم ويعتبر انه عمل غير قانوني ، كما انــه يعتبر ان السلام لن يحل اذا لم يتم تحرير مدينة القدس .

إن آراء ميناحيم بيجن هي آراء الصهيونية عامة وهي معروفة للجميع ، اما دور منظمة الأرغون في معركة الصهيونية من أجــل اقامة اسرائيل فهو دور باهر ، إذ ان منظمتهم جسدت الدعوة الصهيونية تجسيداً مسلحاً . ومــا كنا نعتبره اجراماً وغدراً كانوا يعتبرونه بطولة ورجولة. واذا كانت تجربة الأرغون تدل على شيء فهي تدل على مدى فعالية « المنظمات الثورية » وقدرتها على تحقيق اهدافها .

ويلاحظ قارىء المذكرات ان المؤلف يظهر منظمته من خلال شخصه بدل ان يظهر شخصه من خلال منظمته . وتبدو قصة الصهيونية الغازية كقصة اللص الذي عرف ان أصحاب البيت نيام فقرر اقتحامه ، ولكنه بعد ان دخل البيت قرر البقاء وكأنه لا يتوقع ان النائم سيصحو .

ان الصهيونية عرفت ضعف العرب وتفككهم وتبعيــة حكامهم للاستعمار فاستغلت كل ذلك وحققت انتصارها في فلسطين .. ولكنها ارتكبت خطيئتها الكبرى عندما ظنت ان الظروف التي مرت بالعرب ستظل ثابتة .

ولقد حدث من التطور بعد سنة ١٩٤٨ مــا جعلها تشعر بخطيئتها . ان الصهيونية قد ألقت نفسها في الأتون الذي اثارته .

---

١ — صفحة ٢٢٢ .

مذكرات الكولونيل مينرتساجن

بالرغم من صدور عدد من الكتب التي تبحث قضية فلسطين ، فإن هذا الكتاب يمتاز عنها جميعاً ، بأن مؤلفه شارك مشاركة فعالة في وضع أسس الدولة اليهودية .. وهو في هذه اليوميات يتحدث عن علاقته الخاصة بدولة اسرائيل والدور الذي قام به في بنائها ، وعن مشاعره المتعصبة للصهيونية التي رافقت ولادة الفكرة الصهيونية ونشأتها وتحققها .

ولأول مرة نجد من يعترف بصراحة ... من يعفي العرب من مهمة البحث عن الأدلة والبراهين لإثبات مسئولية الانتداب والادارة البريطانية في خلق دولة اسرائيل .

من هو مينر تسهاجن ؟

مينر تسهاجن ضابط بريطاني ولد في أوائل العقد الثامن من القرن التاسع عشر ، وقد خدم تحت العلم البريطاني فترة من الزمن في افريقيا ، وهناك بدأت علاقته الجدية بفكرة إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين . فخلال مدة اقامته في اوغندا طرح مشروع اقامة دولة يهودية هناك . ويشير المؤلف الى هذه الناحية فيذكر ان المشروع بدأ سنة ١٩٠٢ بضغط من جوزيف شمبرلين ، الذي أيد اقتراح السيد ألبرت حاكم أوغندا البريطاني ويمنح هذا المشروع لليهود مساحة خمسة آلاف ميل مربع وحكم ذاتي وحاكم يهودي . وقد وافق المؤتمر الصهيوني

سنة ١٩٠٣ على هذا المشروع وأرسل لجنــة فنية لدراسته . ووصلت اللجنة في نوفمبر سنة ١٩٠٤ وقررت بعد زيارة المنطقة المخصصة ، وهي سهل آسين جيش (Aasin Gushi Plateau) انهـا غير صالحة بسبب وجود الأفيال والاسود ومحاربي ماسيا. ولكن المؤلف لم يكن راضياً عن هذا المشروع ، لأنه يعتقد ان فلسطين هي وطن اليهود . وكان يتمنى ان يرفضه اليهود .

وفي الحرب العالمية الأولى عين في هيئة أركان حرب الجـنرال اللنبي وخلال هذه المدة بدأت علاقاته الخطرة مع الصهيونيين. اذ انه ترأس مباحث الميدان وكان تحت امرته خمسة عشر يهودياً برئاسة هارون آرونشون (AaronAaronchon) وهو يذكر أن علاقته بالصهيونية بدأت في كانون الأول سنة ١٩١٧ .

وفي سنة ١٩١٩ كان عضواً في مؤتمر الصلح وهناك التقى بوايزمن وكرس كل جهوده لخدمة الصهيونية . ولقد بذل كل ما يستطيع ليحقق فكرة الانتداب على فلسطين واختيار بريطانيا دولة منتدبة . وكانت هذه أهداف الصهيونيـــة التي حددها وايزمن للمؤلف في ٣٠ – ١ – ١٩١٩ ، عندما التقيا على عشاء .

وعين بعـد « المؤتمر » المسئول السياسي (Chief Political Officer) في فلسطين فأخذ يجول في أرجائها ، داعياً لانشاء الدولة اليهودية ، مما أزعج اللنبي على ما يقول المؤلف. وكان مينر تسهاجن يعتقد أن الادارة العسكرية في فلسطين المرتبطة بقيادة اللنبي في مصر معادية لليهود لذلك فقـــد أخذ يعمل من أجل أربعة أهداف :

أولاً – فصل فلسطين عن قيادة اللنبي ، والحاقها بوزارة الخارجية ، بـدل وزارة الحربية وقد نجح في ذلك فيما بعد .

ثانياً – فصل العناصر المعادية لليهود في الادارة او التي تقف موقفاً سلبياً من فكرة انشاء دولة يهودية .

ثالثاً – تحديد حدود لفلسطين قائمة على أساس كفاية اقتصاديـــة وأرضية لدولة قوية ولذلك فقد كان المؤلف يعمل دائباً من أجل أن تكون حدود فلسطين كما يـلي : من الشمال : من فم الليطاني على البحر الأبيض الى بانيـــاس فوادي

مغنية ... ومن الشرق : غربي خط حديد الحجاز بقليل ، وفي الجنوب : خط يتفق عليه مع الحكومة المصرية . وقد سميت هذه الحدود خط مينر تسهاجن .

رابعاً – تمليك اليهود للأرض ، وذلـك باعادة فتح تسجيل الأراضي ، وهو ما طالب به المؤلف وزارة الخارجية بتاريخ ١٣ – ٢–١٩٢٠،ويقول المؤلف : اذ انه بدون هـذا السماح (أي السماح بتسجيل الأراضي) ليس فقط لا تمكن معالجة مشكلة السكن ولكن يستحيل اقامة مصانع مواد انشائية .

ويبدو أن عمله الدائب من اجل تحقيق آرائـه أزعج اللنبي فطلب ابعاده أو يستقيل ، وهنا اضطرت وزارة الحرب لسحبه . ويعلق هو على هذا بقوله : « لقد عملت ما بدأت به، وبالذات لقد أقمت الصهيونية في فلسطين ضد معارضة متماسكة حية » .

ولكن مينر تسهاجن لم يبتعد عن فلسطين وشؤونها ، فقـد عينه تشرشل مستشاراً عسكرياً لدائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات .

وكان وهو في فلسطين قد رشح هربرت صموئيـل مندوباً سامياً لفلسطين فتحقق أمله .

وفي دائرة الشرق الأوسط كان مخطط العمل في فلسطين كما يلي :

١ – التخلص من كل الرسميين البريطانيين الذين لا يعطفون على الصهيونية .

٢ – فصل القيادة العسكرية في فلسطين عنها في مصر، وإزالة التأثير المدمر الذي تمارسه القيادة العامة على السير هربرت صموئيل .

٣ – استئناف الهجرة الى فلسطين في حدود توفر العمل .

٤ – منح تنازلات للصهيونيين ليتشجعوا ، وان يكون وضعهم في فلسطين وضع الأمة المختارة .

وانتهى عمله في وزارة المستعمرات في ٣١ – ٣ – ١٩٢٤ ، ولكن عمـله من أجل قيام اسرائيل لم ينته . فقد استمرت اتصالاته وكتاباته ، وكان من ذلك ما فعله من أجل اليهود في المانيا خلال العهد النازي واتصالاته من أجـل ان تضغط امريكا على بريطانيا حتى لا يقع الساسة البريطانيون في حماقة .

كان ضد التقسيم ويعتقد انه خسارة

ولقد سافر عدة مرات الى البلاد العربية، ومن كتبه عصافير مصر وعصافير الجزيرة العربية . وقد تلقى خبر قيام اسرائيل من وايزمن وهو على بعد أربعة أميال من مكة . واشترك مع العصابات الصهيونية في معركة واحدة ضد العرب يصف دوره فيها في مذكراته ، وذلك عندما رست السفينة التي تقله في حيفا خلال الحرب بين العرب والعصابات الصهيونية .

مينر تسهاجن والصهيونية

ينفي مينر تسهاجن ان يكون يهودياً ، ولكن يبدو ان عطفه على اليهود يرجع الى ثلاثة أسباب :

الأول : وراثي، ذلك أن جدته لأمه قامت بمحاولة جنونية لإعادة اليهود الى فلسطين ، وقد جمعت نفراً منهم وسارت من بريطانيا حتى تجاوزت الحدود فلحق بها زوجها وأعادها وانتهت المحاولة .

الثاني : اعتقاده المستمد من التوراة ان فلسطين هي أرض اليهود ، وان عودتهم اليها هي سبيل خلاصهم مما هم فيه من عذاب واضطهاد .

الثالث : ان قيام دولة يهودية في فلسطين يوجد قاعدة لبريطانيا في الشرق الأوسط ، مضمونة ومأمونة ، تكفل بقاء المصالح البريطانية وتحول دون مصر والسيطرة على قناة السويس بعد سنة ١٩٦٦ ، عندما تنتهي مدة امتياز شركة القناة .

وهو يعتقد ان اليهود اكثر اخلاصاً لبريطانيا من العرب ، وانهم شعب يمتاز بعرفان الجميل والذكاء والدأب ، هذه الصفات التي لا تتوفر في العرب .

ولقد كتب بتاريخ ٦ — ١ — ١٩٢٠ : « انا اعتقد جازماً ان دولة اليهود في فلسطين ستقوم في مدة ما بين عشرين وثلاثين سنة ، ولكنه يعتقد ان مصر هي عدو هذه الدولة المرتقب ، لذلك يرى ان تحتل بريطانيا سيناء التي يعتبرها تركية ، لتكون حداً فاصلاً بين مصر واسرائيل . وخوفه من مصر ليس ناتجاً

عن اعتقاده بأن العربي محارب : فالمصريون حتى بأعدادهم الكبيرة ، ليسوا ندا لجيش يهودي أقل منهم ،ولكن عندما تتطور الأسلحة – الدبابات والطائرات ، تعتمد القوة الهجومية أكثر فأكثر على الكفاءة الحربية اكثر مما تعتمد على الشجاعة الانسانية والاحتمال . ولهذا انا أعتبر مصر عدو فلسطين المرتقب » .

ولقد أصيب مينر تسهاجن بصدمات عدة :

الأولى : عندما لم يدخل نهرا الليطاني وبانياس في حدود فلسطين الشمالية .

الثانية : عندما تنازل تشرشل للملك عبدالله عن شرقي نهر الأردن .

الثالثة : عندما صدر الكتاب الأبيض البريطاني لسنة ١٩٣٩ ، والذي حاولت الحكومة البريطانية فيه ان تخفف من أسباب تذمر العرب .

وكان يرى في كل ذلك تآمراً على الصهيونية ،وعلى فكرة قيام دولة اسرائيل.

إلا أن الصدمة الأبعد أثراً كانت محاولة تقسيم فلسطين ، فهو يرفض التقسيم ويرى فيه الخسارة . يقول : « من الممكن أيضاً ان نقترح تقسيم الكتاب المقدس وإعطاء اليهود العهد القديم ... ان تقسيم فلسطين ليس أقل خيالية » .

ويرى المؤلف ان بريطانيا كانت دائماً تتآمر على الصهيونية ، وتساعد العرب ، وهذا ناتج في رأيه عن انتشار الروح المعادية للسامية .

مقترحات مينر تسهاجن

رأى مينر تسهاجن قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ فقرت عيناه ، ولكنه لم يكن راضياً عن النصر ، فاسرائيل لم تحتل إلا رقعة ضيقة مما كان يجب ان تحتله . ولقد كانت قادرة على التوسع إلا ان تآمر بريطانية عليها لمصلحة العرب حال دون ذلك .

ولقد رأى مينر تسهاجن ايضاً تطور القوى العربية ، ولاسيما قوة مصر ، فراعه ذلك واقترح ما ذكرنا سابقاً من ضرورة احتلال بريطانيا لمنطقة سيناء . وكان العدوان الفاشل فازداد مينر تسهاجن جزعاً على اسرائيل فهو يرى ان « دمار اسرائيل سيكون كارثة عالمية وعاراً على المدنية » .

وكتب في ٢٥ – ١٢ – ٥٨ يقترح مؤتمر قمـــة يعالج الموقف ضمن المخطط التالي :

١ – الترحيب بالقومية العربية دائماً شريطة ألا يكون هنالك اعتداء مباشر أو غير مباشر أو تدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، خاصة من خلال الدعاية الاذاعية .

٢ – انشاء لجنة من هيئة الأمم المتحدة لمساعدة الشرق الأوسط – بما فيه اسرائيل – في شؤون الصحة والاجتماع والاقتصاد الخ .

٣ – إعادة فتح خط بترول العراق – حيفا .

٤ – مقاومة أي اعتداء مباشر أو غير مباشر بعقوبات سريعة .

٥ – إنشاء قوات دولية .

٦ – ضمان حرية الملاحة في قناة السويس في الحرب والسلم .

ان هذا الكتاب يكشف الكثير من الأحداث ، ويبرز الكثير من الوسائل التي استعملتها الصهيونية ودعاتها في سبيل إنشاء دولة اسرائيل . وهـذا واحد من الدعـــاة يكشف عن دوره ، وأدوار آخرين اشتركوا معه في صنع دولة اسرائيل ... وإن أهمية ما في هذا الكتاب تجعلنا نبحث عمن يترجمـه ، وعمن يقوم بنشره .

---

1 - Middle East Diary - 1917 - 1959. cal, Meinert Zhagen, the Cresset Press London 1959.

اسرائيل والقنبلة الذرية

هل تملك اسرائيل القنبلة الذرية ؟

سوءال جدير بالاجابة ... ذلك ان تملك اسرائيل للقنبلة ، يغير الاوضاع القائمة تغييراً جذرياً ، ويجعل اسرائيل الصغيرة بامكانياتها الضعيفة امام الجماهير العربية قوة مدمرة مخيفة ...

لقد حاول الزعيم الركن حسن مصطفى الاجابة على هذا السؤال[1] ولقد تبوأ الزعيم الركن حسن مصطفى من المناصب ما يجعله قادراً على ان يعطي اجابة مناسبة. ومن المناصب التي شغلها منصب آمر كلية الاركان العراقية، وملحق عسكري في السفارة العراقية بلندن وواشنطن .

متى بدأت اسرائيل تعمل من اجل الحصول على القنبلة. ان حصول اسرائيل على القنبلة الذرية مرتبط بمدى خوفها من القوة العربية المتزايدة . ولقد ازداد خوف اسرائيل من هذه القوة بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر . ذلك ان اسرائيل شعرت بعد العدوان ان ما هدفت اليه من العدوان لم يتحقق ... فالجيش المصري لم يسحق في سيناء وجمال عبد الناصر لم يهرب او يسقط، وموجة القومية العربية اخذت في الاندفاع والتقدم .

وكانت نتيجة العدوان عكسية، فالقوى العربية العسكرية التي كان مخططاً لها ان تتلاشى بدأت استعداداتها من اجل معركة حاسمة . وكان لا بد من ان

---

١ - اسرائيل والقنبلة الذرية (منشورات دار الطليعة – بيروت ١٩٦١) .

تبدأ اسرائيل استعداداتها على أسس أخرى . ذلك ان الجيش اليهودي المسلح سلاحاً عادياً لا يستطيع ان يرهب الجيوش العربية المسلحة بنفس السلاح أو أحسن منه . وعلى هذا فامتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية يجعلها أقدر على مواجهة القوى العربية النامية .

ويرجح الزعيم الركن حسن مصطفى ان اسرائيل بدأت تسعى للحصول على القنبلة سنة ١٩٥٧ ، وان العمل بدأ في الفرن الذري سنة ١٩٥٨ .

ولا شك ان اسرائيل استعانت بصديقتها فرنسا في الحصول على المواد اللازمة لانتاج الطاقة الذرية .

وقد حصلت اسرائيل على البلوتونيوم المادة الضرورية لانتاج القنبلة الذرية من فرنسا ، اما الماء الثقيل ، وهو مادة ضرورية أخرى ، فقد زودت اسرائيل به بريطانيا وفرنسا[1] . ويستبعد المؤلف ان تكون فرنسا قد زودت اسرائيل بقنبلة ذرية جاهزة .

ولدى اسرائيل الآن فرنان ذريان الاول منهما قوته ١٠٠٠ كيلواط ، وقد انشىء للاغراض السلمية،اما الثاني منهما فهو الذي انشىء في بئر السبع وقوته ٢٤٠٠٠ كيلواط وقد كان مقرراً ان ينتهي العمل فيه سنة ١٩٦٣ . ومما يسهل مهمة اسرائيل عدا مساعدة فرنسا لها وجود اكثر من مئة عالم ذري يهودي يشغلون مناصب هامة في ميادين انتاج الذرة .

ثبت من استقراء الحوادث ان اسرائيل تسبق العرب الآن من حيث الانتاج بقنبلة ذرية واحدة ، ومن حيث الزمن بسنتين،ولهذه الاسبقية اهمية خاصة ، اذ ان للزمن اهمية في هذه الناحية . ذلك ان انتاج القنبلة الذرية لا بد من ان يمر بمراحل خاصة . فالعامل الفني الذي يعمل في ميدان انتاج الطاقة الذرية بحاجة لتدريب عام كامل ، اما المهندس الذي يحمل درجة جامعية فهو بحاجة لسنتين .

اصبح الحصول اليوم على اليورانيوم سهلاً فهو يباع في الاسواق العالمية ، وانحلت مشكلة الماء الثقيل، ذلك ان فرنسا وبريطانيا تزود اسرائيل به؛ الا ان

---

١ - اعلن في السنة الماضية ان الولايات المتحدة زودت اسرائيل باربعة اطنان من الماء الثقيل .

هناك مشكلة « تجابه اسرائيل » وهي مشكلة وجود مكان مناسب لإجراء التجارب الذرية. ان اسرائيل ضيقة من حيث المساحة ولا تستطيع ان تجري تجاربها الذرية في اراضيها ، ولذلك فليس امامها الا السبل التالية :

١ – استعمال منطقة التجارب الذرية الفرنسية في الجزائر . ولقد كان هذا ممكناً سنة ١٩٦٠ اما اليوم فهو مستحيل لأن استقلال الجزائر حرم فرنسا ذاتها من استعمال هذه المنطقة .

٢ – اجراء التجارب في البحر قرب الساحل الاسرائيلي ولن يكون هذا سهلاً – لأن البحر المتوسط ليس محيطاً وليس منطقة ممكن عزل جزء منها ، وهو بالاضافة الى ذلك خط مواصلات عالمي تمتد شواطئه على ارض غير اسرائيلية قريبة من اسرائيل وبعيدة عنها .

٣ – الاستغناء عن التجارب ، ذلك ان غرض التجارب هو تحسين السلاح الذري وليس التثبت من انفلاقه ، ولقد القيت قنبلة هيروشيما دون تجربة. ان السبيل الأخير يلائم اسرائيل لأنه يخفي سلاحها الرهيب عن اعين العرب واعين العالم .

ماذا تستفيد اسرائيل من السلاح الذري .

ستكون فائدة اسرائيل من السلاح الذري كبيرة ، ذلك ان امتلاكها لهذا السلاح يجعل التفوق العربي من ناحية العدد غير ذي بال ... قنبلة ذرية واحدة من عيار عشرين كيلو طن تفعل فعل ٢٠٠٠٠ طائرة نفاثة من قاذفات القنابل عندما تشترك في غارة واحدة . وهذا يعني ان اسرائيل بامتلاك السلاح الذري توفر على نفسها ما يلي :

أولاً : ضرورة صنع او شراء عشرات الالاف من الطائرات والدبابات وغيرها من الاسلحة .

ثانياً : ضرورة اعداد جيش بشري كثير العدد لا يتأتى لاسرائيل جمعه .

ازاء هذا الخطر الذي بدأ يواجه العرب لا بد لهم من ان يستعدوا ليوم حاسم . ويكون الاستعداد بما يلي :

١ – قيام وحدة او اتحاد ـ هذا ما يراه المؤلف ـ بين البلاد العربية وقيام قيادة عسكرية موحدة .

٢ – الاسراع في انتاج الطاقة الذرية ، وطلب معونة الاتحاد السوفياتي.

٣ – زيادة عدد الجيوش العربية وكفاءتها التدريبية والاهتمام باسلحتها ومعنوياتها .

لقد ركز المؤلف اهتمامه على الناحية العسكرية، وكان في هذه الناحية ناجحاً، وانه لمن الضروري ان يهتم العسكريون العرب بقضية العرب الكبرى– قضية فلسطين.

العالم السياسي للصهيونية الأميركية

قامت الصهيونية الامريكية بدور باهر في انشاء اسرائيل، فما هو الدور الذي قامت به، وما مدى قوتها، وما هي الوسائل التي استعملتها ؟

هذا ما يجيب عليه كتاب «العالم السياسي للصهيونيـة الامريكية» ، لمؤلفه صموئيل هلبرين.

اليهود في امريكا

وصل اليهود الى امريكا على دفعـــات ، مهاجرين من اقطار اوروبا المختلفة ولكن وصولهم من الناحية التاريخية يكاد يكون هجرات موزعة من النـاحية الاقليمية كما يلي :

اولاً : يهود اسبانيا الذين وصلوا في عهد الثورة الامريكية . ومنها عائلات كاردوزا وكادفالهو . . . الخ .

ثانياً : المهاجرون الالمان الذين وصلوا بين (١٨٤٠ – ١٨٨٠) ويمتازون بأسماء مثل سخف Schiff وفاربرج Varburg .

ثالثاً : مهاجرو اوروبا الشرقية ، الروس ، البولنديون الذين وصل اكثرهم بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩٢٤ .

وهناك اختلاف في تفكير اليهود مرتبط باختلاف تاريخ وجودهم في الولايات المتحدة . فالذين وصلوا أولاً حصلوا على مراكز اجتماعية هامة ، ولهم تأثير كبير في الشؤون العامـــة ، والذين وصلوا اخيراً مشغولون بتحقيق تكيف اجتماعي

واقتصادي ، اما الذين عانوا العذاب في اوروبا وهم الأكثرية ، فقد كانوا معرضين لتأثيرات خارجية اكثر من غيرهم .

ونتج عن هذا الاختلاف تباين في وجهات النظر السياسية أدى الى وجود جبهات ثلاث :

الأولى : جبهة اليمن وتتكون غالباً من قدامى الألمان او الفئة النمساوية الهنغارية وهم صيارفة وتجار ومضاربون ومهنيون ، وغاية هذه الجبهة الرئيسية اصلاح اليهود Judaism وتعبر عن نفسها بمنظمات الاحسان والرهبنة الأخوية بناي برت B,nai Brith والمنظمة اليهودية الأمريكية (A. J. C.) وتمثل هذه الجبهة اليهود الأكثر تفاعلاً مع المجتمع الأمريكي ، وتعتبر هذه الجبهة اليهود جماعة دينية ولذلك يعتبرها « اليسار اليهودي » متمثلة وغير يهودية .

الثانية : جبهة الوسط وتتكون من العاملين في المتاجر والمصانع والباعة المتجولين وصغار رجال الاعمال وبعض الحرفيين وهؤلاء غالباً من اوروبا الشرقية . واليهودية لديهم ذات مدلولات قومية وثقافية ودينية . استأثر بهم النشاط من اجل التكامل مع الحياة الأمريكية خلال الاربعينات . وتشكل هذه الجبهة احتياطي الحركة الصهيونية في جماعات مثل المؤتمر اليهودي الأمريكي (A. J. C.) والمنظمة الصهيونية في امريكا . وأصبح مؤيدوها الأكثرية في منظمات اخرى مثل « بناي برت » والمحاربين اليهود القدامى .

الثالثة : جبهة اليسار وتتكون من جماعات مختلطة من العمال من شرق اوروبا .

ويسكن اليهود المدن ، ولقد انتقلت إليهم قيادة اليهودية العالمية بعد محنة يهود المانيا. وتغلب على اليهودية الأمريكية اتجاهات ثلاثة (١) الأورثوذكس (٢) المحافظون (٣) المصلحون . أما الأورثوذكس فهم الأكثر عدداً، بينما المصلحون هم الأكثر فعالية. وقد حاولت الصهيونية ان تلتزم الحياد ازاء هذه الاتجاهات .

وتكثر المنظمات اليهودية في امريكا ، فهناك ثلاثمائة منظمة قومية وعشرات

الآلاف من المنظمات المحلية ، وقد فشلت المحاولات التي قامت لتوحيد هـذه المنظمات بسبب اصطدامها مع مصالح القادة وعدم اهتمام الجمهور .

من الجماعات اليهودية في أمريكا

أولاً : عصبة اسرائيل Agudas Isreal نشأت سنة ١٩١٢ في مؤتمر Silesian Kattawity وهي ضد الصهيونية وينظر اعضاؤها للمسألة اليهودية نظرة دينية . فتحت مكتباً لها في فلسطين . ولكنها عارضت فكرة قيام دولة يهودية وقبلت بالكتاب الأبيض . وفي مؤتمر العصبة سنة ١٩٤٠ رفضت اليهودية العلمانية وطلب من « المزراحي » ان يتخلوا عن الصهيونية وان يعودوا الى الايمان الحقيقي . ويرى هؤلاء ان مجرد الاقامة في فلسطين سعادة ولو لم تقم دولة . ويتبع هذه العصبة حزب عمالي اسمه Poale Agudas Isreal Party تعاون مع الصهيونيين في فلسطين فكان من نتيجة ذلك ان تعاونت العصبة مع الصهيونية في أمريكا .

ثانياً : اليهودية الاصلاحية : ظلت مدة نصف قرن أكبر عقبة في وجه الصهيونية،وتتكون من جبهة اليمين وتضم أغنى وأبرز العائلات اليهودية . ولقد قال جوستاف بوزنانسكي سنة ١٨٤١ « هذه البلاد — يقصد امريكا — فلسطيننا وهذه المدينة قدسنا وبيت الله هذا هيكلنا ».ولقد رفضت دعوة هيرتزل،ويعتبر اليهود التقليديون معابد الاصلاحيين ليس اكثر من كنائس مسيحية بدون صلبان . وتبدو الصهيونية بالنسبة للاصلاحيين اليهود في امريكا واوروبا الذين لم يعرفوا إلا القليل عن عذاب اخوتهم في روسيا القيصرية : « فلسفة شرقية لليأس مبنية على نقص في الثقة بالديمقراطية وبالتطور الاخلاقي للانسان » ، وقد اخذ هؤلاء — قرارات ضد الصهيونية في السنوات التالية : ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٦ ، ١٩١١ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ، وعندما وافقت عصبة الأمم على ان تكون بريطانيا دولة منتدبة على فلسطين ، بما يعني ذلك من تحقيق لوعد بلفور ايد الاصلاحيون الناحية الثقافية فقط من استعمار اليهود لفلسطين وتعاونوا

مع الصهيونيين في الناحية الاقتصادية .

ثالثاً : المحافظون ، تأسست مدرسة اللاهوت اليهودية سنة ١٨٨٧ وقد جددت فيما بعد وترأسها العالم سلمون سختر Schechter .

رابعاً : الانشائيون Reconstructionist ظهرت هذه الحركة سنة ١٩٣٥ ، وهي تتكون من نخبة تمارس سيادة فكرية على الرغم من ان عدد اعضائها الرسميين لم يزد سنة ١٩٤٥ عن ٣٠٠ عضو ، وهم من المحافظين .

خامساً : تنظيمات الدفاع اليهودية .

ا — اللجنة اليهودية — الأمريكية ، تأسست سنة ١٩٠٦ هادفة الى منع التعدي على حقوق اليهود في العالم ، اسسها يهود اثرياء من أصل الماني . واصبحت في الأربعين ناطقة باسم اليهود، ولقد حاربتها الصهيونية. ايدت هذه اللجنة اقامة اليهود في فلسطين واحتجت على الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٠ ، وكان هؤلاء يفضلون المفاوضات الخاصة بالنسبة للقضية اليهودية في المانيا . اما بالنسبة لفلسطين فقد عارضوا التقسيم وايدوا استمرار الانتداب وجمع المعونات . وبعد خلافات مع الحركة الصهيونية وافقت المنظمة على التقسيم وقيام اسرائيل .

ب — بني برث B,nai Brith ابناء العهد . تأسست سنة ١٨٤٣ من يهود ذوي أصل الماني . وهي الأقدم والأوسع تأثيراً من بين كل المنظمات اليهودية القائمة على برنامج اخوي . وعندما اوقفت الهجرة سنة ١٩٢٤ الى امريكا خسرت المنظمة بسرعة اصلها الألماني الاصلاحي . — وهي من حلفاء الصهيونية الرئيسيين وقد قدمت مساعدات لليهود في فلسطين منذ سنة ١٨٦٥ — وساهم رئيسها هنري مونسكي في انشاء « لجنة الطوارىء للشؤون الصهيونية » .

سادساً : المؤتمر اليهودي الأمريكي ، اسس خلال الحرب العالمية الأولى للدفاع عن حقوق اليهود ، اجتمع ٣٠٠ مندوب يمثلون ٣٢٥٠٠٠ ألفاً سنة ١٩١٧ للموافقة على وعد بلفور وليدعموا حق الأقليات في مؤتمر فرساي . أعضاؤه من عناصر الرسط ولم يكن ليميز عن المنظمة الصهيونية الأمريكية . وكان عدد ممثليه في جلسات المؤتمر الأمريكي اليهودي سنة ٤٣ ، ٤٤ الثاني بعد الصهيونيين

العموميين .

سابعاً : المجلس الوطني للنساء اليهوديات اسس سنة ١٨٩٣ في محاولة لتوحيد النساء اليهوديات بغض النظر عن الخلاف العقائدي ، يبلغ عدد اعضاء المنظمة خمسة وستين ألفاً من فئات بورجوازية عليا ومتوسطة ، لم تؤيد هذه المنظمة قيام دولة يهودية في فلسطين وان كانت تؤيد الهجرة غير المحددة وقد قدمت مساعدات ثقافية كبيرة .

الصهيونية والعمال اليهود

انقسمت الحركة العمالية اليهودية حول الصهيونية وكان الشيوعيون ضد العودة . اجتمع المؤتمر الأول لمنظمة العمال اليهود سنة ١٨٩٠ ، وتأسست سنة ١٩٠٣ أول منظمة عمالية يهودية وهي The National Radical Verein وبعد ست سنوات أسس الحزب الاشتراكي Poale Zion في شيكاغو وسنة ١٩١٢ اسست منظمة اخوية صهيونية هي التحالف العمالي اليهودي الوطني لمنافسة الشيوعيين . وصفت جريدة التقدم اليومي اليهودي الناطقة بلسان الشيوعيين مع اليهود الرأسماليين مثل فليكس واربرج ولويس مارشال في جهودهم لاسكان اليهود في الاتحاد السوفياتي .

الصهيونية في أمريكا

يقول المؤلف بأن « اهتمام الأمريكيين بفلسطين يرجع تاريخه الى بدء تأسيس الولايات المتحدة . ولم تكن غير شائعة مشاريع سابقة على الصهيونية لعودة اليهود الى فلسطين في الدوائر المسيحية واليهودية » .

ولكن هذه المشاريع بعيدة عن مضمون الصهيونية السياسي . وعندما اعلن هيرتزل دعوته اعتبر اغلب الكهنة المعاصرين له الصهيونية تجديفاً ولكن يهود اوروبا الشرقية تبنوا الدعوة مما ادى الى انتشارها . ولقد كان يهود اوروبا الشرقية وهم آخر المهاجرين الى امريكا اكثر الفئات تقبلاً للصهيونية وعملاً من

أجلها .

ولقد أدى وصول القاضي لويس د. براندز Louis D. Brandis الى رئاسة اللجنة التنفيذية المؤقتة لشئون الصهيونية لالتفاف عدد من القادة الموهوبين حول البرنامج الصهيوني. وكان براندز وفرنكفورتر وستيفن س. وايز على علاقة وثيقة بالمسئولين الأمريكيين في عهد ولسن . وبلغ عـدد الذين يدفعون اشتراكات في الجمعية الصهيونية سنة ١٩١٨ مائة وخمسين ألفاً .

ولوحظ ان عدداً من الحوادث الداخلية والخارجية اثر سلباً او ايجاباً في نمو الحركة الصهيونية في امريكا . فالازمة الاقتصادية سنة ١٩٣٠ ونتـائج الحرب العالمية الثانية قبل دخول امريكا كانت ذات تأثير سلبي ، بينما زاد ظهور الهتلرية ومـا يسميه الكتاب « مشاغبات العرب » في السنوات (٣٦ – ٣٩) النقود المجموعة لاسرائيل زيادة معتدلة وكذلك عضوية المنظمات الصهيونية ، أمـا مذابح اليهود في اوروبا وسياسة الكتـاب الأبيض البريطانية ٣٩ – ٤٧ فقد احدثت ردود فعل عظيمة .

وحاولت الحركة الصهيونية ان تستأثر بقيادة المنظمات اليهودية في أمريكا فلم تفلح بادىء ذي بدء إلا أنها أخذت تحقق انتصارات جزئية حتى استطاعت سنة ١٩٤٦ ان تملك زمام الموقف . دخلت خلال هذه الفترة صراعات هائلة مـع منظمات يهودية متعددة كانت تعارض الصهيونية وتقاومها لأسباب عدة اهمها ان فئات يهودية حققت مكاسب في المجتمع الامريـكي كانت تخشى ان يؤدي تحول اليهودية الى قومية الى حرمانهـا من مكاسبها . فاليهودي الذي تخلص او كاد من الشك والاضطهاد لا يريد ان يعود اليها مرة ثانية. ويمكن ايجاز مبررات المعارضة بما يلي :

١ – لأن أكثر اليهود في العالم سيظلون يعيشون خارج اسرائيل .

٢ – لأن اليهود ليسوا أمـة بعد ، ويجب عليهم ان يتكاملوا مع البلدان التي يقيمون فيها .

٣ – ولأن هذا « التأقلم » ممكن على أسس دينية .

إلا أن اختلاف المنظمات اليهودية على قيام دولة اسرائيل ، لم يكن يجعلها تختلف على دعم استعمار فلسطين مادياً ومعنوياً . فلقد قدم النقابيون اليهود للهستدروت سنة ٢٣ — ٢٤ واحداً وخمسين الف دولار بينما بلغ ما قدموه سنة ١٩٤٨ ثلاثة ملايين وثلاثمائة وخمسة وستين الف دولار . وقدمت اليهودية الامريكية خمسة وثلاثين مليوناً سنة ٤٥، ومائة وثلاثين مليوناً سنة ٤٦ ،ومائة وثمانية عشر مليوناً سنة ٤٧ ومائة وخمسين مليوناً سنة ٤٨ .

وكان أهم من هذا ، النشاط السياسي الذي بذلته الصهيونية في أوساط غير يهودية . وبدأ العمل الجدي في هذه الناحية سنة ٤٢ وبعثت اللجنة الامريكية الفلسطينية وبلغ عدد اعضائها خمسة عشر الفاً من الامريكيين الفعالين . وكان من اعضائها ثلاثة وزراء وثمانية وستون « شيخاً » ومائتان من النواب . وفي السنة ذاتها انشىء مجلس لفلسطين ضم ثلاثة آلاف من رجال الدين المتحررين . وفي يناير سنة ١٩٤٥ سلمت عريضة لروزفلت وقعها الف وثمانمائة من أساتذة الجامعات وفي السنة ذاتها قدمت عريضة للرئيس وقعها واحد وأربعون من حكام الولايات؛ وكانت هاتان العريضتان تؤيدان وجهة النظر الصهيونية . فليس غريباً بعد هذا اذا عرفنا ان مائة وخمسين افتتاحية صحفية كتبت لمصلحة الصهيونية سنة ١٩٣٨ عندما حاولت بريطانيا ان تحدد الهجرة الى فلسطين، كما ان ثلاثمائة وخمسين افتتاحية كتبت سنة ١٩٤٤ . وكانت مصلحة الكتب في المنظمة الصهيونية تبيع من ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ كتاب شهرياً سنة ١٩٤٤ .

ان كتاب العالم السياسي للصهيونية الامريكية تضم أوسع الدراسات وأدق الجداول الاحصائية عن الحركة الصهيونية وتطورها في امريكا ، ولقد أتيحت الفرصة للمؤلف فراجع وثائق الحركة الصهيونية في مركزها في نيويورك ومركزها الرئيسي في القدس .

---

1 - Wayne State University Press 1961 - Detroit.

تذكرة عودة

يقدمها ناصر الدين النشاشيبي[1]

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه جديداً ، فلقد صدر في آب سنة ١٩٦٢، وكانت الرجعية عندئذ في مـــد والجمهووية العربية المتحدة (القطر المصري) تقف وحدها في الدوامة .

ولكن هناك عاملان يزيدان من أهميته :

الأول : أنه صدر في وقت تعطش فيه أبناء فلسطين لمعالجة جدية لقضيتهم .

الثاني : أن صاحبه ناصر الدين النشاشيبي رئيس تحرير جريدة « الجمهورية » وعضو مجلس ادارة دار التحرير بالقاهرة ، وهي مكانة كافية لأن تقنع الكثيرين من أبناء فلسطين والأمة العربية بأهمية الكتاب .

ونحن هنا لا نريد أن نناقش كل ما في الكتاب من « خطرات وشطحات »، ففيه الكثير الكثير مما يحتاج الى المناقشة ، ولكنا نريد فقط أن نناقش ثـلاث قضايا :

الأولى : علاقة قضية فلسطين بالقضية العربية .
الثانية : الأردن وقضية فلسطين ...
الثالثة : قضية الكيان الفلسطيني .

---

١ – كتاب تذكرة عودة – اصدار المكتب التجاري ببيروت .

على الرغم من أن ناصر الدين النشاشيبي يفرد فصلاً للحديث عن الوحدة العربية فاننا نستطيع أن نجزم بأن تفكيره يظل اقليمياً فهو :

أولاً : يتحدث بلهجة نحن الفلسطينيين ... ولا نريد ان نكون عالة على أحد[1] .

ثانياً : يريد انشاء كيان فلسطيني تشرف الجامعة العربية على خلقه .

ثالثاً : يرجو من «حسين» أن يوافق على قيام اتحاد لقيادات الجيوش العربية.

هذا قليل من كثير من « الخطرات » التي نجدها هنا وهناك ، والتي تجعل حديثه عن مجابهة اسرائيل « بوحدة عربية شاملة » حديثاً غريباً ، في مثل هذا الوسط الاقليمي .

وناصر الدين النشاشيبي رئيس تحرير جريدة الجمهورية وعضو مجلس ادارة دار التحرير ، لا يرى قضية فلسطين من خلال القضية العربية ، فهو يتجاهل السبب الرئيسي لقيام اسرائيل وهو خلق معسكر استعماري في الوطن العربي . ولقد أعطي وعد بلفور في وقت لم تكن فيه فلسطين « كياناً » ، لقد كانت جزءاً من سورية من ناحية ادارية ، ولم يكن هدف وعد بلفور شعب فلسطين بل كان هدفه الامة العربية ، ولتيسير تحقيق المؤامرة عمل الاستعمار على تجزئة الوطن العربي ، وجعل من فلسطين « كياناً سياسياً » . ولقد تمت المؤامرة وقامت اسرائيل .

فما الشعار الذي يجب أن يطرح اليوم ، في محاولتنا الجدية لمجابهة التحدي المصيري ؟

انه بالطبع شعار : الوحدة والتحرر والاشتراكية . وهذا الشعار البعيد المدى يوضح الميزات الاساسية للمعركة ويحدد أهدافها بالضبط . فهي تبدأ من محاربة الرجعية العربية والقضاء عليها . محاربة الرجعية في الاردن والسعودية وغيرهما . فقضية تحرير فلسطين يجب ان تعتبر جزءاً من قضية التحرير العربية .

---

١ – صفحة (٢٤٥) .

أي أن العودة تتم بالسرعة التي تتحقق بها وحــدة الاقطار المجاورة لاسرائيل وحريتها . وان محاولتنا لتجاوز هذه الحقيقة أو تجاهلها خدمة للرجعية العربية والاستعمار والصهيونية .

ان ناصر الدين النشاشيبي مدير عام الاذاعة والصحافة والنشر في الاردن سابقاً ، يؤمن بالوحدة ويؤمن بتحرير فلسطين ولكنه لا يؤمن بأن النضال من أجل الوحدة هو النضال من اجل تحرير فلسطين ، لانه لا يطرح شعار الوحــدة من الناحية العملية بل يطرح شعار اتحاد « قيادات الجيوش العربية » وبقــاء كل جيش عربي مستعداً[١] .

وناصر الدين النشاشيبي يناقش « حسين » وحكومته الرجعيــة ولكنه لا يقول : « ان تحرير الاردن من حسين وحكومته الرجعيـــة ضروري لتحرير فلسطين» .

وناصر الدين النشاشيبي يريد خلق كيان فلسطيني ولكنه يريد هذا الكيان أن يكون قادراً حيادياً ثورياً[٢] ولا أريد هنا أن أناقش قدرته وثوريته ولكني أريد ان اناقش حياده .. والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو ما معنى الحياد ؟ ان الحياد بالطبع يعني أن هناك معسكرين متنازعان وان الكيان الفلسطيني المقترح سيكون محايداً في النزاع بينهما فاذا عرفنا ان المعسكرين المتنازعين همــا الرجعية والثورية وأن الرجعية ضد الوحدة والثورية ثورية الوحــدة ، وأن الرجعية ضد العودة والثورية مع العودة ، عرفنا أين يقف النشاشيبي وما معنى الاتجاه الذي تنبثق منه تصوراته .

وناصر الدين النشاشيبي المؤمن بالوحدة بحكم الطبيعــة والتاريخ[٣] يرى في أن اية وحدة خلاص وأي انفصال ضربة ؛ ولكنه عندما يُقر هذه الحقيقة يقول : « انني لست هنا في معرض الهجوم على أحد أو الدفاع عن أحد » . أي أنه لا

---

١ – ص ص : ٢٥٩ و ٢٦٢ .
٢ – ٨٩ .
٣ – ١٠٩ .

يهاجم الانفصاليين ولا يؤيد الوحدويين . وخطورة هـذا الكلام تنبع من أنـه يدل على تناقض « وقصر نظر » . ذلك أن معنى ان نكون مع الوحدة هو أننا ضد الانفصال ، ونحن لا نستطيـع في وسط المعركة الحامية الوطيس بـين الوحدة والانفصال ان نكون « مقرري مبادىء » ورافعي «شعارات محايدة» . ويزداد هذا الكلام خطورة اذا عرفنا أنه كتب في الوقت الذي كان فيه الانفصال يشن حملة مجنونة على الوحدة والجمهورية العربية المتحدة ، ويعتقل مئات الفلسطينيين من مخيماتهم .

لقد رفع الانفصال شعار الوحدة ...

ورفع حسين شعار الوحدة ...

وأراد الانفصال وأراد حسين ألا تكون الوحدة ضد الانفصال والرجعية.. وكل ما يتمنى هؤلاء أن تقوى « التيارات المحايدة » . ولقـد أراد هؤلاء أن يحرفوا اتجاه تحرير فلسطين الأصلي عن مجراه فابتدعوا شعار الحياد بين الجبهتين العربيتين المتناحرتين . ولقد وجد هـــذا الاتجاه تأييداً في الاوساط الشعبية اقتفاء لأثر ثورة الجزائر التي استعملها المضللون كما استعمل معاوية قميص عثمان . وقصدهم الانحراف فقط باتجاه تحرير فلسطين الاصيل . اتجاه الوحدة والتحرر والاشتراكية .

ويصر ناصر الدين النشاشيبي على أن يوكل للجامعة العربيـــة أمر انشاء « الكيان الفلسطيني » ويبدو أن عجز الجامعة المستمر طيلة خمسة عشر عامـاً لم يقنعه بفشلها . والجدير بالذكر انه اراد أن يوكل أمر انشاء الكيان الفلسطيني للجامعة العربية في وقت كان فيه الصراع حاداً بين الاتجاه الوحدوي الاشتراكي والرجعية العربية . وقد تبع صدور كتاب « تذكرة عودة » انسحاب الجمهورية العربية المتحدة من الجامعة العربية . لقد حكم عرب فلسطين على الجامعة ولـن يتراجعوا عن حكمهم فاذا ما حاول بعض الضالين أو المضللين ان يعودوا بالتاريخ الى الوراء فانهم بالطبع سيكونون الفاشلين .

دخل جيش الأردن فلسطين ، لتنفيذ خطة سياسية وكان هدف هذه الخطة ان تحتل اسرائيل الجزء الأكبر من بلادنا لتبقى حصة الثعلب للأردن . ولقد نفذت الخطة . وفي لحظات الحرب كانت الاوامر تصدر من عمان الى قطعات الجيش الاردني ، بسحب الاسلحة من مجاهدي فلسطين .

وحكم الجزء الذي احتلته الاردن من فلسطين بالحديد والنار ، وانكرت الحكومة الاردنية الحق على أبناء فلسطين بعمل شيء من أجل قضيتهم حتى أصبح الذي يتسلل في الظلام ليشم نسيم أرضه المغتصبة مجرماً يستحق العقاب .

والحكومة الاردنية اليوم حكومة رجعية خاضعة للاستعمار خضوعاً تاماً ، وهي تقف في التيار المعادي للتحرر والوحدة ، وتنادي بحل عادل لقضية فلسطين .. مما يعني بقاء دولة اسرائيل .

وعلى هذا يجب ان يرفع شعار تحرير الاردن ليكون ممكناً تحرير فلسطين ، ذلك ان تحرير الضفة الغربية وشرقي الاردن يعطينا المنطلق السليم لتحرير فلسطين . وعلى الرغم من ان هذه الحقيقة أصبحت واضحة فقد انصرف ناصر الدين النشاشيي الى اقتراح حلول غير منطقية ولا سليمة ، وتدل على جهل بمنطق الواقع والتاريخ .

يرى ناصر الدين النشاشيي :

أولاً : ان حكومة الاردن لا تجرؤ على معارضة الرأي العام العربي اذا ما تبنت الجامعة العربية مسألة انشاء الكيان الفلسطيني .

ثانياً : ألا يكون الاردن او غير الاردن حجر عثرة في طريق أية عملية تهدف الى استعادة فلسطين[١] .

ثالثاً : أن ترد (الاردن) الجزء العربي من فلسطين الى أهله الفلسطينيين العرب ليقرروا مصيرهم بأنفسهم ... وان تترك للدول العربية مهمة تشكيل

---

١ – ٢٦٢ .

الكيان الفلسطيني الذي سيتولى مسؤولية الكلام باسم شعب فلسطين[1] .

ونحن نجد ناصر الدين النشاشيبي هنا يقدم لنا في البدء اعتقاده بأن حكومة الأردن لن تجرؤ على معارضة الضغط العربي ، ثم يعود فيتمنى ألا يكون الاردن أو غيره حجر عثرة . الا أنه يعود أخيراً فيطلب من الحكومة الاردنية ان تعيد لأبناء فلسطين ما اغتصبته من أرضهم .

ويجمع هذه « الخطرات » منطق يتجاهل حقيقة الأوضاع في الاردن والوطن العربي .

فالاردن الرجعي المغتَصِب الخاضع للاستعمار يجرؤ على معارضة الدول العربية اذا قررت انشاء كيان فلسطين ، ولا يمكن أن نتصور ان الاردن يقف في جهة وبقية دول الجامعة العربية تقف في جهة أخرى ، لأن دول الجامعة العربية الرجعية ستقف مع حكومة الاردن ، وستحول دون اتخاذ قرار من هذا النوع . ثم ان قرارات الجامعة غير ملزمة إلا للدول التي وافقت عليها ومعنى هذا ان حكومة الاردن سوف لا تكون ملزمة بقرار لم توافق عليه ، ويعطيها دستور الجامعة الحق كل الحق في رفض القرار الذي لا تراه في مصلحتها حتى ولو كان في مصلحة العرب أجمعين .

ثم — وهذا الأهم — أليس مستحيلاً أن توافق حكومة المملكة الاردنية الهاشمية على قرار يمزق « كيانها » .

إن تمني عدم معارضة حكومة الأردن لقيام الكيان الفلسطيني أو موافقة حكومة الأردن على التخلي عما اغتصبته من فلسطين تمنٍ غير مجدٍ . ولذلك فالنضال المسلح هو السبيل الوحيد، وعلى هذا تكون القوى الكافية لاسترجاع بقايا الضفة الغربية كافية لإنهاء الحكم الرجعي العميل في الاردن كله .

قضية الكيان الفلسطيني

تثار قضية الكيان الفلسطيني على انها الحل السليم لقضية فلسطين ، ولقد

---

١ — ٢٦٤ .

أثارها كتاب تذكرة عودة اثارة مركزة، واعتبر المؤلف ان منمسؤولية الجامعة العربية انشاء هذا الكيان .

ولقد بينا رأينا في الجامعة ومقدرتهـا على « خلق الكيان » ونريد الآن ان نبين رأينا في « الكيان » .

ما هدف الكيان ؟ وكيف يجب أن يقوم ؟

يقترح ناصر الدين النشاشيبي انيقوم هذا الكيان بموافقة جامعة الدولالعربية وبعد انتخابات حرة تشرف عليها لجنة حيادية من الجامعة ، ليستطيع ان يقوم بمسؤوليته في تحرير فلسطين .

ونحن نرى :

أولاً : ان تنظيم أبناء فلسطين يجب ان يبدأ دون انتظار موافقة أحد .

ثانياً : ان قيام هذا التنظيم ليس بحاجـة لإشراف أحد فهو ينشأ في أوساط الشعب وينمو بينها .

ثالثاً : إن الانتخابات لا تصلح أبداً لصنع حركة ثوريـــة مثل حركة تحرير فلسطين ، لأن الانتخابات تؤدي الى فوز « الوجاهات » وتخذل الثوريين .

ان تنظيم أبناء فلسطين يجب ان يكون سرياً ، ذلك ان التنظيم العلني الذي تؤيـــده الجامعة لا بـــد أن يكون تنظيماً رخواً مهلهلاً يتصدره النفعيون والانتهازيون ، وعلى هذا التنظيم ان يثبت كفاءته في مواجهة الصعوبات التيتحيط بقضية فلسطين ، وعليه ان ينشىء الخلايا الثوريـــة المستعدة للعمل في فلسطين المغتصبة وغزة ولبنان وسوريا والعراق والمهاجر .

أما أهداف هذا التنظيم فيجب أن تنحصر فيما يلي :

أولاً : تهيئة أبناء فلسطين أينما كانوا لليوم الحاسم .

ثانياً : تحرير الأردن من الرجعية والاستعمار ليتوفر المنطلق السليم لتوجيـه الضربة القاضية لإسرائيل .

ثالثاً : اعطاء قضية فلسطين معناها العربي .

ويجب ان يتجه اهتمام هذا التنظيم لغايتين ، الأولى : الاعلان بكل الوسائل وباسم شعب فلسطين عن الرفض القاطع لكل ما تم بعد سنة ١٩١٧ ، الثانية : العمل من أجل الوحدة العربية لاسيما وحدة المنطقة المجاورة لاسرائيل واعداد القوى العربية القادرة على ضرب اسرائيل ضربة سريعة قاضية . وليست كل محاولة لدفع عرب فلسطين للقيام حالياً بأعمال فدائية داخل اسرائيل إلا تشتيتاً للقوى ، وإضاعة للوقت . فاسرائيل اليوم غيرها سنة ١٩٤٧ ، واذا كانت الأعمال الفدائية مرعبة فإنها لن تنهي « الكيان الاسرائيلي » لأن « اليهودي » الذي يقف اليوم كما وقف جنود طارق بن زياد بالأمس ، البحر أمامه والعدو خلفه ، والذي عاد الى الجنة بعد تشرد طويل ليس مستعداً لأن يستسلم بسهولة.

وليست سياسة « اضرب واهرب » بمنسجمة مع منطق المرحلة في هذه الأيام لسببين :

الأول : ناتج عن وجود قوى عسكرية اسرائيلية ضاربة مستعدة للانتقام من القرى العربية المنتشرة على الحدود الطويلة .

الثاني : ناتج عن وجود الاردن .

وتنتج عن وجود حكم رجعي في الاردن مشكلتان :

أ — ضعف القوى العربية المرابطة في الاردن ، فالجيش الاردني لا يستطيع ان يقف أمام الجيش الاسرائيلي لقلة عدده، وعجز فادح في اسلحته ، وحكومة الاردن غير مستعدة للاستنجاد بجيوش عربية كبيرة وفعالة للمرابطة في أراضيها.

ب — لا يسمح حكام عمان لأي منظمة فدائية ان تعمل في الاردن ، وهي لا تعتبر أي عمل يقوم به فدائيون في اسرائيل فدائياً ، وتتخذ أقسى الاجراءات ضد هؤلاء الذين يفكرون في اجتياز الحدود .

لذلك كله ، تكون « خطرات » ناصر الدين النشاشيبي ضارة وغير ثورية .

ان تنظيم أبناء فلسطين يجب أن يتجه الآن لما يلي :

أولاً : تحرير الاردن من الحكم الرجعي في عمان ووحدته مع الدول المتحررة المجاورة .

ثانياً : الزام دولة الوحدة بالاعداد لليوم الحاسم ... يوم الضربة القاصمة .

ان معركة تحرير فلسطين هي معركة الوحـدة ، ويجب الا نسمح « للمواثيق والالتزامات الدولية » بأن تحول بين العرب ومعركتهم . و « الفلسطينيون » لن يكونوا عـالة على أحد ، إلا عندمـا يجهلون المعنى الحقيقي لمعركة فلسطين ، ويعتبرونها معركة محلية ...

قضية فلسطين في الأمم المتحدة

كانت الكتب التي تؤرخ لقضية فلسطين تتعرض قليلا او كثيراً لسير القضية في الأمم المتحدة؛ولكن ما كانت تسجله هذه الكتب لا يزيد عن تاريخ موجز ، وقد ظل الأمر كذلك حتى صدرت كتب ثلاثة :

١ — قضايانا في الأمم المتحدة لخيري حماد .

٢ — قضايا عربية لأحمد الشقيري .

٣ — دفاعنا عن فلسطين والجزائر لأحمد الشقيري .

وفي الكتاب الأول دراسة مستفيضة حول القضية وتطورها . اما الكتابان الآخران فيضمان مجموعة من الخطب التي ألقاها السيد احمد الشقيري في الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٥٧ م .

ونلمس في هذه الكتب الموقف العربي مجسداً ، موقف الحكومات ، وموقف المواطن العادي ، ونستطيع بسهولة ان نتبين من خلال كلمات الشقيري الواضحة الحارة تناقض الموقف العربي الرسمي وتهافته . كما نستطيع أن نتبين من خلال كلمات خيري حماد الصادقة سذاجة الموقف غير الرسمي وعدم ثوريته .

كيف يعالج الشقيري القضية

يطرح الشقيري قضية فلسطين على انها قضية شعب آمن تآمرت عليه الصهيونية والاستعمار واخرجاه من أرضه ظلماً وعدواناً . ولقد ساهمت الأمم المتحدة في الكارثة عندما اتخذت قرارها بالموافقة على مشروع التقسيم ، ثم قبول

إسرائيل في عضويتها ، ومـا زالت بعض الدول الكبرى ذات النفوذ الواسع في الأمم المتحدة تساعد اسرائيل على عدوانها وتجاهلها لقرارات الأمم المتحدة .

ويتعرض الشقيري للولايات المتحدة فيذكرها بأنها ستحصد ما زرعته نتيجة لموقفها من قضية فلسطين . وعندمـــا يتحدث الشقيري عن شعب فلسطين يبين بوضوح انه شعب مُصِرّ على العودة الى ارضه وانه لن يتنازل عن شبر منهـا . وحين يصل الشقيري الى قرارات الأمم المتحدة يعلن أنها غير منطقية ولا تقوم على اساس ، ولكنه يعود مراراً وتكراراً فيطالب بتنفيذها . الشقيري يعتـبر قيام إسرائيل غزواً وعدواناً ويعتبر قرارات الأمم المتحدة ظلمـاً واجحافاً ولكنـــه يعود فيطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تُكرس قيـــام إسرائيل ..!

اقتراحات الشقيري

يرى الشقيري ان الحل الطبيعي لقضية فلسطين يتلخص فيما يلي :

١ — اعادة فلسطين الى وحدتها الجغرافية كجزء وقطعة من الوطن العربي .

٢ — عودة اليهود والعرب ، فيعـاد اللاجئون العرب الى بيوتهم في فلسطين ويعاد القادمون حديثاً الى بلادهم السابقة .

٣ — انشاء دولة ديمقراطية في فلسطين يتمتع فيهـا جميع السكان من مسلمين ومسيحيين ويهود على السواء ، بالحقوق والواجبات المتساوية .

٤ — تسريح جميع القوات العسكرية ونزع السلاح منها واعتبار جميع البلاد منطقة منزوعة السلاح ومحايدة بضمان من مجلس الأمن .

٥ — تعيين ممثل للأمم المتحدة يرفع تقاريره الى الجمعية العمومية عن المسائل المتعلقة بالوضع الراهن للأماكن المقدسة وحرية الوصول اليها .

ويعود الشقيري فيقترح الخطة التالية :

١ — إعادة أربعمائة الف لاجىء في المرحلة الأولى — على ان يكون ذلك في نهاية سنة ٦٠ الى الجليل الغربي ويافا واللد والرملة والمثلث والمنـــاطق الوسطى

والجنوبية من فلسطين وهي المناطق التي خصصها مشروع التقسيم سنة ١٩٤٧ للعرب .

٢ – تتم المرحلة الثانية سنة ٦١ وتنتهي مشكلة مائة الف لاجىء باعادتهم الى منطقة القدس الدولية .

٣ – وتتم المرحلة الثالثة باعادة نصف مليون لاجىء سنة ٦١ الى المناطق التي تحتلها اسرائيل .

ولا يقف الشقيري عند حدود هذين الاقتراحين بل يصول ويجول في الأمم المتحدة مرات ومرات معلناً بان اسرائيل والاستعمار في طريق الزوال ، مطالباً بعودة اللاجئين وتنفيذ مقررات الأمم المتحدة وتعيين حارس على املاك اللاجئين .

وهكذا تنصب بلاغة الشقيري وفراهته السياسية لتقدم للامم المتحدة ملهاة مضحكة مبكية . وكلما قرأت للشقيري خطاباً تبادرت الى ذهني القصة التالية : كان لرجل بيت فجاء اللصوص وتسربوا اليه ليلاً ، وقرروا البقاء فيه ، وعندما أفاق الرجل صرخ بهم فطردوه من بيته بمعونة أقربائه والغرباء عنه . ذهل الرجل وأخذ يقف في النوادي والمجتمعات قائلاً : لقد سرق اللصوص بيتي واغتصبوه مني ، وها أنا اهيم في العراء أبحث عما يقيتني ويقيت أطفالي ، فيا أهل الرحمة ، ان البيت بيتي وقد حكم المحكمون لي بالعودة اليه ولكن اللصوص رفضوا ، ألا تجبرون اللصوص على اخلائه ...؟ ألا تجبرونهم على السماح لي بالعودة اليه ؟ واذا لم يكن ذلك ممكناً ، ألا تطلبون منهم أن يوافقوا على السماح لي بتعيين وكيل عني ؟ يا أهل الرحمة ، البيت بيتي ، انا أعرف انكم مشايعون لخصومي ولكن ارجوكم ساعدوني .. نفذوا قراراتكم بشأن عودتي الى بيتي .. ان لي املاً فيكم فاذا لم تحققوا لي أملي بعد مرور خمسة عشر عاماً اعتمدت على نفسي ...

الحقيقة انها قصة مضحكة مبكية .

الموقف العربي

وموقف الشقيري هو الموقف العربي ، موقف الدول المتحررة والدول غير

المتحررة ، فالوفود العربية الرسمية تتحدث عن اغتصاب الصهيونيــة لفلسطين وعن عدم شرعية قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن ثم تعود فتطالب بتنفيذ هذه القرارات . وقد اجمعت الوفود العربية الرسمية على هذا الموقف ولم يخرج وفـد فلسطين الشعبي عن هذا الاتجاه .

ويبدو أن الحكومات العربية لم تكتشف خلال خمسة عشر عاماً ان الموقف العربي الرسمي قد انكشف لجماهير الشعب، وانه موقف يخدم الصهيونية والاستعمار ويساعد على ضياع القضية في أروقـة الامم المتحدة . ويكفي – كما يقول خيري حماد – بأنها حولت الى اللجنة الخاصة فأصبحت قضية ثانوية .

ان الحكومات العربية عادت فقبلت بقرارات الامم المتحدة التي حاربتهـا سنة ٤٨ ولكنها لم تتخذ موقفاً حازماً لتنفذ هذه القرارات حتى أصبحت لجنـة التوفيق الدولية المشكلة بقصد تنفيذها تتجاوزها .

ولقد اصبحت قضية فلسطين اليوم قضية لاجئــين تتحمل الأمم المتحدة مسؤولية اعاشتهم وليس قضية شعب تعرض لعدوان . وتحويــل القضية الى قضية لاجئين يجعل حلها سهلاً . لأن العودة تستبدل بالاستيعاب بمناطق أخرى، ولهذا رأينا المشاريع الاستعمارية تترى في ميادين الاسكان والادماج الاقتصادي.

وتساعد الحكومات العربية الاستعمار في مشاريعه هذه عندما توافق على زيارات لجنة التوفيق وعندما تجعل قضية فلسطين مجرد قضية عودة. ان المطالبة بالعودة يعني ان هناك عدداً من اللاجئين الذين لا بد من توفير حياة مستقرة لهـم ويمكن ان يتم الاستقرار في غير بلادهم السابقة ، كما ان المطالبة بتنفيـذ مقررات الأمم المتحدة يعني الموافقة على قيام اسرائيل ، فهــل يوافق العرب على قيام اسرائيل ؟ بالطبع لا ... ولهذا فالسياسة العربية هنا استمرار لسياسة النكبة.

لقــد رفض العرب قرارات الأمم المتحدة لأنها تكرس الاغتصاب فكيف يطالب الحكام العرب بتنفيذها ... ؟ وماذا يمكن ان يستفيـد العرب من طرح شعار تنفيذ مقررات الأمم المتحدة؟ اذا كان المقصود احراج اسرائيل، فاسرائيل لا تأبه بمثل هذا الإحراج السخيف .

ان الموقف العربي الرسمي – والشقيري ابلغ من جسده – موقف مائع متناقض يخدم الصهيونية والاستعمار .

موقف الولايات المتحدة

وينسجم موقف الدول العربية مع موقف الولايات المتحدة . فالولايات المتحدة تهدف الى حل قضية اللاجئين عن طريق تصفيتهم بالاندماج في الاقطار التي يعيشون فيها، وهي تعمل على اطالة عمر لجنة التوفيق بشكلها الحالي لكي تطول مدة الهجرة وتخلق الظروف المناسبة لاندماج اللاجئين في الاقطار التي يعيشون فيها .

ان الوفود العربية التي ظلت خمسة عشر عاماً تطالب لجنة التوفيق بالعمل شعرت بأن الموقف الشعبي لا يتحمل الاستمرار ، لذلك طرحت اقتراحاً جديداً وهو تعديل تكوين لجنة التوفيق على أسس جغرافية ، ولكن ماذا يستفيد العرب من التعديل لو كان ممكناً تحقيقه ...!

بالطبع لا يستفيد العرب شيئاً ... فلو دخلت لجنة التوفيق المؤلفة حالياً من الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا عناصر مؤيدة للعرب أو محايدة فلن تستطيع هذه العناصر ان تفعل شيئاً ازاء نفوذ الولايات المتحدة في الأمم المتحدة ؛ فاذا استطاعت ان تفعل شيئاً فلن يكون اكثر من مطالبة اسرائيل بتنفيذ مقررات الامم المتحدة ... واسرائيل بالطبع لن تذعن، لأنها لن تخسر بالسلم ما اخذته بالحرب. ولنفترض جدلاً أنها اذعنت فمقررات الامم المتحدة ليست حلا لقضية فلسطين لأنها تكرس الغزو الصهيوني، فأي معنى اذن لمثل كل هذه الاقتراحات؟..

لقد اقترحت الولايات المتحدة بقاء لجنة التوفيق واقترح العرب تعديلها وانتصر الاقتراح الامريكي وخسر العرب . ولكن ماذا خسر العرب ؟ لا شيء، لأن اقتراحهم لن يغير في الموقف حتى ولو فاز .

وما دامت الوفود العربية موافقة على وجود لجنة التوفيق فموقفها لا يختلف عن موقف الولايات المتحدة .

ونسمع الشقيري بعد هذا كله هادراً محـذراً الولايات المتحدة من مغبـة اعمالها ... يقول الشقيري ستحصد الولايات المتحدة ثمار ما تزرعه .. ونقول له ستحصد الحكومات العربية ثمار ما تزرعه .. لقد زرعت الهزيمة سنـة ٤٨ . وسقتهـا بالهدنة والموافقة على التقسيم والقبول بقيام اسرائيل وستحصد التي لم تحصد منها العواصف الكبار . ولكن هل في الامكان ان يتبدل موقف امريكا من هذه القضية ؟ « إذا تغيرت العقلية المسيطرة على اجهزة الحكم فيها واصبحت اكثر انسجاماً مع أهداف الشعب الأمريكي الطيب » .

في هذه الإجابة ترغيب للعرب بالانتظار وفيها تضليلهم. ذلك ان الرأسمالية هي المسيطرة على اجهزة الحكم في الولايات المتحدة، وليس هنالك قوى معاديـة لها قادرة على القضاء عليها في القريب الذي نستطيع الحكم عليه، ولذلك فالعقلية المسيطرة على اجهزة الحكم ستظل هي هي ما دامت الرأسمالية قائمة . ومـا دام زوال الرأسمالية في الولايات المتحدة ليس متوقعاً خلال العشر السنوات القادمة فأي حديث عن التبديل يكون سخيفاً ولا يستند الى اساس اذا انتظرنا تبديل الموقف الأمريكي . يقول خيري حماد ان « انصاف امريكا للعرب لن يكون الا بعد تحريرها من الاستعمار الفكري الصهيوني وهو تطور لا اتوقع حدوثه قريباً»، وتتحول القضية هنا الى توقع غيبي ، ذلك ان المسألة ليست فكرية والصهيونية ليست ثقافة ... انها يهودية عصر الاستعمار . ولهذا فلن تتحرر الولايات المتحدة منها حتى تتحرر من رأس المال .

إن انتظار تبديل موقف الولايات المتحدة من قضية فلسطين ليس الا خيانة لقضية فلسطين نفسها ؛ وليست المطالبة بتنفيذ قرارات الأمم المتحـدة سخفاً وهلوسة فحسب وليست الولايات المتحدة هي المسئولة بدعمها لاسرائيل فحسب بل ان العرب هم المسئولون لأنهم يفوضون أعداءهم امر حل قضيتهم .

قضية شعب فلسطين

هل القضية فعلاً هي قضية شعب فلسطين؟.. وهل شعب فلسطين هو الفريق الأساسي فيها ؟ هذا مـا يصر عليه الشقيري . ويبدو لأول وهلة ان الشقيري

حريص على مصالح شعب فلسطين وحريته ولكن الحقيقة غير ذلك فالاصرار على ان القضية هي قضية شعب فلسطين يخفي وراءه حقيقتين هامتين :

الأولى : ان المشكلة ليست عربية اسرائيلية انما هي فلسطينية اسرائيلية وهذا يحصر النزاع بين جزء من الوطن العربي والصهيونية والقصد منه تحريم التدخل العربي في قضية فلسطين .

الثانية : ان الحدود التي صنعها الاستعمار قائمة ومقبولة وان العرب يتصرفون في حدودها .

لقد قامت اسرائيل لتكون معسكراً استعمارياً في قلب الوطن العربي ولم يكن هدف الاستعماريين عندما اوجدوا – اسرائيل – فلسطين بل كان هدفهم الوطن العربي . ولقد بدأ تطبيق وعد بلفور مع تطبيق التجزئة على الوطن العربي . والاستعمار واسرائيل يتمنيان الآن ان تنحصر قضية فلسطين في شعب فلسطين لأنه سيكون عاجزاً وحده عن مقاومة الصهيونية والاستعمار ولأن القوى العربية الموحدة هي القادرة وحدها على التخلص من الدولة الصهيونية . ولن نستغرب من الشقيري اصراره على هذه الناحية فهو رئيس وفد دولة مؤمنة بالتجزئة خاضعة للاستعمار ولن يفيده اعتبار خيري حماد له « ابن فلسطين البار وخطيبها المفوه ومحاميها اللامع » كما ان صولاته وجولاته البلاغية لن تستطيع اخفاء المضمون الذي يدافع عنه بحرارة .

اذا كان هذا الموقف الرسمي فما هو موقف ممثلي فلسطين ؟

لقد ذهب في الدورة الأخيرة وفدان أحدهما يمثل الهيئة العربية العليا والآخر يمثل غزة. ولم يختلف موقف الوفدين عن موقف الوفود الرسمية ذلك ان الهيئة العربية العليا ممثلة الرجعية في فلسطين وعميلة الرجعية العربية ؛ أما وفد غزة فلم يكن إلا جزءاً من وفد الجمهورية العربية المتحدة .. وموقف الجمهورية العربية لا يختلف عن موقف المملكة العربية السعودية في الأمم المتحدة .

ويرى خيري حماد ان ممثلي فلسطين لم تكن لهم صفة التمثيل الحقيقية وانهم كانوا يهتمون بالخطابات اكثر من اهتمامهم بالاتصالات والعمل وراء الكواليس؛مع

ان فائدة الخطابات لا تزيد عن عشرة او عشرين بالمائه،وليست هـــذه الحقائق موضوع نقاش فليس هناك من يمثــل فلسطين اليوم . كما ان الذين يذهبون للأمم المتحدة لا يمثلون الا أنفسهم ، ولكنهم يذهبون وتتبناهم الدول العربية متحررة وغير متحررة .

أمــا العجيب الغريب في الموضوع فهو أن خيري حماد المعجب بابن فلسطين البار وخطيبها المفوه ومحاميها اللامع يتبنى آراء هؤلاء الممثلين ويقترحها دستوراً لحل قضية فلسطين .

وتتلخص هذه الآراء فيما يلي :

أولاً : ان العرب وان اختلفوا في كل شيء يجب ألا يختلفوا في قضيةفلسطين وطريقه معالجتها .

ثانياً : العمل على إبراز الشخصية الفلسطينية .

ثالثاً : ان تكون قضية فلسطين محك صداقات الدول العربية .

رابعاً : إبعاد عرب فلسطين عن المنازعات المحلية لاسيما اذا كانت من نوع لا يستهدف تحقيق غايات .

وهذه بالضبط هي آراء الهيئة العربية العليا، وقد ناقشناها في اكثر من مكان على صفحات هذا الكتاب ولذلك فاننا نعود لنقول فقط انها تخدم الرجعيـــة والاستعمار ، لأنها تصرف العرب عن حل صحيح لقضيتهم ، وان كان خيري حماد لا يصف مع الرجعية والاستعمار .

الخلافات العربية وقضية فلسطين

يزعم الشقيري بأن الدول العربية متحدة في تأييدها لفلسطين أما خيري حماد فيطالب الدول العربية بألا تختلف في هذه القضية ، والواقع ان الدول العربيـــة متفقة في شيء واحد هو المطالبة بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ولكن المطالبة بتنفيذ قرارات المتحدة ليس كل السياسية العربية في هذا الميدان ، فتحرر بعض الدول العربية من الاستعمار وانتهاجها سياسة تحرريــة اشتراكية والاهتمام ببناء

جيش قوي وصناعة قوية...الخ ذو أهمية خاصة بالنسبة لقضية فلسطين.فموقف الدول المتحررة يختلف عن موقف الدول غير المتحررة الخاضعة للاستعمار ،ذات الحكم الرجعي ... إن موقف الدول المتحررة تزيد كل يوم قوة بينما يزداد موقف الدول غير المتحررة كل يوم ضعفاً . لذلك ان قوة الحركة التحررية تزيد من نفوذ الاستعمار في الدول غير المتحررة . ولا تستطيع الدول غير المتحررة بحكم خضوعها للاستعمار ان تفعل شيئاً من أجل فلسطين .

وانطلاقاً من هذه الحقائق لا يجوز لنا ان نطالب الدول العربية المتحررة وغير المتحررة بالاتفاق، لأن طلبنا هذا يعني توقف المعركة مع الرجعية ، وتوقف المعركة مع الرجعية توقف عن السير في طريق فلسطين . ذلك أن الانتصار على الرجعية هو انتصار الجولة الأولى ضد الصهيونية .

ان الخلافات العربية ليست عبثاً؛انها من منطق التاريخ ويبدأ تحرير فلسطين من القضاء على الرجعية واسباب وجودها لا من مهادنتها .

واذا كنا لا نطالب الشقيري بوعي هذه الحقيقة فإننا نطالب خيري حماد بوعيها .

مسلمون ومسيحيون يهود

كثيراً ما نجد في خطابات الشقيري تصنيفاً دينياً لسكان فلسطين ونحن لا نريد ان ننكر وجود اديان مختلفة فهذه الحقيقة معترف بها ؛ ولكن اثارة القضية بهذه الطريقة لها دلالاتها السياسية .

فالشقيري رئيس وفد دولة دينية،وهذه الدولة الدينية تصنف الناس تصنيفاً دينياً ، ولكن هذا التصنيف الديني يخدم الصهيونية . لأن تقسيم الناس على اسس دينية ينفي من ناحية سياسية الوجود القومي ويحول قضية فلسطين من قضية قومية عربية الى قضية تنازع بين فئتين دينيتين او اكثر ... واذا كان الشقيري ينكر على اليهود حق تقرير المصير لأن اليهودية ليست قومية فماذا يعني تصنيف اهل فلسطين على اسس دينية ؟..

هناك صراع عربي يهودي ، وهو ليس صراعاً دينياً على اية حال ، ولن يفيد تصنيف اهل فلسطين تصنيفاً دينياً في انهاء الصراع .

اصرار على ان القضية هي قضية شعب فلسطين

ويطالب خيري حماد بابراز الشخصية الفلسطينية ،ولكن الحقيقة هي ان قضية فلسطين هي اكثر القضايا العربية عروبة وهي تحل في فلسطين فعلاً ولكن بقوى عربية،وسيمثل فلسطين عندئذٍ طلائعيوها في الجيش العربي الموحد لا انتهازيوها في الامم المتحدة.

توينبي وقضية فلسطين

كان توينبي احد الأشخاص البارزين الذين اهتموا بقضية فلسطين[1] ، ولكنه يكاد يكون وحيداً في تأييده لابناء فلسطين اذا ما عددنا المؤيـــدين والمعادين ؛ ذلك ان كل المهتمين بالقضيـــة في الغرب مشايعون للصهيونية ، ولعل هذا هـــو السبب الذي جعل وجهـات نظر توينبي تحظى بالاهتمام في الوطن العربي ، وفي الغرب واسرائيل . فلقد اعتادت اسرائيل ان تجد في مؤرخي الغرب ومفكريه مشايعين لها ، واعتاد العرب أن يجد في هؤلاء أصدقاء مخلصين للصهيونية ، فلمـا وقف توينبي ليقول كلمته وجد اليهود فيه ما لم يتوقعوه ، ووجد العرب فيه ما لم يتوقوه .

فكيف ينظر توينبي الى قضية فلسطين ؟

ان نظرة توينبي الى قضية فلسطين تاريخية اخلاقية . فهو يرى من الناحيـة التاريخية ان علاقــة اليهود بفلسطين انتهت سنة ١٣٥ م ، وهي السنة التي قضى فيها الرومان على دولتهم ، وتعتبر هذه السنة سنة حاسمة في تاريخ اليهود ، ذلك ان ما تبقى بعد هذا التاريخ في الجليل وفي وادي الأردن من اليهود كان من القلة بحيث لا نستطيع ان نجعله شاهداً على استمرار العلاقة التاريخية ، مع العلم بأن

---

١ . فلسطين جريمة ودفاع – ارنولد توينبي ترجمة عمر ديراوي اصدار دار العلم للملايين – بيروت .

هذه القلة تبعثرت حوالي سنة (٤٥٠) م . وتَبَعْثَرَ اليهود في الارض ولكنهم تقوقعوا فلم يمتزجوا مع الشعوب التي عايشوها ، وظلت اسطورة العودة تعمر قلوبهم ، ولكنهم كانوا يعتقدون ان العودة مرهونة بمشيئة الله ، وظل اليهود مشتتين حتى أصبح التشتت تقليداً من تقاليدهم ، وأصبح اليهودي الحقيقي « مشتتاً » .

وظل اليهودي مضطهداً معزولاً حتى ظهر نابليون فبدأ يدخل الحياة العامة في الغرب ، أخذ يسعى لكي يكون مواطناً في المجتمع البرجوازي . ومنحه المجتمع البرجوازي هذا الحق الا انه ظل ينظر لليهودي على أنه يهودي في الوقت الذي كان اليهودي فيه ينظر اليه نظرة الغريب . كان اليهودي مواطناً ، ولكنه كان مواطناً وغريباً في الوقت ذاته ، ولم تكن الحقوق التي احرزها اليهودي في المجتمع البرجوازي تشمل يهود العالم فاليهودي في روسيا كان يعاني اضطهاداً مستمراً ، ولقد ادى هذا الاضطهاد الى ان يتحول رجل مثل هيرتزل من الدعوة لذوبان اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها الى الدعوة لانشاء وطن قومي يهودي . ولم يكن هذا التحول غريباً في نظر توينبي . فاليهودي ذو العقلية الأسيوية العتيقة تبنى ثمرة الحضارة الغربية أي القومية . وعندما انهارت في الحرب العالمية الأولى روسيا ، تمهدت الطريق امام الصهيونية . فروسيا كانت ترى في اليهود رجساً ونجاسة ، ولم تكن لتسمح باستيلاء اليهود على شبر من فلسطين ، وذلك انسجاماً مع السياسة المعادية لليهود التي كانت تتبعها ، وفي الحرب العالمية الأولى أيضاً انهارت الامبراطورية العثمانية وانتقل امر فلسطين الى بريطانيا حسب الخطة المرسومة ، فبدأت بريطانيا تعد فلسطين لقيام الوطن القومي اليهودي انسجاماً مع وعد بلفور ، وصك الانتداب ، ولكن وعد بلفور متناقض ، فهو يمنح اليهود حق انشاء الوطن القومي شريطة الا يضر ذلك بمصالح أهل البلاد ، ولا يقول الوعد كيف يكون ذلك ، كما أن السياسة البريطانية عجزت خلال الانتداب عن ان تثبت عدم تعارض الشق الأول من الوعد مع الشق الثاني ، وظلت بريطانيا تتخبط حتى انتهى الأمر الى الكارثة .

المسئولية الخلقية

لا يبحث توينبي مأساة فلسطين منفصلة عن التاريخ ، واليهودي منه خاصة . فهو يرى ان اليهودي الذي عانى الاضطهاد منذ الفي سنة تقريباً وعرف ارهاب النازية جاء فطبق على غيره من الشعوب ما طبقته النازية عليه ، وهو يعتقد ان هذا الميل هو أدنأ الميول المنحطة في الطبيعة البشرية .

الا ان المسئولية الخلقية ليست مسئولية اليهود وحدهم فالحرب المتواصلة سبب من اسباب النكبة ، ولقد ساهمت بريطانيا في هذه المأساة مساهمة المانيا وامريكا ولكن المشكلة تكمن في ان اليهودي الذي عانى كل خوف واضطهاد هو الذي ينزل الاضطهاد بغيره .

ولقد كان العرب الضحية البريئة التي كفـّر بها الغرب عن أخطائه تجاه اليهود .

ويعنى توينبي بقضية اللاجئين على انها الوجه الحقيقي للمأساة ، ويعتقد ان عودتهم الى وطنهم المغتصب هي الحل الصحيح للمشكلة ، ولكنه في الوقت ذاته يرى من غير الاخلاقي بقاءهم لاجئين وعدم اندماجهم في حياة البلدان التي يعيشون فيها ، ويذكر بأنه نصح الدول العربية بسلوك هذا السبيل ولكنها لم تفعلْ معتبراً ذلك حماقة منها وجناية .

ما فات توينبي من القضية ...

يكاد توينبي ينظر الى قضية فلسطين على انها قضية لاجئين فقط ، ولهذا فهناك حقائق كثيرة تفوت حصافته التاريخية .

أولاً : لا ينظر توينبي الى قضية فلسطين على انها قضيه قومية تخص الأمة العربية كلها ، وتتعلق بالوجود العربي ذاته ، ولذلك فهو يناقشها على انها قضية لاجئين اخرجوا من أرضهم ظلماً وعدواناً ويجب عودتهم اليها ، ونظرته هذه تجعله لا يهتم كثيراً بخطر اسرائيل على الأمة العربية بل لا يناقش هذه الناحية ، كما انه لا يهتم بالقضية خارج حدود مسألة اللاجئين .

ثانياً : يعتبر توينبي ان ما يملكه اليهود هو ما اشتروه من الأرض حتى سنة ١٩٤٨ مع أن توينبي يتجاهل هنا مسألة هامة وهي ان اليهود اشتروا ما اشتروه من أرض وعقار في ظل الظروف القاسية التي جاء بها الانتداب والتي قصد منها ان تُهيىء لقيام الوطن القومي اليهودي .

ثالثاً : عند الحديث عن مسئولية بريطانيا ينسى توينبي ان يسأل نفسه هل يحق لبريطانيا ان تفتح سبيل الهجرة لفلسطين بشكل يهدد شعبها ووجودها القومي ؟ ان بريطانيا لا تملك هذا الحق كما أنها لم تكن تملك الحق في اصدار وعد مثل وعد بلفور يهدد مصير امة بالفناء . ولكن بريطانيا عندما منحت اليهود وعد بلفور كانت مصممة على تنفيذ الجريمة وكان أول ما فعلت أن سهلت انتقال الأرض العربية لليهود بمختلف الوسائل . فهل يعتبر اليهودي صاحب حق قومي في أرض اغتصبتها له دولة مستعمرة ؟

رابعاً : يعتقد توينبي ان الدول الغربية كفرت عن خطاياها تجاه اليهود عندما قدمت لهم فلسطين ، ويبدو انه وهو الواسع الاطلاع في التاريخ يجهل ان اقطاع فلسطين لليهود كان خطة استعمارية هدفت من ورائها بريطانيا وحليفاتها الى تأمين مصالحها في هذه المنطقة .. في الوطن العربي .

إن ما فعله الغرب بالنسبة لليهود لم يكن في الواقع تكفيراً عن الخطايا التي ارتكبها إزاءهم بل خطيئة جديدة أضافها الى خطاياه نحو السلام العالمي ، ذلك أنه جمع المشتتين لا ليحقق لهم رغبتهم في الراحة والأمان بل ليضعهم في أرض معركة هم أضعف الطرفين فيها بغية الدفاع عن مصالحه . فلقد أراد الاستعمار من اليهود ان يكونوا طلائع من طلائعه العاملة على الأرض العربية الهادفة لتمزيق الأمة العربية وتأخير نهضتها .

خامساً : ينسى توينبي أن يهود أوروبا الشرقية وهم اليهود الأكثر صهيونية ليسوا من أبناء مملكة يهوذا وليسوا بالتالي ساميين . ففي سنة (٧٤٠) اعتنق بولان ملك الخزر في روسيا الجنوبية الديانة اليهودية وتهوّد شعبه من بعده ويقدر عدد أفراد مملكته بحوالي عشرة ملايين وقد مزق هذه المملكة البيزنطيون

والموسكوفيون وتشتت يهودها في بلدان أوروبا وخاصة الشرقية منها[1] ، وما كان جديراً بمؤرخ كبير ألا يشير الى حقيقة هامة مثل هذه الحقيقة التاريخية .

ونتيجة لكل مـــا سبق ، لا يمكن ان نعتبر وجهة نظر توينـــبي في قضية فلسطين انتصاراً بل يجب ان نعتبرها هزيمـــة ؛ ذلك أن الوضع الطبيعي هو ألا يكون توينبي وحده بل العديدين من أمثاله يفهمون قضية فلسطين فهماً تامـــاً ، وما دمنا لا نجد من يفهمها بهذا المستوى فمعنى ذلك ان قضيتنا مـــا زالت غير واضحة للعالم .

---

١ -- اسرائيل - فكرة حركة دولة - هاني هندي ومحسن ابراهيم - دار الفجر الجديـــد للطباعة والنشر بيروت .

معنى النكبة

في هذه الايام يكثر الحديث عن قضية فلسطين ... عن الهزيمة وعن النصر. ولعل هذا الحديث خير مناسبة تستدعي ان تطرح السؤال الذى يكمن في الاجابة عليه « سر القضية » ... هذا السؤال هو ما معنى النكبة ؟

ان في الاجابة على هذا السؤال طريق العودة ، لأن الإجابة عليه تقتضي الكشف عن جذور الهزيمة والعوامل التي أدت اليها ...

كانت هنالك محاولات عدة للإجابة على هذا السؤال كلها محاولات عابرة ، تهدف الى دعاية سياسية او تبرير لمسلك خائن او مخطىء ... وكان المتصدون لبحث القضية احد اثنين: اما سياسي محترف بعيد عن التفكير الثوري، لا يعرف الا المساومات والمجاملات ، او شاب متحمس لم تصدق رؤيته ولم تتبلور ثورته.

ومن خلال الكتب العديدة هنالك كتاب صغير قديم قدم النكبة اختفى الان من زوايا المكتبات هو « معنى النكبة » لقسطنطين زريق.

يمتاز هذا الكتاب عن الكتب الأخرى كلها بأنه يحاول أن يفلسف النكبة ... ان يكشف عن جذور الهزيمة ويبين طريق النصر ..

فما هي جذور الهزيمة ؟ وما هي طريق النصر ؟

جذور الهزيمة تكمن في الوضع العربي آنذاك ... في التفكك والانحلال وسيطرة القيادات الرجعية والخلافات المصلحية وروح المساومة.

ولذلك لم يستطع العرب ان يستفيدوا من عدالة قضيتهم ومن امكانياتهم المادية ووقفوا فرادى في الميدان الدولي يجابهون عدوهم. كما انهم لم يعدوا اعداداً

مناسباً . وكان العجز في الاعداد مرتبطاً بالظروف العربيــة نفسها . ويرى قسطنطين زريق انه لم يكن ممكناً في ذلك الحين غير ما كان.. لقد كانت الهزيمة اذن وليدة ظروف معينة ، وعليه فالنصر لن يكون حتى تتغير هذه الظروف .

فكيف تتغير هذه الظروف ؟ يرى قسطنطين زريق ان تغيير هذه الظروف يتطلب انقلاباً داخلياً وتغيرات سياسية تبنى على اساسه . اما الانقلاب الداخلي فيقوم على ما يلي :

ا — اقتباس الآلة واستخدامها « فالنظام القائم على المدنية الحديثة لا يغلب إلا بنظام اوسع اخذاً لهذه المدنية وأوفر تسلحاً بقواها »[١] .

ب — فصل الدولة عن التنظيم الديني .

جـ — الاقبال على العلوم الوضعية والتجريبية .

ويحقق هذا الانقلاب بضعة مخلصين ينظمون في احزاب ليكونوا الزعامــة الحقيقية للشعب . وهــذه هي « نقطة الانطلاق ومبــدأ الطريق ومبعث الرجاء » [٢] .

أما التغيرات السياسية فهي :

ا — الاتحاد، وهذا مرتبط بالتبديل العميق الشامل؛ إلا ان من الضروري تحقيق اكبر قسط ممكن منــه في ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد ضمــن الظروف التي كانت سائدة آنذاك .

ب — اشراك القوة الشعبية في النضال « فالعلة لم تكن في الشعب نفسه ، بل في قادته الذين لم يدربوه ولم يسلحوه بــل لم ييسروا له سبل التسلح ، ولم يدلوه على طريق العمل وسبل الجهاد » [٣] .

وكتاب قسطنطين زريق يرى ان اية حرب مــع اسرائيل آنذاك لن تؤدي الى نصر ما دام العرب على حالهم . ولذلك يجب ان يحاولوا حماية مــا يمكن

---

١ — معنى النكبة صفحة ٤٤ .
٢ — نفس المصدر صفحة ٥٤ .
٣ — نفس المصدر صفحة ٣٣ .

حمايته من الكيان العربي حتى يتم التبدل الأساسي في الحيـــاة العربية والذهنية العربية الذي يجعل مجابهة اسرائيل ممكنة ...

ماذا نستنتج من محاولة قسطنطين زريق هذه ؟

أولاً : ان الحرب لن تقود الى النصر حتى يتم تبدل جذري في الحياة العربية والذهنية العربية . وهذا يعني ان الدعوة لمحاربة اسرائيل والوضع على مـــا هو عليه ليس إلا خطأ وتضليلاً .

ثانياً : ان المطلوب ضمن ظروف التفكك والانحلال ان يحاول العرب حماية انفسهم من عدوان صهيوني مقبل، ولذلك فالاستعداد يجب ان يكون دفاعياً حتى يتم الاستعداد الكفيل بالنصر .

ثالثاً : ان التفاؤل والتألم لا يفيدان إذا لم يحـدد الفكر عوامل القوة والأمل وعوامل الضعف والخيبـة وإذا لم يساهم مساهمة فعالة في معركة البناء – بنـــاء النفس وبناء الوطن .

ولكن كيف ؟ كيف يحدث الانقلاب في النفس ؟ وكيف يحـدث الانقلاب في المجتمع ؟

يرى قسطنطين زريق ان ذلـك يتم بواسطة الصناع القـــادرين والأحزاب والزعامة الحقيقية ... وإشراك الشعب في النضال ...

وهذه الشعارات تعتبر متخلفة في هذه الأيام .. فالحياة الحزبيـــة ، بمعناها التقليدي، اعجز من ان تحقق انقلاباً في المجتمع العربي وفي النفس العربية ؛ والنضال اليوم هو ليس نضال زعامة حقيقية ... انـه نضال جماهير ... وشعار إشراك الشعب في النضال اصبح شعاراً رجعياً لأنـــه يعني – فيما يعني – قصور القوى الجماهيرية .

لقد قضي على جيل قسطنطين زريق في الميدان السياسي ... ولكن افكار هذا الجيل ما زالت باقية تفرض نفسها على الجيل الذي انتزع منه القيادة...

ولهذا ما زالت قضية فلسطين مجرد « محاولات قاصرة » تتأرجح بين ايدي ساسة جهلة وساسة بهلوانات... لتطرح من جديد السؤال العنيد ما معنى النكبة؟

هكذا ضاعت وهكذا تعود

كثيرة هي الكتب التي صدرت في معالجة قضية فلسطين ، وكانت تحاول ان تلقي اضواء على الكارثة .. الا ان كل هذه الكتب جاءت عامة . ليس هنالك كتاب واحـــد غير مذكرات عبدالله التل يناقش القضية مناقشة تتعـــدى العموميات لتصل الى التفاصيل ، تفاصيل مواقف الفئات المعنية . ولقـد حاول شفيق ارشيدات في كتابه – فلسطين من مشاكل الحرية والسلام – ان يتخطى هذه العموميات ولكنه لم يتقدم كثيراً ، لأن التقدم بحاجـة للكثير من الدرس والكشف والتنقيب. وجاء نقولا الدر بكتابه – هكذا ضاعت وهكذا تعود – فسد نقصاً لم تستطع ان تتلافاه الكتب العربية كلها . ذلك انه تخطى العموميات ليتحدث في الخصوصيات. ان كتاب نقولا الدر يمتاز بما يلي :

أولاً : أوضح من الناحية التاريخية دور بريطانيا ثم دور الولايات المتحدة فيما بعد في خلق الدولة الصهيونية . واعتمد ايضاحه على مراجع لا يرقى اليها الشك واستنتاجات مبنية على وعي علمي . لقد بين نقولا الدر استراتيجية بريطانيا في المنطقة منذ اوائل هذا القرن والعلاقة بـــين تسليم اسكندرونة للاتراك وتسليم فلسطين لليهود . كما بين دور الصهيونية في توجيه عصبة الامم لانتداب بريطانيا على فلسطين ثم دور بريطانيا في تشجيع الهجرة ... وتهيئـة فلسطين لقيـــام الدولة الصهيونية .

ويلاحظ القارىء ان هذا القسم التاريخي واضح كامل ، وان الجهد المبذول

فيه كبير وعلى مستوى عال من الوعي العلمي .

ثانياً : كشف نقولا الدر بالتفاصيل ذات المراجع الموثوقة دور الحكام العرب سنة ١٩٤٨ في الهزيمة . وتوضح التفاصيل التي لا يأتيها الشك من بين يديها او او خلفها ان الحكام العرب خانوا فلسطين وانهم نفذوا المخططات الاستعمارية .

ثالثاً : ولم يترك نقولا الدر دور النفط فتعرض له بالتحليل والايضاح . وهنالك مسألتان تتعلقان بدور النفط: الأولى، اهميته في حياة اوروبا وامريكا، هذه الاهمية التي لم يدركها العرب حتى الآن ؛ والثانية ، انهم لم يستعملوا هذه الطاقة في التأثير على الدول الكبرى لا سيا الولايات المتحدة وبريطانيا .

رابعاً : يكشف نقولا الدر قيمة النفط العربي المادية والمعنوية . فهو من الناحية المادية يدر ارباحاً خيالية، تقدر بأربعة عشر مليار جنيه سنوياً نتقاضى نحن منها حوالي ٥٠٠ مليون فقط . ويذهب الباقي لجيوب محتكري النفط في اوروبا والولايات المتحدة .

وهو من الناحية المعنوية ضروري لحياة اوروبا . وان غزارته ورخص تكاليفه هي التي تجعل المحتكرين يتكالبون عليه .

ان تجارة النفط هي اربح تجارة في العصر الحديث ، وليس هنالك ما يقارن بها في أي ميدان من ميادين الصناعة او التجارة ، انها في بعض التقديرات مربحة ٢٨٠٠ بالمئة ..

ويجثم العرب على هذا المارد الجبار ، انهم يمسكون بخناقه . ولكنهم كانوا من الضعف سنة ١٩٤٨ للدرجة التي جعلتهم يتركونه لأعدائهم يستغلونه دون ان يهددوهم باستعماله .

فهل يفعل العرب اليوم ما لم يفعلوه بالامس ؟

لقد كانت السعودية والكويت هما البلدين العربيين المنتجين للنفط سنة ١٩٤٨ . وتبلغ الدول العربية المنتجة للنفط خمساً. انها الجزائر وليبيا والكويت والسعودية وابو ظبي والمنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية .

وبلغ انتاج الكويت سنة ١٩٦٣ ، مقدار ما انتج الشرق الاوسط كله حتى

سنة ١٩٥١ .

وهذا يعني ان قيمة النفط العربي زادت اضعافاً وان خطورته قد ازدادت اضعافاً ايضاً .

غير ان قيمته باستعماله ، فهل نستعمله ؟

ان مؤتمر القاهرة قد بحث الموضوع . وقد وعدت الدول العربية المنتجة للنفط بقطعه ولكن قطعه يحتاج الى ثورية خارقة ، وارادات حديدية. وعندما ينتصر الجيل الذي يؤثر فلسطين والعروبة على الرفاهية والترف يستعمل النفط في المعركة وتعود فلسطين .

ويظل نقولا الدر علمياً ما دام يبحث الامور التاريخية فإذا ما انتقل الى الأمور السياسية ضل وتاه . ان نقولا الدر يعتقد ان مجرد افهام الولايات المتحدة بأن العرب مصممون على قطع النفط اذا ما تحيز الغرب لاسرائيل سيجعل الدول الغربية توافق على تصفية اسرائيل ١٠٠٪ ... ويتجاهل نقولا الدر هنا سيطرة احتكارات البترول على الحكومات في الغرب ، كما انه يتجاهل بحسن نية المعارك الشرسة التي سيخوضها العرب مع الاستعمار باصرارهم على استعمال النفط سلاحاً في المعركة مع اسرائيل . وان نقولا الدر الذي يربط بين زوال عهد شكري القوتلي سنة ١٩٤٩ وبين مد انابيب التابلاين عبر سوريا يعود فينسى هذه الحقيقة .. وان نقولا الدر في كتابة مؤرخ جدير بالاحترام يبحث عن الحقيقة في مصادرها ولكنه سياسي فاشل ، انه يقدر قيمة النفط حق قدرها من الناحية العلمية ، ولكنه عندما يقدر اثرها في السياسة الدولية ينسى ان شركات البترول هي اكبر عصابات النهب في العالم ، وانها تسخر دولاً وشعوباً لمصلحتها . وهي على استعداد لفتح جبهات دموية واسعة على ان تتنازل عن سيطرتها ونفوذها. ولن يستطيع العرب السيطرة على بترولهم الا بالقوة.. وبعد معارك طاحنة سياسية وعسكرية .

وان نقولا الدر عندما يتحدث عن اثر النفط في السياسة الدولية ، ويدعو الى استعماله دون ان يبين المحاذير يكون كمن يجر العرب الى كمين مهلك .

ان استعمال النفط في المعركة يجب الا يكون مناورة سياسية ، بل يجب ان يكون جزءاً من سياسة ثورية تعرف خطورة استعماله وتدرك النتائج المترتبة على ذلك .

ولن يستفيد العرب من بترولهم ما داموا لا يعرفون ان قوتهم في جماهيرهم أولاً وأخيراً .

كما انهم لن يستعملوا النفط ما دامت « دول النفط » موجودة .

الصهيونية لعبتها أمريكا

عندما رأيت هذا الكتاب شعرت بالحاجة الى قراءته ، لا لسبب الا لأنني اود ان اعرف المزيد عن تأثير الصهيونية في الولايات المتحدة . وزادني اندفاعاً تصوري أن ترجمته تعني انه يقدم معلومات جديدة وهامة عن التأثير الذي تمارسه الصهيونية في الولايات المتحدة .

وكان ممكناً ان افهم طبيعة الكتاب ، لو كنت قارئاً لجون بيتي من قبل ولكني لم أقرأ له شيئاً .

وقرأت الكتاب ، ولكني وجدت فيه ما لم اكن اتوقع . فالكتاب حرب على اليهود الأجانب اليساريين باسم المسيحية والوطن والمحافظة ، انه حرب المسيحية لليهود ومقاومة الشعور الوطني للاجانب، وصراع المحافظة مع اليسار. ان مشكلة اليهود في الولايات المتحدة هي انهم يهود واجانب وعملاء للشيوعية . هذا ما يراه جون بيتي ، وقد اختار اليهود الحزب الديمقراطي الممثل للاقلية فأصبح اداة في ايديهم .

ان جون بيتي يربط بين اليهود والشيوعية ويعتبر ان وظيفة المهاجرين اليهود القادمين من شرق أوروبا خدمة الشيوعية . ويعدد الحوادث في محاولته لاثبات نظريته . انه يعتقد ان سياسة الولايات المتحدة منقادة للدوائر الصهيونية ويذكر علاقة روزفلت ببرانديز وتبعيته له .

ويهاجم اعتراف الولايات المتحدة بالاتحاد السوفياتي ويعتبر عام ١٩٣٣ – وهو العام الذي اعترفت فيه الولايات المتحدة بالاتحاد السوفياتي – عام شؤم .

ويأخذ على حكومة الولايات المتحدة مواقفها الهزيلة من الصين الشعبية والحرب في كورية . انه عدو لدود للشيوعية وعدو لدود لليهود الذين يخدمون مآربها .

ويكشف الكتاب نواحي هامة من الحياة في الولايات المتحدة . من هـذه النواحي تسرب اليهود الى اجهزة الدولة وسيطرتهم عليها . كما انـه يكشف الارهاب الذي تمارسه الشركات على حرية الفكر . يقول جون بيتي : « إن الكارثة الجديدة التي تهدد حرية القول هي كارثة وطنية تطعننا في الصميم .. ان الرقابة الخاصة تكبل ايدينا بأغلال حديدية ، وتأتي في صورة ضغط جماعة من المعلنين الذين يدفعون بسخاء . ان الاعلان هنا تقوم به وكالات قوية متخصصة تتمتع بسلطات واسعة وتملي ارادتها على الصحف » .

ولا يفوته ان يبين تأثير اليهود على الفكر العالمي من خلال صناعـة السينما ، يقول : « لو شئنا التحدث عن الممثلين في هوليود ، وعن الشركات الكثيرة لملأنا الصفحات العديدة فالأغلبية من الممثلين ينتمون الى أجنـاس غير اميركية والشركات او معظمها يشرف عليها رجال من يهود شرقي اوروبا . والمال يتدفق على الجميع ، وكلهم يعملون راضين او مكرهـين في سبيل هدف واحـد ... الدعايـة المغرضة ... الدعايـة التي تتجه بالفكر الانساني الى ناحية معينة » صفحة (٦٧) .

ويبين المؤلف دور الولايات المتحدة في خلق إسرائيل ، وهو يذكر مـا ذكره المؤرخون عـادة من ان الصهيونية هي التي دفعت الولايات المتحدة الى الحرب العالمية الأولى والثانية . كما يذكر دور الولايات المتحدة في طبـخ التقسيم ثم في مساعدة اسرائيل بعد ذلك . وهو يرى ان الصهيونية ليست حركة انسانية عاطفية هدفها مساعدة البائسين اليهود ، بل انها منظمة سياسية وعسكرية لهـا صبغـة واحدة وتقوم على الدين والجنس ، وتعتمد على السيطرة التي بلغتها في امريكا ، لابقاء الشعب الامريكي خاضعاً لها ، يمول عجلتها الاستعمارية الاجرامية وينفذ مشيئتها واهواءها .

« ان الصهيونية سلاح الشيطان الفتاك .. لقد شردت شعباً كاملاً آمنـاً ،

وهي تتطلع الآن للقضاء على شعوب كاملة آمنة مجاورة اخرى » .

ولا ينسى ان ينبه حكومته الى ان اعتمادهـا على العرب ضروري لحمايـة مصالحها البترولية وينذرها بأن العرب أذكياء وانهم يعرفون بأن السيف مسلط على رقابهم ويعرفون بأن الولايات المتحدة « تعضد المتآمرين وتناصر المجرمين ».

ويبحث المؤلف عـن طريق الخلاص من اليهود والشيوعية ولكنه يقترح اقتراحات رومنطيقية ...

لقد شعرت وانا اقرأ هذا الكتاب ان عـداء المؤلف لليهود عنصري ديني . صحيح انهم يجرون الولايات المتحـدة إلى مزالق خطرة ، ويشيعون الانحلال والعبث فيها ولكنهم ليسوا ظاهرة منفصلة عن حياة الولايات المتحدة. ان اليهود هم العنصر الفعال في رأسماليتها ... والمشكلة هي مشكلة نظام كامل يؤله الفلس ويحكم المصالح بالانسان ، لا مشكلة افراد وهيئات تكرس هذا النظام وتستفيد منه . ولكنه جميل حقاً ان نجد امريكياً من الولايات المتحدة يعضد العرب ضد الصهيونية لأنه يعتبر الصهيونية غزواً وظلماً .

قضية فلسطين بين جيلين :

جيل الهزيمة

نلمس عندما نقرأ الكتب العديـدة التي صدرت في معالجة قضية فلسطين ـ الفرق بين جيلين ، جيل قدم ما عنده وآخر في سبيل العطاء . ولكن الهـام في الموضوع أن الجيل الأول الذي قام بدوره ما زال يحاول أن يعمل ، منكراً على الجيل الشاب مقدرتـه على العمل ومحاولاً أن يلف الجيل الشاب تحت جناحيه المنثوري الريش . ويُصدم الجيـل الشاب ، عندما يُنكر عليه قدرتـه أناس يعتبرهم فاشلين خانوا قضيتهم ويحاولون تحت الشعارات المختلفة أن يتستروا على فشلهم وخيانتهم فيبدأ معركته ضدهم .

كيف يفكر الجيل الأول ؟

وكيف يفكر الجيل الثاني ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عليه .

يرى الجيـل الأول القضية بعيون زائغة ، ولذلك فهو لا يستطيع أن يدرك ابعادها ، أو يعرف عناصر القوة والضعف فيها . ونتيجة لهـذا « الارتباك » يرجع الهزيمة الى أسباب عامة مجردة تأخذ من الواقع ظواهره فقط. أما مضمون الواقع وتناقضاته الأساسية وعناصر تركيبه الاجتماعي فلا تنال من اهتمامه شيئاً. ولنأخذ على ذلك مثلاً ، الكتاب المعنون « حقائق عن قضية فلسطين » وهـو كتاب أصدرته الهيئة العربية ، ويشمل حقائق صرح بها « سماحة السيد محمـد

أمين الحسيني ، مفتي فلسطين ، ورئيس الهيئة العربية العليا »[1] .

ونلمس في الكتاب الحقائق التالية :

أولاً : عدم ايضاح العلاقة الاقتصادية والسياسية بين الاستعمار والصهيونية . ولذلك فكل ما جاء في الكتاب كان اشارات الى مساعدة الاستعمار للصهيونية ووقوفه بجانبها وهي على باطل .

ثانياً : لم يشر الكتاب الى دور الحكام العرب وارتباطاتهم بالاستعمار . وعندما تعرض الكاتب للعلاقة بينه وبين الملك عبدالله ، حاول ان يجعل القضية مجرد التباس ، وأنحى باللائمة على « كلوب باشا » ، واعتبره الحائل بين الهيئة العربية وعودتها الى فلسطين لممارسة نشاطها. يقول في صفحة ٩٤ « وهذه السلطة الاستعمارية ولا أقول الحكومة الاردنية هي الحائل الحقيقي لعودة الهيئة العربية الى ذلك القسم من فلسطين لقيامها بأي نشاط سياسي او غير سياسي » . مع العلم بأن الملك عبدالله كان كالاستعمار مهتماً بإبعاد الهيئة العربية لئلا يعلن قيام حكومة فلسطينية فتفسد خطته في ضم الأجزاء المتبقية من فلسطين الى مملكته الصغيرة . ولقد كان الملك عبدالله متفقاً مع الاستعمار على تسليم فلسطين لليهود مقابل حصوله على حصة الثعلب منها .

ثالثاً : ولم يشر الكتاب طبعاً الى هزال انظمة الحكم وانعزال العائلات الحاكمة الممثلة للاقطاع ، عن جماهير الشعب وخضوعها المباشر للاستعمار .

وعندما تعرض الكتاب لحل القضية ، كان الحديث موجزاً وعاماً وهزيلاً ذلك ان الكاتب حصره فيما يلي :

١ — تعبئة روحية قوية .

٢ — ترك الهزل والتواني والاهمال .

٣ — أن تعمل الأمة العربية على ذكر فلسطين وقضيتها والدعاية لها .

٤ — تعبئة الفلسطينيين تعبئة عسكرية .

٥ — تحصين حدود فلسطين .

---

١ — صدر الكتاب سنة ١٩٥٤ .

٦ – تحصين مدينة القدس .
٧ – اعادة قضية فلسطين الى أهلها .
٨ – وقوف الأمة العربية والعالم الاسلامي موقفاً صريحاً حازماً من الدول الاستعمارية .
٩ – ألا تألو البلاد العربية جهداً في سبيل توحيد القوى وجمع الكلمة .
١٠ – ان تتمرد الأمة العربية على التوجيه الاستعماري وان تكون سياسة الامة العربية صادرة عن صميم رغباتها .
١١ – الحذر من عملاء المستعمرين وجواسيسهم[١] .

ونحن بالطبع لسنا ضد كل ما ذُكر ، فالتعبئة الروحية وتعبئة الفلسطينيين عسكرياً ووقوف الأمة العربية والعالم الاسلامي موقفاً حازماً وتوحيد القوى العربية على الاستعمار ، ان هذه كلها شعارات صحيحة شريطة ان تعني تعبئة ثورية للجماهير وان تستهدف القضاء على الاستعمار والرجعية العربية ، لا أن تصبح وعظاً أجوف . ولسنا ندري كيف يمكن ان نعبىء الجماهير في ظل الرجعية كما لا أدري كيف يمكن ان نطلب من عملاء الاستعمار المرتبط مصيرهم بمصيره التمرد على الاستعمار .

ونحن طبعاً نعتقد ان ابعاد عرب فلسطين عن قضيتهم كان جزءاً من المؤامرة على فلسطين، ولكننا لا نطلب من الرجعية العربية ان تعيد القضية الى اهلها... فالمطلوب من عرب فلسطين ان يستعيدوا قضيتهم من أيدي مغتصبيها ... أن يعملوا على هدم الحواجز التي تقف بينهم وبين قضيتهم .

ثم ماذا يعني ان تعود قضية فلسطين الى اهلها .. هل معناه ان تتنازل الرجعية العربية عن فلسطين لرجعيتها ، اذا كان الأمر كذلك – وهو ما يهدف إليه سماحة مفتي فلسطين – فأية فائدة يرجوها عرب فلسطين ...

ان الرجعية العربية في فلسطين من بقايا قادة النضال الوطني تحاول ان تستعيد مراكز فقدتها ، وثقة خسرتها ... ولكن كيف ؟ بالاعتماد على الرجعية

---

١ – المصدر السابق صفحة (١٨٣ – ١٩٠) وقد نقلنا ما نقلناه بايجاز .

العربية ، فلا غرابة اذن إذا ما أعطى رئيس الهيئة العربية العليـــا اهتماماً بالغاً لتصريحات الملك سعود سنة ١٩٥٤ كأنه لم يكتشف حتى بعد سبع سنوات من النكبة دور الرجعية العربية في نكبة فلسطين[١] .

وتصر الرجعية في فلسطين على موقفها وتمضي سبـع سنين أخرى فنجد ان ما اعتبره الكاتب سنة ١٩٥٤ حلاً لقضية فلسطين ظل يعتبره حلاً،وان ما قدمه في كتاب « حقائق عن قضية فلسطين » سنة ١٩٥٤ أصبح « ميثـــاق الحركة الوطنية الفلسطينية » سنة ١٩٦٢[٢] ، وليس في الميثاق جديـد فالكتاب كان محاولة للدفاع عن الهيئة العربية العليا والميثاق محاولة جديدة للدفاع عنها . يقول الميثاق في صفحته الأولى : « ولقد ركز الاعداء حملات دعاياتهم الواسعة النطاق في السنين الأخيرة على الهيئة العربية العليا وعلى شخص رئيسها بصورة خاصة ، وضاعفوا سعيهم وسعايتهم جاهدين لاثارة الشبهات والدس والتحريض لإيقـاع الفرقة والمباعدة ما بين الهيئة العربية وبين الشعب الفلسطيني من جهة ، وبينهـا وبين الدول العربية وجامعتها من جهة أخرى » . فاذا ما تابعنا صفحات الميثاق لم نجد فيما ذكر عن اسباب النكبة واساليب مواجهتها اكثر ممـا ذكر في كتاب « حقائق عن قضية فلسطين » ، او كتـــاب « المعذبون في أرض العرب » .. لاميل الغوري ، أو كتاب « القضية الفلسطينية » لأكرم زعيتر . غير اننـــا نلحظ في الميثاق تطوراً جديداً ، ولكنه تطور هـــام وخطر . ذلك ان نغمة اعادة القضية الى أهلهـــا بدل ان تتحول الى نضال جماهيري يستهدف خلق ظروف ملائمة لتحرير فلسطين ، تحولت الى شعار سياسي هو: « إبراز الشخصية الفلسطينية »[٣] .

ماذا يعني هذا الشعور ؟

انه يعني في هذا الوقت الذي تدخل فيه الرجعية العربية العميلة للاستعمار ،

---

١ – المصدر السابق صفحة ١٩٢ .

٢ – صدر هذا الميثاق عن الهيئة العربية العليا لفلسطين في ١٠ أيلول ١٩٦٢ .

٣ – الميثاق صفحة ١١ .

المرتبط بقاؤها بالتجزئة ، معركة مع القوى التقدمية العاملة من اجل التحرر والوحدة ، ان الهيئة العربية العليا تصف مع الرجعية العربية ضد التحرر والوحدة .

وهو يعني ان الرجعية في فلسطين تريد ان تسترجع زعامتها الاقليمية التي فقدتها بإثارة روح اقليمية .

ولسنا ندري بعد هذا كله ماذا يمكن أن يعني الايمان بالوحدة العربية ...! عند التشدق به .

والميثاق كالكتاب ، ككل الكتب التي ذكرت ، لا يحدد بالضبط الدور الذي لعبه الخونة العرب في هزيمة فلسطين ، فاذا ما تحدث عن الموضوع مر مروراً عابراً ، محاولاً أن يخفي هذا الدور لا ان يكشفه ؛ وفي البند السابع من باب : « كارثة فلسطين وأسبابها الرئيسية » يكتفي الميثاق بأن يقرر ما يلي :

« قيام بعض الجهات الرسمية العربية ، اما تحقيقاً لمطامع شخصية ، او انخداعاً بوعود المستعمرين وانقياداً لوحيهم واوامرهم بإبعاد الفلسطينيين عن الميدان السياسي والعسكري ... الخ » .

أهذا كل ما يجب أن يقال في هذا المجال ؟

ولا يكتفي الميثاق بطلب « اعادة القضية الى اهلها » ، ورفع شعار: «ابراز الشخصية الفلسطينية » بل يتعدى ذلك جاعلاً مهمته الحيلولة دون الفلسطينيين والتدخل في « الشؤون الداخلية والحزبية ، في الأقطار الشقيقة المضيفة لهم » .

وماذا يعني ألا يتدخل الفلسطيني في شؤون العراق أو الاردن او سوريا ؟.. أيعني غير التسليم للخونة والمجرمين ؟.. أيعني غير قبول الاقليمية ومحاولة تكريسها في الوقت الذي ترفع فيه شعارات العروبة والوحدة ؟

تكشف مراجعة تراث هذا الجيل ، انه جيل أناني يصر على عدم الاعتراف باخطائه ، وأنه جيل مكابر ، يريد ان يجعل من الفشل نجاحاً وان يغتصب حق الزعامة والقيادة اغتصاباً .

عرفت « القيادة الوطنية في فلسطين » مؤامرة بريطانيا والصهيونية وقادت

الشعب ضد المؤامرة في ثورتي سنة ٣٦ و ٣٧ ، وكانت الثورة الكبرى ، وحين أوشكت الثورة ان تؤتي أكلها استجابت القيادة لنداء الزعماء العرب لوقف الثورة فتوجهت بنداء الى عرب فلسطين تطلب منهم فيه وقف الثورة. وانتهت الثورة فعلاً لحساب الصهيونية .

وتدخلت الدول العربية في حرب فلسطين سنة ١٩٤٧ منهية دور القيادة ، فانصاعت القيادة للأمر ، وتمت المؤامرة وقامت دولة اسرائيل ولم تحرك القيادة ساكناً غير تصريحات وتلميحات لا تسمن ولا تغني من جوع . أما علاقتها بالرجعية العربية فقد ظلت هي هي حتى أنها منذ سنوات صفت مع الرجعية العربية نهائياً .

ان برجوازية فلسطين التي قادت الشعب في طريق الهزيمة منذ البدء ظلت عاجزة حتى الآن عن أن تفهم معنى المعركة التي يخوضها شعبنا العربي اليوم . وهي تشترك مع البرجوازية العربية في محاولة تضليل الجماهير عن اعدائها الحقيقيين : الاستعمار والحكام السائرين في ركابه وبطاناتهم ودعاماتهم من الاقطاعية والرأسمالية .

ولقد اعتمدت « قيادة النضال الوطني » هذه على تجمعات « الزلم والأنصار » وعلى التكتلات الطائفية والوجاهات المحلية ، والزعامات العربية ، فقادت الشعب الى الهزيمة المنكرة ، ويبدو أن هذه القيادة لم تتعلم شيئاً من هذا الدرس البليغ،لذلك ظلت تعتبر أن هذه العناصر والوسائل كفيلةبأن تعيد فلسطين...

ولكن هل تقف تجمعات الزلم والانصار، والتكتلات الطائفية، والوجاهات المحلية والزعامات العربية ... هل تقف هذه كلها في وجه الصهيونية المنظمة تنظيماً حديثاً ، والاستعمار المتواطىء معها ؟

هذا ما لا يجيبنا عليه « قادة النضال الوطني » ذلك أن في الاجابة عليه اعداماً لهم ، وقضاء على « تكتلاتهم » وأفكارهم .

جيل النقمة

اذا كان ما قدمناه في الصفحات السابقة هو وجهة نظر جيل الهزيمة، فما هي وجهة نظر جيل النقمة؟ وهل استطاع هذا الجيل ان يعي ابعاد قضية فلسطين، وان يحدد الموقف السليم لنفسه ولأمته من الصهيونية والاستعمار ؟..

إن جيل النقمة ، كان أكثر عطاء من جيل الهزيمة ولكن عطاءه على الرغم من ذلك ظل محدوداً ، نتيجة الظروف النفسية والسياسية التي عاشها بعد هزيمة سنة ١٩٤٨ . وسوف نعرض وجهات نظر هذا الجيل من خلال عدد من الكتب التي عرضنا بعضها في هذا الفصل ، ولم نعرض بعضها الآخر لضيق المجال .

ونلاحظ عند تتبع عطاء جيل النقمة ما يلي :

أولاً : استطاع هذا الجيل ان يكون اكثر وعياً لعلاقة الصهيونية بالاستعمار . ويبدو هذا واضحاً في الكتب التي تؤرخ لقضية فلسطين . ولعل كتاب شفيق ارشيدات «فلسطين، من مشاكل الحرية والسلام» خير مثل على ذلك.

ثانياً : واكتشف هذا الجيل ان الهزيمة كانت نتيجة العوامل التالية :

أ – تآمر الحكام العرب وتخاذلهم وارتباط اكثرهم بالاستعمار وتكفي دليلاً على ذلك الامثلة التي يعطيها عبدالله التل في كتابه كارثة فلسطين ونقولا الدر في كتابه هكذا ضاعت وهكذا تعود ومحمد فائز القصري في كتابه حرب فلسطين .

ب – ان الهزيمة كانت بنت الظروف العربية قبل سنة ١٩٤٨ .. ظروف التخلف والتجزئة والخضوع للاستعمار ، وان تجاوز هذه الظروف هو الذي يجعل النصر ممكناً . وكانت محاولة قسطنطين زريق لدراسة أسباب النكبة في

كتابه معنى النكبة أول دراسة في هذا المجال .

ثالثاً : وقبل ان ينظر جيل النقمة الى المستقبل عاد الى الماضي ، مقيّماً متفحصاً .. ولقد اكتشف من الاخطاء ما سمح له وعيه ، باكتشافه . ويحاول صبحي ياسين ان يكشف مثل هذه الاخطاءفي كتابه طريق العودة الى فلسطين. ويرى صبحي ياسين ان قادة النضال سنة ١٩٤٧ و ١٩٤٨ « كانوا بالرغم من وجود وطنية صادقة لدى عدد منهم غير ثوريين بالاضافة الى عدم وعيهم السياسي وتغلب الانانية الفردية على أكثرهم[١] » كما يرى « ان عدم وجود قيادة عسكرية موحدة تدير العمليات جعل النضال الشعبي يتوسع تدريجياً على أسس عاطفية فوضوية[٢]» ويقارن المؤلف بين « قيادتنا السياسية التي كانت تعيش في دمشق وبيروت والقاهرة فلم تعمل لتنظيم قوات الشعب لأنها كانت بعيدة عن الشعب ولا تعرف حقائق مجرى الاحداث » وبين « زعماء الوكالة اليهودية في القدس وتل ابيب وحتى في المستعمرات الصغيرة الذين كانوا يخططون للمعركة بأنفسهم[٣] » . ولم نجد فيما قرأنا نقداً واعياً شاملاً لتجربة النضال في فلسطين ، او تجربة دخول الجيوش العربية اليها . فكل ما قرأنا يقدم جوانب جزئية لا أكثر .

رابعاً : وحاول جيل النقمة ان يبحث عن الحل ولكنه وفق بمقدار ما وفق في كشف اسباب الهزيمة فقط . ويرى صبحي ياسين مثلاً ان العودة تتحقق بما يلي :

١ — الايمان بالله .
٢ — العمل لتحقيق الوحدة العربية .
٣ — ايجاد كيان خاص لعرب فلسطين .
٤ — مساعدة اسر الشهداء .

---

١ — طريق العودة الى فلسطين—صبحي ياسين (مطبعة الحرية -القاهرة ١٩٦٠)صفحة١٢.
٢ — نفس المصدر صفحة ١٤ .
٣ — نفس المصدر صفحة ١٤ .

٥ – تأسيس فرقة فدائية من عرب فلسطين[١] .

بينما يرى نقولا الدر ان استعمال النفط في المعركة كاف لاسترجاع فلسطين ، بجانب الناحية العسكرية .

الا اننا نلمس ان هذا الجيل قد استطاع اعطاء صورة عامة للحل يمكن ايجازها فيما يلي :

أولاً : تحقيق الوحدة او الاتحاد بين البلدان العربية .

ثانياً : العمل لتحرير الوطن العربي من الاستعمار .

ثالثاً : العمل من اجل القضاء على التخلف .

ولكن هذه المبادىء لا تبدو متبلورة ، ولا تأخذ شكلها العملي الثوري بايجاد المنظمات الممثلة لها ، الحاملة لواءها .

وتختلط الامور كثيراً في اذهان هذا الجيل ، فهو داعية وحدة عربية وداعية ايجاد كيان فلسطيني . وهو يعرف « ان تحرير الاردن يجب ان يكون الخطوة الاولى لتحرير فلسطين » ولكنه يعود فيطالب الحكومة الاردنية الرجعية بالعمل متضامنة مع الدول العربية الأخرى ، وضمن نطاق الجامعة العربية مثلاً لاسترجاع فلسطين . ولعل خير مثلين على هذا الاضطراب كتاب تذكرة عودة لناصر الدين النشاشيبي وكتاب طريق العودة الى فلسطين لصبحي ياسين وان كان صبحي ياسين اعمق وعياً لظروف المعركة ، فهو على الرغم مما يبدو في آرائه من اضطراب يدرك حقيقتين اساسيتين لم يشر اليهما غيره ممن قرأنا لهم . وهاتان الحقيقتان هما :

الأولى : «ان قضية فلسطين ليست منعزلة عن الصراع القائم في المنطقة»[٢].

الثانية : « ان الواجب يحتم على عرب فلسطين ان يكونوا طرفاً في النزاع القائم بين الدول العربية المتحررة والدول التابعة للسيطرة الاستعمارية »[٣] .

---

١ – نفس المصدر صفحة ٢٤١ .
٢ – نفس المصدر صفحة ٢٦٦ .
٣ – نفس المصدر صفحة ٢٦٦ .

خامساً : أدرك جيل النقمة ان محاربة عدو تقتضي معرفته ولذلك اخذ الشعور بدراسة فكر العدو وتكوين دولته السياسي وتكوين مؤسساته يزداد حدة . ومن المحاولات الجادة في هذا المجال كتاب « اسرائيل فكرة ، حركة ، دولة » لهاني هندي ومحسن ابراهيم .

سادساً – طرح جيل النقمة مسألة ابراز الكيان الفلسطيني ، ولكن مسألة ابراز الكيان ظلت غامضة متناقضة. فصبحي ياسين مثلاً يعتبر ان ايجاد الكيان الخاص بعرب فلسطين ضروري لتحقيق العودة ولكنه لا يرى انشاء حكومة فلسطينية ويقترح انشاء فرقة فدائية . وهو يطالب بتحرير الاردن من الحكم الرجعي ثم لا يلبث ان يطالب حكومة الاردن بالعودة الى الاتفاقية العسكرية لسنة١٩٥٦ واتفاقية المعونة العربية لسنة ١٩٥٧. بينما يوكل ناصر الدين النشاشيبي أمر انشاء الكيان الفلسطيني الى الجامعة العربية – والجامعة في اسوأ ما تكون عليه سنة ١٩٦٢ – ويطالب حكومة الاردن « ان ترد الجزء العربي من فلسطين الى اهله الفلسطينيين العرب ليقرروا مصيرهم بأنفسهم »هكذا ببساطة وبلاهة... وهو يريد ان يكون الكيان قادراً حيادياً ثورياً وان تتحقق ثوريته بالانتخابات...

ولم يكن جيل النقمة قادراً على ان يعطي للكيان مدلولاً ثورياً ، فظلت كلماته حديثاً مشوشاً . وهو – لعدم مقدرته على تقديم مضمون ثوري لمسألة عودة ابناء فلسطين الى ميادين الكفاح – يعتبر مسؤولاً عن وجود الشقيري ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ولم يستطع جيل النقمة ان يقوم بواجبه في تقييم ما يلي :

أولاً : علاقة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الوطن العربي بالنكبة . ذلك ان كل ما كتب في هذا المجال كان أقرب للتعليق السياسي .

ثانياً : النضال الشعبي في فلسطين ومدى فعاليته منذ الانتداب حتى الآن .

ثالثاً : النضال الشعبي في البلاد العربية ومدى مساهمته في مقاومة تهويد فلسطين.

رابعاً : دخول الجيوش العربية الى فلسطين .

ان تقييم ما ذكرناه هو الذي يعطي الصورة الحقيقية للهزيمة .

الترجمة

نلاحظ من قراءة الكتب المترجمة والتي لم تترجم مما له علاقة بقضية فلسطين ما يلي :

اولاً : ان الترجمة لا تسير حسب مخطط ، وأنها لذلك كثيراً ما تقدم كتاباً قليل القيمة ، بينما هنالك كتب ذات قيمة كبيرة مثل العالم السياسي للصهيونية الامريكية ، ومذكرات الكولونيل مينرتسهاجن وغيرهما لا يدري بها احد .

ثانياً : اكثر الترجمات سيئة ، تبدو السرعة فيها ، كما يبدو عدم الدقة والتصرف بالنص والتشويه احياناً .

وهذا يقتضي ان تعمل دورا النشر والدول العربية المتحررة على وضع مخطط للترجمة يستهدف ترجمة الكتب ذات القيمة . سيان منها ما يوضح موقف الفكر الغربي من اسرائيل او ما يوضح التفكير اليهودي ذاته .

اننا بحاجة لمعرفة عدونا ، ومعرفة اصدقائه واعدائه معرفة تامة .

ولذلك فإن علينا ان نتابع حركة الفكر العالمي لنقدم ما نرى في تقديمه فائدة. لقد أثارت الصهيونية العالمية مسألة تبرئة اليهود من دم المسيح فكان صدى المعركة مجرد ترديدات هزيلة في الصحف العربية ، مع ان الصحف الغربية افردت صفحاتها لمناقشة الموضوع ومن هذه الصحف الابزرفر البريطانية.

ولقد صدرت اكثر من دراسة من هذه الدراسات ... مع ان معرفة وجهات النظر السوفياتية ضرورية وهامة ...

ان علينا ان نتابع حركة الفكر العالمي وان نتلافى الارتجال والسرعة والاتجار بالفكر .

القسم الثاني

فلسطين

والتيارات السياسية في الوطن العربي

هنالك تيارات سياسية ذات أثر في قضيتنا . ما هي هذه التيارات ، ما كان أثرها في الماضي ، وماذا سيكون أثرها في المستقبل ؟

الهيئة العربية العليا

مرّ نضال عرب فلسطين ضد الصهيونية والاستعمار بمراحل من الممكن تحديدها من الناحية التنظيمية ، وهذه المراحل هي :

أولاً : الجمعيات الاسلامية – المسيحية، وكانت تجمعات وجاهات، واتخذت هذا الاسم تعبيراً عن وحدة الشعب ورداً لكيد مثيري النعرات الطائفية ولم تدم هذه المرحلة طويلاً، لأن مواجهة الاستعمار كانت تقتضي تجمعاً أعم واشمل.

ثانياً: المؤتمرات، وقد عقد منها خمسة ما بين آذار سنة ١٩١٩ وتموز سنة ١٩٢٨ . وكانت تجميعاً للوجاهات ، الا أن التجميع في هذه المرة لم يكن طائفياً كالجمعيات الاسلامية – المسيحية ، بل كان يمثل فلسطين تمثيلاً شاملاً . وكانت هذه المؤتمرات تنتخب لجاناً تنفيذية لتحقيق مقرراتها .

الا أن هذا التمثيل الشامل العفوي الذي لا يربطه تنظيم أصبح عاجزاً عن مواجهة المشكلة لاعتماده على وجاهات غير فعالة ، ولعدم مقدرته على التحول الى «منظمة» .

ثالثاً : الأحزاب ... بدأت الخلافات تعم الوجاهات حول أهداف المقاومة وأساليبها ، وبدأت فئات من « البرجوازية » تلتصق بالاستعمار أو تهادنه ، بسبب طبيعتها المهادنة، ومصالحها التي بدأت تزدهر في العهد الاستعماري، وكان أن نشأت خمسة أحزاب أهمها الحزب العربي الفلسطيني وحزت الدفاع الوطني في أوائل سنة ١٩٣٥ .

ولم تنقسم الوجاهات فقط بل انقسم العمال العرب أيضاً ، فتكونت جمعية

العمال العربية ، ومؤتمر العمال العرب ..[1].

وفي سنة ١٩٣٦ ، كان الجوُّ جوَّ ثورة فنشأت لجان قومية في مدن فلسطين لتوجيه النضال . وهنا وجدت الاحزاب نفسها مضطرة للعمل الموحد فتألفت «اللجنة العربية العليا لفلسطين »برئاسة الحاج أمين الحسيني ، وكان أعضاؤهـــا ممثلين عن الاحزاب الخمسة التي ذكرناها .

وفي الثلاثين من أيلول سنة ١٩٣٧ ، حلت حكومة الانتداب اللجان القومية واللجنة العربية العليا واضطهدت أعضاءها ، فاعتقل من اعتقل وفر من فرّ .

بـــدأ العمل من جديد بعد الحرب، وكان اكثر الزعماء خارج فلسطين الا ان الخلاف دبّ بين الاحزاب حول التعاون مع لجنة التحقيق الانكلو ــ امريكية التي شكلتها الامم المتحدة سنة ٤٦ فلما تحيزت اللجنة للصهيونية ثار الرأي العام في فلسطين ، وطالب بوحدة الصف لمواجهة المؤامرة الاستعمارية .

وعندما عقد مجلس الجامعة العربية دورتـــه في بلودن رأى أن تقود عرب فلسطين هيئة واحدة.وبعد التداول مـــع ممثلي الاحزاب والهيئات صدر قرار مجلس الجامعة بتشكيل « الهيئة العربيـــة العليا » في ١٢ حزيران ١٩٤٦ ، من : جمال الحسيني (نائباً للرئيس) وأحمد حلمي ، وحسين الخالدي وأميل الغوري أعضاء . أما الرئاسة فقد احتفظ بها للحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الذي كان ما زال في اوروبا . ولما عاد المفتي تولى رئاستها .[2]

لم تكن الهيئة منظمة شعبية كما نرى ،ولكنها كانت تحظى بتأييد الشعب كله، ولم يكن فيها من التناقضات ما في سالفتها « اللجنة العربية العليا » ذلك ان دعاة التعاون مع الاستعمار الذين اشتركوا في اخماد ثورة سنة ١٩٣٧ كانوا قد انكشفوا نهائياً ولم تبق لديهم حجة مقبولة تبرر المهاودة والمهادنة .

وكان أقوى ما في الهيئة شخصية رئيسها والتأييد الشعبي العفوي الذي يحظى به .

---

١ ــ الفئة الأولى ذات اتجـــاه قومي مؤيد للهيئة العربية العليا ، والثانية ذات اتجاه يساري مؤيد للشيوعيين .

٢ ــ ١٥ أيار ١٩٤٨ ــ اميل الغوري ــ دار النشر العربية .

سياسة الهيئة

بدأت الهيئة العمل وكانت قضية فلسطين تمر بمرحلة حرجة، ذلك ان المخطط الصهيوني كان على وشك ان يتحقق. واقتصر عمل الهيئة على الاتصالات السياسية في مجال السياسة العربية ولم تحقق أي تقدم في ميدان التنظيم الشعبي .

وفي السابع من تشرين الاول سنة ١٩٤٧ وافق مجلس الجامعة العربية على تقرير الخبراء العسكريين الخاص بدفاع عرب فلسطين والذي يقوم على الاساسين التاليين :

١ — جعل عرب فلسطين الأساس في الدفاع عن بلادهم واعدادهم لذلك .

٢ — مرابطة الجيوش العربية النظامية على حدود فلسطين وتسلل بعض الفنيين عند الحاجة .

وكان هذا هو الاتجاه الذي تبنته الهيئة. وانسجاماً مع هذه السياسية شكلت الهيئة جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني . وكانت الهيئة العربية العليا تتولى الصرف على الجهاد المقدس من المساعدات التي تحصل عليها . ولم يزد جيش الجهاد المقدس النظامي عن عشرة آلاف رجل ، بينما كان هنالك خمسة عشر ألف رجل آخرون يتلقون المعونة . وكانت امكانية الهيئة المادية قليلة لأن الدول العربية بدلاً من تنفيذ المقررات السابقة أخذت تهيىء نفسها لدخول فلسطين.

واتخذ مجلس الجامعة في ١٢ نيسان سنة ١٩٤٨ قراراً بدخول الجيوش العربية الى فلسطين عند انتهاء الانتداب في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ تجاوزاً للقرار السابق وتحدياً لارادة الهيئة العربية العليا . وبدخول الجيوش العربية الى فلسطين اصبح دور الجهاد المقدس ثانوياً وحاولت السلطات الاردنية أن تقضي عليه منذ اللحظة التي دخل بها الجيش الاردني ارض فلسطين ، واستمرت محاولاتها حتى استطاعت تحقيق ما أرادت باحتلال مقر قيادة الجهاد المقدس[١] .

ومنذ ذلك الحين وأمر فلسطين في أيدى الحكومات العربية والحكومة

---

١ — كارثة فلسطين — عبد الله التل صفحة ٢٦٣ ، وفلسطين من مشاكل الحرية والسلام شفيق ارشيدات صفحة ٢٥٢ — ٢٥٦ .

الاردنية خاصة ، التي استولت على ما تبقى من فلسطين .

وكان رئيس الهيئةالعربية العليا يحاول ان يفعل شيئاً بينما كانت الامور تزداد سوءاً . وقد وصل الى غزة في أواخر سنة ١٩٤٨ بعد ان ضاع اكثر فلسطين وجمع مؤتمراً وطنياً فلسطينياً هدف منه الى انتزاع القضية من ايدي الرجعية العربية والدول الخائنة ولكن محاولته باءت بالفشل، لان الحكومة المصرية اجبرته على مغادرة غزة قبل ان تتحقق الأحلام .

تكوين الهيئة

قامت الهيئة كما ذكرنا بقرار من مجلس الجامعة ممثلة للاحزاب في فلسطين ، وكانت قيادات هذه الاحزاب من وجاهات المدن ، وتمثل تجمعات سطحية ، يحظى بعضها بالتأييد كالحزب العربي الفلسطيني ولكنه تأييد عفوي ، يعتمد على الزلم والانصار اكثر مما يعتمد على التنظيم والتثقيف .

وكانت القضية المطروحة قضية قومية ، لذلك كان التأييد لها شبه اجماعي ، لا يشذ عنه الا عملاء الاستعمار.ولم تستفد الهيئة العربية من التأييد الشامل الذي كانت تحظى به ، بل تركته يشتد ويفتر حسب الظروف وانصرفت الى معالجة امور السياسة العربية والجهاد المقدس.وكان من الصعب ان تستطيع الهيئة ان تنتصر في ميدان السياسة العربية لارتباط الدول العربية ارتباطاً وثيقاً بالاستعمار، لاسيما حكومتا العراق والاردن ، وتصميمها على تحقيق الحلم الصهيوني بقيام دولة اسرائيل في قسم من فلسطين ، كما كان من الصعب ان تنتصر الهيئة في فلسطين ، للأسباب التالية :

أولاً : كان الانتصار يقتضي اعداد الشعب اعداداً ثورياً شاملاً ، ولم تقم الهيئة بهذا او ببعض منه .

ثانياً : وكان الاستعمار قبل أواخر سنة ١٩٤٧ يحارب عرب فلسطين حرباً شعواء ويبذل كل جهوده للقضاء على مقاومتهم وتفريق صفوفهم ...

ثالثاً : وكانت القيادات من الفئات المستغلة للشعب، العاملة من اجل مصالحها،

ولم تكن ذات صلة وثيقة بالشعب واعتمدت على « الزلم » والانصار اكثر من اعتمادها على المناضلين الواعين .

رابعاً : وكانت الحكومات العربية رجعية عميلة ، تخضع لتوجيه الاستعمار ، كما كان بعضها ذا مطامح اقليمية . فدخلت جيوشها لتحقق هذه المطامح .

وكان نتيجة لهذا كله ان احتل اليهود اكثر اراضي فلسطين بعد دخول الجيوش العربية . وخضعت غزة وبقية الضفة الغربية ، لحكومتي مصر والاردن .. أما غزة فظلت جزءاً من فلسطين وان كان يحكمها حاكم من القطر المصري ، وأما بقية الضفة الغربية فقد أعلن عبدالله بن الحسين ملكاً عليها سنة ١٩٥٠ ، وأضحت جزءاً من المملكة الاردنية الهاشمية .

وطبقت الحكومات الرجعية على أبناء فلسطين اللاجئين وغير اللاجئين ما تطبقه على أبناء الشعب العربي من ظلم واضطهاد وارهاب . واصبحت قضية فلسطين من خصوصيات هذه الحكومات ، ونامت الهيئة العربية العليا السنين الطوال ولم تبدأ كفاحها من جديد الا بعد انتقال رئيسها الحاج أمين الحسيني من القاهرة لبيروت وانحراف ثورة الرابع عشر من تموز .

ومنذ سنة ١٩٥٩ بدأت الهيئة العربية العليا تنشط في لبنان، فماذا كانت أهدافها ، وما هو الطريق الذي اقترحته للنضال .

ترى الهيئة :

١ – أن الدول العربية هي المسؤولة عن الهزيمة في فلسطين بسبب أطماعها وارتباطاتها بالاستعمار .. الخ .

٢ – أن أبناء فلسطين ابعدوا عن الميدان وما زالوا مبعدين ولذلك فالحل الامثل يتلخص فيما يلي :

أ – ادخال تبديل جذري اساسي على السياسة العربية الرسمية سواء بالنسبة لقضية فلسطين او بالنسبة للدول الاجنبية التي تؤيد الاستعمار والصهيونية فيعود العرب بقضية فلسطين الى الاساس الذي نشأت عنه في عام ١٩١٨ فتعلن الدول

العربية وجامعتها في الدوائر السياسية والمحافل الدولية تمسكها بمطالب العرب المعروفة بصدد فلسطين وعدم اعترافها بكل ما طرأ على فلسطين من اوضاع منذ عام ١٩١٨ ، ومنذ ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ خاصة ، كذلك تعلن الدول العربية وجامعتها رفضها لمقررات التقسيم والتدويل الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، فتكف عن المطالبة بتنفيذها ، وتأخذ بمبدأ تحرير فلسطين وازالة الدولة اليهودية، وتعلنه سياسة رسمية أبدية لها[1] .

ب — « أن تقف الدول العربية موقف الحياد المطلق وعدم الانحياز لاية من الدول المتصارعة ، أما الدول التي تؤيد الصهيونية وتساعد دولتها فإن على الدول العربية ان تقف منها مواقف جدية حازمة فتمتنع عن التعامل معها وتقطع علاقتها بها وتغلق اسواقها وبلادها في وجه تجارتها ومشاريعها المختلفة ما لم تقلع هذه الدول نهائياً عن تأييد الصهيونية » [2] .

ج — «توحيد الصف العربي وازالة جميع الخلافات والمنازعات وحشد جميع امكانيات العرب وقواهم وتكريسها لمقاومة الصهيونية [3] .

د — « العمل على ابراز شخصية الشعب الفلسطيني واعلان استقلال فلسطين ضمن حدودها المعروفة منذ عام ١٩١٨ . وتشكيل جيش فلسطيني خاص يكون الطليعة في زحف الامة العربية وجيوشها لانقاذ فلسطين وتدريب جميع الفلسطينيين من سن ١٨ الى ٥٠ تدريباً عسكرياً اجبارياً » [4] .

ه — «جعل قضية فلسطين في وضع شبيه بالوضع الذي عليه قضية الجزائر فيدافع عنها الفلسطينيون ويناضلون في سبيلها تساندهم وتساعدهم الحكومات والشعوب العربية وتؤيدهم الدول الصديقة » [5] .

انطلقت الهيئة من هذه « المبادىء » في جميع اعمالها ، وعندما صدر « ميثاقها » في العاشر من ايلول سنة ١٩٦٢ ، كان تكريساً لهذه المبادىء .

ويبدو ، فيما سلف ، تفكير الهيئة السطحي ، فالمنازعات بين البلاد العربية

---

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ - كتاب المعذبون في أرض العرب لاميل الغوري صفحة ١٦٩ -١٧٢ صدر في بيروت سنة ١٩٦٠ .

ليست عشائرية حتى يتم الصلح عليها ، انـه صراع بين التحرر والاستسلام ، بين الرجعية والتقدم ، تقف فيه الرجعية مع الاستعمار والصهيونية ضد التقدم كما أثبتت معركة القناة سنة ١٩٥٦ .

أدى جهل هذه الحقيقة الى جهل حقيقة أخرى وهي : ان الدول العربيـة الخاضعة للتسلط الاستعماري لايمكن ان تكون قادرة على اتخاذ مواقف جديـة حازمة من الدول التي تؤيد الصهيونية . وسيكون مضحكاً وغريباً أن نطالب الاردن مثلاً باتخاذ مواقف جدية حازمة من الولايات المتحدة الامريكية . كما انه سيكون مضحكاً وغريباً ان نطالب الاردن – وهو فيما هو عليه – بعمل شيء من اجل قضية فلسطين .

وطبيعي ان يؤدي تجاهل طبيعة الصراع القائم اليوم في الوطن العربي وتجاهل طبيعة العلاقات بين الرجعية والاستعمار الى التورط في سياسة رجعية كشفتهـا علاقات الهيئة مع حكام بغداد ... وارتباطها بهم في الوقـت الذي كانوا فيه يخونون القضية العربية .

أما بعث كيان فلسطين ، فهو مناورة ترمي الهيئة من ورائهـا الى استعادة زعامتها الضائعة ...

وسنترك هذه الناحية الآن ، لأنا ناقشناها فيما قبل ، وسنناقشها فيما بعد[1] .

كل ما نود أن نقوله الآن عن الهيئة هو ما يلي :

أولاً : الهيئة تجمع يضم شخصيـات من مخلفـات نضال فلسطين ، وهؤلاء الاشخاص من جيل الهزيمـة الفردي الاناني ، الذي أصبح الآن بعيداً عن مجرى الثورة العربية .

ثانياً : ما زالت الهيئة تعتمد على تجمعات الزلم والانصار أكثر مما تعتمد على « التنظيم الثوري » .

ثالثاً : وما زال رئيسها الحاج امين الحسيني يتمتع بالنفوذ ذاتـه على المريدين

---

١ – أقرأ قضية فلسطين في الامم المتحدة ، وتذكرة عودة يقدمها ناصر الدين النشاشيبي ، ومجلة فلسطيننا ومعركة تحرير فلسطين (في القسم الأول من الكتاب) .

والانصار الذي كان يتمتع به من قبل ، وترتبط زعامته الفردية بوجود الهيئة ارتباطاً وثيقاً .

رابعاً : يرتبط رئيس الهيئة بعلاقات وثيقة مع كثير من الشخصيات العربيـة والاسلامية ... وهي شخصيات رجعية أو عميلة . ولا تربطه اليوم بالقيادات التقدمية أية علاقة .

خامساً : وتحاول الهيئة اليوم ان تفرض نفوذهـا على أبناء فلسطين ، بكل الوسائـل ، ولكنها – ومع انهيار أنظمة الحكم الرجعية – تواجـه الهزائم المتتالية .

ان على الهيئة ، التي ما زالت تحاول دخول الميدان بعقلية سنة ١٩٣٦ ، ان تدرك بان الظروف الموضوعية تختلف اليوم عنها فيما مضى . وعليهـا ان تدرك أيضاً ان الشعب الذي عرف مرارة التجربة ، لايمكن ان يعود الى الميدان بالاسلحة العتيقة ، والخطط المرتجلة الهزيلة .

حزب البعث العربي الاشتراكي

ومعركة فلسطين

لقد نشأ حزب البعث سنة ١٩٤٠ ، وكان ذلك على أثر ضياع الاسكندرون . ومنذ البدء نظر الحزب للقضية القومية نظرة شاملة ، فربط بين النضال من اجل تحرير فلسطين ومعركة الوحدة والحرية والاشتراكية . فالنضال من اجل تحرير فلسطين هو نضال الجماهير ضد الاقطاعية والبرجوازية والتجزئة والاستعمار .

ونستطيع ان نحدد مراحل اربعاً مرّ فيها نضال الحزب من اجل تحرير فلسطين :

الاولى ١٩٤٠ – ١٩٥٤

الثانية ١٩٥٤ – ١٩٥٨

الثالثة ١٩٥٨ – ١٩٦٣

الرابعة ١٩٦٣ – حتى الآن .

من نشوء الحزب حتى القضاء على الشيشكلي ١٩٤٠ – ١٩٥٤ .

الفترة الاولى ١٩٤٠ – ١٩٤٩ .

كان الحزب خلال هذه المرحلة فئة صغيرة معارضة في سورية، كل ما حاولت ان تفعله هو ان تدعو الدول العربية للقيام بواجبها في معركة تحرير فلسطين وان تكشف تخاذلها ، طالبة من الجماهير ان تتسلم زمام المبادرة لانقاذ فلسطين من

العدوان الاستعماري الصهيوني .

وقد اتخذ الحزب قراراً في اجتماع مجلســـه يوم ١٥ و ١٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ «بتجنيد جميع اعضائه للاشتراك في المجهود الحربي في داخل البلاد العربية او في خطوط فلسطين الامامية، كما قرر ارسال اول كتيبة الى الجبهة بقيادة لجنة الحزب التنفيذية »[١] .

ودخلت كتائبه معركة فلسطين ، ولكن تفكيره في هذه المرحلة كان مجرد دعوة للدول العربية لكي تعمل وللشعب العربي لكي يتحرك . ولعل خير ما يمثل تفكير الحزب في هذه المرحلة هو المقال الذي كتبه صلاح الدين البيطار في ١٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٧ [٢].يقول صلاح الدين البيطار : « هذه الحرب ترتب على العرب شعباً وحكومات مسؤوليات ثقيلة وتحملهم تضحيات قاسية .

اما واجبات الشعب فهي تتلخص في ان يلبس للحرب لبوسهـــا ويهيىء لها سبيل الظفر ، فينهي عهد السلم والرخاء واللامبالاة الذي جره الى مواجهة هذه الكارثة القومية،ويبدأ عهداً جديداً يضع كل عربي وعربية فيه نفسيهما في سبيل المجهود الحربي الذي يجب ان يضم البلاد العربية كلها .

اما الحكومات فواجباتها اعظم لاتساع دائرة اعمالها ونفوذها :

اولاً — على الحكومات العربية ان تحيط علماً بان السياسة الدولية التي اتبعتها ازاء قضية فلسطين قد فشلت فشلاً كلياً وان عليها اليوم واجب تبديـل هـــذه السياسة من اساسها .

ثانياً — على الحكومات العربية ان تقتنع بان النجاح السياسي في الحقل الدولي يستمد قوته من الموقف السياسي في الداخل الخ ...

ثالثاً — على الحكومات العربية اتخاذ الخطوات اللازمـة في وجه الدول التي ايدت التقسيم ولاسيما التي حملت لواء تحقيقه ، وهذه الخطوات تنطوي على قطع العلاقات الاقتصادية والثقافية والدبلوماسية .

---

١ — نضال البعث الجزء الاول صفحة ٢٣٨ — ٢٣٩ (دار الطليعة — بيروت ١٩٦٣) .

٢ — المصدر السابق ٢٢٩ — ٢٣٣ .

رابعاً – تعبئة جميع القوى المادية والمعنوية في الوطن العربي لسحق الصهيونية الخ . . »

ويرى الاستاذ البيطار ان الجهاد في سبيل وحدة فلسطين وعروبتها ليس وفاء للتاريخ العربي وتلبية لنداء الاجداد وحسب ، بل للحؤول ايضاً دون تهديد الاقطار العربية جمعاء ودون وقوعها فريسة بين يدي هذا الاستعمار الجديد « الصهيونية العالمية » .

وكان الحزب حريصاً على تحذير الدول الاجنبية من تأييدها للصهيونية منذ سنة ١٩٤٤ [١] كما كان حريصاً على رفض كل المشاريع الاستعمارية مثل مشروع بيفن [٢]. وطالب الحزب باستقلال فلسطين ووحدتها وانشاء دولة عربية فيها[٣].

ولم يكن خافياً على الحزب ، تهاون الدول العربية وضعف القيادة الشعبية ، حتى انه حذر في بيان له صدر بتاريخ ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٧ من وجود خطر يهدد عروبة فلسطين بالفناء [٤] ويكشف البيان اضطرار الحكومات امام افتضاح الواقع ، واقتراب وقوع الخطر ، وتحت ضغط النقمة الشعبية المتزايدة الى تقرير سياسة المقاومة العملية المباشرة والجهاد العاجل. ويشير البيان الى انه ، من الراجح ان يبقى قرار الحكومات العربية في حدود الكلام ، او ان يأتي تنفيذه فاتراً ضعيف الجدوى اذا لم يغتنم الشعب العربي في سائر اقطار ، هذه الفرصة فيقبض على قضية فلسطين بيديه ، ويحول هكذا دون تراجع الحكومات او تلاعبها .

وحاول الحزب ان يحول القضية الى قضية شعبية بنقلها الى القيادات الوطنية [٥] .

كما كان يطالب دائماً باتخاذ مواقف صارمة من الاستعمار بتهديد مصالحه

---

١ – المصدر السابق صفحة ٤١ ، ٦٩ .
٢ – المصدر السابق صفحة ١٢٠.
٣ – المصدر السابق صفحة ١٢٠ – ١٣٧ .
٤ – المصدر السابق صفحة ٢٢٦ .
٥ – نفس المصدر ٢٢٢ .

الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية [١] وبفسخ اتفاقيات البترول [٢] .

وقد انتقد الحزب في الخامس عشر من شباط سنة ١٩٤٨ الوضع في فلسطين، فبين حالة الهدوء غير العادية التي تخيم على فلسطين ، والتي لا تنسجم مع ما وصلت اليه قضية فلسطين من خطورة، كما بين ان حدوث معارك بسيطة لا غاية لها ولا هدف، واحداث اضطرابات تسير على هذا الشكل ، لايفيد العرب مطلقاً ويسيء الى فلسطين كل الاساءة، لأن ذلك يظهر العرب اضعف من ان يقوموا بعمل حاسم .

وناضل الحزب لمقاومة الفساد والرجعية وتزوير الانتخابات في سورية ، وفي سبيل قيام حكم شعبي حر ، كاشفاً العلاقة بين الاوضاع الفاسدة وضياع فلسطين [٣] .

ولو حاولنا ان نحلل موقفه في هذه الفترة لوجدناه متناسباً مع مستوى الوعي الحزبي. فالحزب في هذه المرحلة كان داعية انتخابات حرة نزيهة ، وليس داعية ثورة ، فهو يقاوم التزوير ، ويطالب بابعاد الرجعية الحاكمة المسؤولة عن الفساد والتزير وضياع فلسطين .

هذا على الرغم من ان الحزب حدد في دستوره الصادر في السادس من نيسان سنة ١٩٤٧ طريقة نضاله الانقلابية التي لا تؤمن « بالاصلاح البطيء والتطور الجزئي» [٤] . ولما لم تكن للحزب في هذه الفترة قواعد خارج سوريا فقد انحصر أثره فيها .

الفترة الثانية

١٩٤٩ — ١٩٥٤

لم يتغير موقف الحزب في هذه الفترة بل ازداد وضوحاً ، وتحولت الدعوة

---

١ ، ٢ — نفس المصدر ٢٢٢ ، ٢٢٢ ، ٢٣٨ .

٣ — نفس المصدر في سبيل دفع النكبات عن البلاد العربية يجب تبديل الحكومات واجراء انتخابات جديدة صفحة ٢٥٣ — ٢٥٦ .

٤ — نفس المصدر — المادة (٥) من المبادىء العامة ١٧٢ — ١٩٢ .

العامة للنضال الشعبي ولمقاومة الاستعمار الى شعارات محددة .

ولقد ركز الحزب في هذه الفترة على مبادىء اربعة :

اولها : ان النضال العربي الشعبي الموحد هو طريق التحرر عامة وطريق تحرير فلسطين خاصة . وهذا يقتضي القضاء على الاقطاعية لان الاقطاعية هي التي اضاعت فلسطين ، ولانها هي والاستعمار والصهيونية شيء واحد [1] وانبثق من هذا المبدأ شعاران، الاول : ان تحرير فلسطين مرهون بتحقيق الوحدة والثاني ان قيام جامعة عربية شعبية هو البديل لجامعة الدول العربية .

ثانيها : ان فلسطين لن تتحرر دون التحرر المطلق من الاستعمار . ولهذا دعم الحزب نضال مصر من اجل الجلاء ورفض مشاريع الدفاع المشترك والمساعدات الامريكية [2] .

ثالثها : ان قيام نظام اشتراكي يحقق العدالة الاجتماعية واجب قومي . وكذلك طالب الحزب بالغاء المؤسسات الاستعمارية وتأميم الشركات الاستعمارية ومقاطعة البضائع الاجنبية [3] .

رابعها : ان الحياد هو التعبير الفعلي عن سياسة استقلالية تخدم مصالح الشعب . ويعني هذا الحياد جلاء القوات الاجنبية المحتلة [4] ورفض مشاريع الدفاع المشترك والمساعدات الامريكية . فاذا كان الغرب يخوفنا من عدوان مزعوم فانه هو يمارس العدوان علينا .

وكانت هذه المبادىء نقطة تحول في السياسة العربية لأنها كشفت الاسباب الحقيقية للنكبة ، وطرحت طريقة حلها . الا ان افكار الحزب لم تجعل من هذه

---

١ – المصدر السابق – الجزء الثاني صفحة ٨١ – ٨٢ – ٨٣ و ١٢٧ – ١٣٣ و ١٤٨ – ١٤٩ و ١٥٧ – ١٦٠.

٢ – المصدر السابق – الجزء الثاني صفحة ١٢٧ – ١٣٣ و ١٤٨ – ١٤٩ و ١٥٧ – ١٦٠ و ١٧١ – ١٧٣ و ١٨٥ – ١٩٠ و ٢٧٨ – ٢٨٠ .

٣ – المصدر السابق – الجزء الثاني صفحة ١٤٤ – ١٤٥ و ٨٥ – ٨٧.

٤ – المصدر السابق – الجزء الثاني صفحة ٨٨ – ٩٠ و ١٢٧ – ١٣٣ و ١٤٨ – ١٤٩ و ١٥٣ – ١٥٤ الخ ...

المبادىء دعوة ثورية فانشغل في الدعوة لانتخابات نزيهة ونظام دستوري حقيقي ، وكانــت قيادة الحزب تعتقد ان قيام نظام ديمقراطي دستوري ممكن اذا مـــا استصدرنا القوانين الكفيلة بتحقيق ذلك. ولم يبين الحزب بالضبط مضمون هــذه القوانين الا انه حدد وظيفتها بحمايــة العمال والفلاحين وضمان حرية المواطنين في اختيار ممثليهم [١] .

ظهر هذا الاتجاه في الموقف الذي اتخذه الحزب من الانقلابات العسكريــة . فلقد كان الحزب يطالب كل انقلاب بتشكيل حكومة مؤقتة من عناصر يرضى عنها الشعب واجراء انتخابات حرة .. الخ.. وحين يكتشف ان الانقلاب يسير في غير هذه السبيل يقاومه حتى ينهار ... وهكذا .

لقد حرض الحزب الجماهير ضد الحكم الاقطاعي العميـــل في سورية فتحرك العسكريون تحت شعاراته واستولوا على السلطة ليسيروا في الطريق الذي سارت عليه الرجعية الحاكمة قبلهم .

ان مـــا يسجل للحزب في هذه الفترة هو قيامه بدور قيادي في مقاومـــة الاستعمار واحلافه ومشاريعه والدعوة للنضال الشعبي وللوحدة العربية . وكان دوره في سورية اكبر منه خارجها ذلـــك انه لم يبدأ العمل في الاردن والعراق ولبنان الا في بداية هذه الفترة .

وتنتهي هذه المرحلة باشتراك الحزب اشتراكاً فعالاً في الانقلاب العسكري الذي اطاح بأديب الشيشكلي .

الفترة الثالثة

١٩٥٤ — ١٩٥٨

خرج الحزب منتصراً من معركة القضاء على حكم الشيشكلي في ربيع سنة ١٩٥٤ ، ومارس العمل العلني في سورية منذ ذلك الحين وفاز في الانتخابات التي جرت في ايلول من ذلك العام بسبعة عشر مقعداً في البرلمان السوري . وساهم في

---

١ — المصدر السابق الجزء الثاني صفحة ١٦٣ — ١٦٦ .

الاردن والعراق منذ بداية هذه المرحلة بمقاومة مشروع حلف بغداد . ولقـــد انتصر في الاردن وفشل في العراق ولكن دوره كان بارزاً في البلدين .

وفي هذه المرحلة استمر في النضال من اجل تحقيق مبادئه التي ذكرناهـــا في المرحلة السابقة . وكان نضاله يستهدف تحقيق ما يلي :

اولاً – مقاومة حلف بغداد ثم مشروع ايزنهاور وكل المشاريـع الاستعمارية.
ثانياً – تحرير العراق من الحلف وتحرير الاردن من السيطرة البريطانية .
ثالثاً – قيام تعاون بين الحكومات العربية المعادية للاحلاف .
رابعاً – قيام حكم قومي في سورية وحكم وطني في الاردن .
خامساً – اتحاد مصر و سورية .

وكان الحزب يعي الترابط بين هذه الاهداف وتحرير فلسطين ، ذلك ان قيام حكم قومي في سورية وتحرير الاردن وتعـاون الحكومات العربية المعاديـة للاحلاف واتحاد مصر وسورية تؤدي كلها الى وجود قوة عربيـة تستطيـع ان تواجه العدوان الصهيوني .

وفي الوقت الذي كان الحزب فيه يخوض معارك انقاذ سورية من الاحلاف وتحرير الاردن من السيطرة الاجنبية ، كان يعلن ان سلوك سياسة استقلالية هو الطريق لتحرير فلسطين . وتكون السياسة الاستقلالية في نظر الحزب بمقاومة الاحلاف واتباع سياسة الحياد والتسلح من اية جهة [1] .

الحكم القومي في سورية

منذ ١٩٤٨ وسوريا تعيش اضطراباً سياسياً تمثل في الانقلابات العسكريـــة المتعاقبة ، التي كان من اسبابها مؤامرات الاستعمار لربط سورية بمشاريعه. وحين نجح الانقلاب ضد الشيشكلي كان هدف الفئات السياسية المتنازعة في سوريا ايجاد نوع من الاستقرار السياسي. وكان من المتفق عليه ان هذا لن يتحقق الا بانتخابات

---

١ – نضال البعث الجزء الثالث ذكرى وعد بلفور وذكرى ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٥ ، ص ١٥٦ – ١٥٩ .

حرة وقيام نظام برلماني ديمقراطي . وقد جرت انتخابات في ايلول من سنة ١٩٥٤ فاز فيها حزب الشعب ، حزب الاقطاعية ، بالاكثرية النسبية من المقاعد تلاه الحزب الوطني ثم حزب البعث العربي الاشتراكي . وكان عدد المستقلين حوالي النصف او يزيد موزعين على تكتلات . ولم يكن ممكناً قيام حكم حزبي مستقر لسببين :

الأول : يعود لوجود اكثرية رجعية موزعة على احزاب وتكتلات ذات مصالح وارتباطات استعمارية .

الثاني : يعود لوجود حزب البعث العربي الاشتراكي وشعاراته في الوحدة والحرية والاشتراكية والتفاف الجماهير حول هذه الشعارات .

وكان نتيجة لهذا ان بدأ الصراع من جديد ، وانقسم الجيش الى تكتلات ، كل منها مرتبط بتكتل سياسي او مؤيد له ، وعادت سورية الى عدم الاستقرار السياسي في أشد ظروف التدخل الاستعماري حراجة .

وسعت الرجعية لقيام حكم ائتلافي جُرّ اليه حزب البعث العربي الاشتراكي ولكنه اكتشف انه اقتيد الى مصيدة ، فانسحب ودعا الى قيام حكم قومي ملتزم بميثاق قومي .

وقدم الحزب مشروع ميثاق قومي وكان في مقدمته يربط الاستعمار بالصهيونية واسرائيل ، كما يربط التحرر بالوحدة والقضية العربية بمعركة الحرية في آسيا وافريقيا . ونصت المادة الأولى على مقاومة الاستعمار والصهيونية واسرائيل ومناهضة الاحلاف العسكرية الاجنبية وكل سياسة تتجه في هذا السبيل ، باعتبارها تربط مصير العرب بعجلة الاستعمار وتفرض في الوطن العربي السيطرة الاجنبية وتساعد على استمرار التجزئة واحكامها ، وتنص الفقرة (أ) من المادة الثانية على « اعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري » . كما نص مشروع الميثاق على ضرورة استبدال المعونة البريطانية للأردن بمعونة عربية . وربط الحزب بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية فطالب في مشروعه باستصدار قوانين لحماية العمال والفلاحين . وبعد مناقشات طويلة ، وافقت

الفئات جميعاً على تعديل للمشروع يفقده الكثير من اصله ووحدته ، حتى ان مندوب حزب البعث صرح بعد انتهاء المناقشات، «بأن حزبه غير مقتنع بالميثاق وان كانت الظروف قد املته عليه »[1] .

وقام الحكم القومي على هذا الأساس ، ولكنه لم يكن متجانساً تجانساً يجعله قادراً على العمل فقاد حزب البعث حملة من اجل حكومة اكثر انسجاماً وقد تم له ذلك .

وكان الحكم القومي يقوم على تحالف عناصر الحزب الوطني من ممثلي الرأسمالية الوطنية وحزب البعث العربي الاشتراكي وبعض المستقلين الوطنيين ويدعمه الضباط الوطنيون في الجيش والرأي العام في الشارع .

تحرير الاردن

ساهم حزب البعث – كما ذكرنا – في دفع مؤامرة حلف بغداد عن الاردن مساهمة فعالة . ولكن الحزب كان يعرف ان الاردن لن يتحرر اذا لم يتحرر الجيش العربي الاردني من قيادته البريطانية ، واذا لم تستبدل المعونة البريطانية بمعونة عربية . وفي الثامن عشر من شباط ١٩٥٥ اصدر الحزب بياناً مشتركاً مع الحزب التقدمي الاشتراكي طالب فيه « بتبني سياسة عربية خارجية موحدة مستقلة ، تقوم على اعتماد العرب على انفسهم في الدفاع عن وطنهم وكيانهم والتعبير العملي عن هذه السياسة هو رفض حلف السعيد – تركيا رفضاً صريحاً قاطعاً ، وتقوية ميثاق الضمان الجماعي بانشاء الجيش العربي المشترك ذو القيادة الموحدة من الدول العربية التي تتبنى هذه السياسة وترفض الدخول في الاحلاف، مع السعي الجدي لتوفير الاسباب التي تكفل تحرير الجيش الاردني تحريراً تاماً كشرط ضروري ليكون الجيش المشترك ذو القيادة الموحدة عربياً جوهراً وشكلاً»[2] . وفي البيان الذي اصدره الحزب في العشرين من نيسان سنة ١٩٥٦

---

١ – جريدة البعث العدد (٣) مناقشات لجنة الميثاق ١٩٥٦/٥/٤ .
٢ – المصدر السابق الجزء الثالث ٨٤ – ٨٧ .

بمناسبة ذكرى الجلاء عن سوريا ، انتقد البيان الثنائي السوري الاردني الذي اعلن يوم ١٩٥٦/٤/١١ لانه لم يذكر مسألة المساعدة العربية للأردن[١] . وقد اعتبر صلاح الدين البيطار عضو القيادة القومية للحزب ان طرد كلوب نصر للعرب[٢] . وفي ١٩٥٦/٥/١١ كتب اكرم الحوراني عضو القيادة القومية للحزب آنذاك ، مقالاً افتتاحياً في العدد الرابع من جريدة البعث عنوانه « سيظل الاردن يلعب الدور الرئيسي في معركة فلسطين » بدأه كما يلي « امام العرب والسياسة العربية التحررية الآن نهجان : اما ان تجعل من الاردن صخرة النجاة ومرتكز الظفر ، واما ان تجعله ثغرة الضعف والمقتل ، وما نظن ان هناك مجالاً للخيار » . وجاء في هذا المقال الافتتاحي « وتجمد وضع اسرائيل فالعدوان الذي كانت تهدد به اوقفته ، واذا كان لصفقة السلاح المصرية نصيب في احباط خطة اسرائيل العدوانية، واذا كان للسياسة التحررية المصرية السورية نصيب فللأردن ايضاً نصيب وليس قليلاً » .

« تلك أول نتيجة لتحرر الأردن من القيادة البريطانية ، وتلتها ثانية ؛ لقد امد السياسة العربية بمدد جديد، لقد رد الأردن الى السياسة التحررية ما قدمت له من دعم حين التحرر ، فقدم لها دعماً وقوة ، فعقد الاتفاق الثنائي الاردني المصري دعْم للسياسة التحررية وقوة ، ولذلك يمكن ان تمضي السياسة العربية التحررية ، تؤمن تبادل التفاعل والدعم بين اجزاء الوطن العربي لتزداد هي دائماً قوة » .

« وهكذا بدأ الاردن يصبح صخرة النجاة ومرتكز الظفر ... نقول بدأ لأن على السياسة العربية التحررية ان تجعله ينتهي الى هذا المنتهى ، والطريق بينة :

فأولاً : يجب ان تقدم سريعاً المعونة المالية . لقد كانت مباحثات تجري من

---

١ — الثورة والجماهير — المؤلف صفحة ٨١ — ٨٤ الطبعة الأولى .

٢ نضال البعث— الجزء الثالث صفحة ١٧٢ — الخطاب الذي القاه صلاح الدين البيطار في ذكرى الجلاء ١٩٥٦/٤/٢٠ .

قبل حول هذه المعونة ولكننا لا نسمع لها حساً او ذكراً الآن « اليس هذا غريباً؟ لقد كان يوضع لها شرط ابعاد القيادة البريطانية ولكنها ابعدت وانضاف الى ذلك أيضاً هذ الاتفاق الثنائي المصري — الأردني .

ثانياً — تسليح الحرس الوطني الأردني ... انه واجب ان تدعم القوة النفسية عند هؤلاء الفدائيين بالقدرة المادية بالسلاح .

ان من متممات السياسة العربية التحررية التي كان من ثمراتها تسليح الجيشين المصري والسوري ، وتلك الاتفاقيات الثنائية وتوحيد القيادة العربية الحرة ، ان تمد للأردن في القوة الى آخر الحدود ، خاصة والظرف الدولي موات وكذلك الوضع العربي وعندئذ يصبح الأردن حقاً صخرة النجاة ومرتكز الظفر » .

وكتبت جريدة البعث مقالاً بتاريخ ٢٥/٥/٥٦ حول تعثر الوضع في الأردن طالبت فيه بالتخلص من المعاهدة البريطانية — الاردنية والمعونة البريطانية للأردن[١] وعادت جريدة البعث فناقشت الموضوع ذاته بتاريخ ٨/٦/٩٥٦ فكتب صلاح الدين البيطار مقالاً افتتاحياً حول المعونة العربية للاردن[٢] .

وأخذ الأردن يتقدم على طريق التضامن العربي فعقد اتفاق الوحدة الاقتصادية يوم ٢٤/٨/٩٥٦ بين سورية والاردن واحتفل به الشعب والحزب احتفالاً عظيماً. وعقد بعد شهرين اتفاق عسكري ثلاثي بين مصر وسورية والأردن جعل لجيوش البلدان الثلاثية قيادة موحدة . وكان هدف الاتفاقية « توحيد وسائل الدفاع في الجبهات العربية » . وفي السادس عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ ابرمت اتفاقية التضامن العربي فبلغ الحزب الغرض الذي ناضل من اجله مع جماهير الشعب والفئات الوطنية الأخرى . إلا ان الحلم لم يدم طويلاً اذ ان الانقلاب الرجعي الذي تم في الاسبوع الثاني من نيسان من نفس العام قضى على الاتفاقية ولما تبلغ شهرها الرابع .

---

١ — جريدة البعث — العدد ٦ ، في ٢٥/٥/٩٥٦ .
٢ — جريدة البعث — العدد ٨ في ٨/٦/٩٥٦ .

اعتبر حزب البعث العربي الاشتراكي « أن وحدة النضال العربي هي سبيل الأمة العربية من أجل الوحدة والتحرر »(1) . وحين التقت مصر مع سورية على طريق مقاومة الأحلاف رفع الحزب شعار اتحاد مصر وسورية . يقول صلاح الدين البيطار في مقال كتبه سنة ١٩٥٥ بعنوان « بداية الطريق نحو الوحدة العربية » « ان بداية الطريق نحو الوحدة العربية اليوم هي اولاً في اتحاد سورية ومصر البلدين الأكثر تحرراً من البلدان العربيـة الأخرى ، وثانياً في العمل وفق وحي هذه النظرة القومية العربية، على توفير الأوضاع اللازمة في الأقطار العربية الأخرى لكي تنضم بأسرع وقت الى هذا الاتحاد ، فاتحاد سورية ومصر لا يمكن ان يرسخ ويقوى ويبقى إلا إذا انضمت اليه الأقطار العربيـة الاخرى بشعبها العربي وامكانياتها المادية والمعنوية الزاخرة »(2) . وقد بينت فيما مضى مـا فعل الحزب من اجل تحرير الاردن ، فلا حاجة للعودة ثانية الى الموضوع .

ويكاد ما ذكره صلاح الدين البيطار يكون خلاصة تفكير الحزب في موضوع الوحدة ، في هذه المرحلة . اذ انهـا كانت تبدأ من وحدة النضال الشعبي ، لتنتهي بالشكل الملائم من الوحدة الدستورية .

وفي مشروع الميثاق الذي قدمه الحزب للجنة الميثاق القومي في أوائل سنة ١٩٥٦ ، وكان مطروحاً على بساط البحث قيام تجمع قومي في سورية ، طالب في الفقرة (ا) من المادة الثانية « باعلان الاتحاد بين القطرين السوري والمصري »(3) ولكن لجنة الميثاق الممثلة للفئات المشتركة في التجمع القومي رفضت الطلب باتحاد القطرين مستعيضة عنه بالدعوة لتوسيع التعاون(4) .

وأصدر حزب البعث العربي الاشتراكي بياناً سياسياً بمناسبة ذكرى الجلاء في

---

١ – السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق – صلاح الدين البيطار – صفحة ٤٣ – ٤٨ .
٢ – المصدر السابق صفحة ٤٨ .
٣ – جريدة البعث – العدد ٣ – ٤/٥/١٩٥٦ – مناقشات لجنة الميثاق .
٤ – المصدر السابق – ومعركة المصير الواحد ميشيل عفلق صفحة ٤٦ الطبعة الأولى .

٥٦/٤/١٧ طالبت فيه « بالمبادرة لاعلان الوحدة بين مصر وسورية » . وبعد اسبوع بالضبط من صدور البيان صدرت جريدة البعث[١] تحمل في صفحتها الأولى الخبر التالي : « تعكف قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي على دراسة قضية وحدة مصر وسورية ، وعلى إعداد مشروع يرسم الخطوات العملية ويحدد المراحل الأساسية لتوجيه القطرين ، وسيتقدم الحزب قريباً بهذا المشروع الى المسؤولين في مصر وسورية ، وسيطرح شعار الوحدة على الشعب ليدعمها بإرادته ونضاله ، بعد ان اعلن الشعب ارادته في أن تحقق هذه الوحدة حالاً ، مؤكداً انها الانطلاقة الأولى نحو الوحدة العربية ونحو تحرير الشعب العربي في كافة أقطاره » .

واستمر الحزب في حملته من اجل الوحدة او الاتحاد مع مصر مكرساً لها جل نشاطه . ولم يكن يهمه ان « تكون وحدة او اتحاداً بل كان يهمه ان تغلب عناصر الحياة فيها على عناصر الجمود »[٢] . وكان حزب البعث العربي الاشتراكي يرى ان الاستعمار حريص على بقاء الأمة العربية مجزأة ، وان اي عمل في اتجاه الوحدة هو عمل من اجل التحرر في معركة الدفاع عن النفس التي نخوضها ضد الاستعمار والصهيونية .

لقد رأى الحزب في الوحدة بين مصر وسورية :

● عملاً تحررياً دفاعياً يحول دون تحقيق الخطة الاستعمارية بالمحافظة على التجزئة في البلاد العربية وبالتالي بقاء الاستعمار واسرائيل .

● بداية الطريق نحو الوحدة العربية الشاملة[٣] .

● انقاذاً لسورية من المؤامرات الاستعمارية التي تهدف الى نسف الحكم الوطني فيها ، وربطها باحلاف استعمارية[٤] .

---

١ — جريدة البعث عدد (٢) ٩٥٦/٤/٢٧ .
٢ — جريدة البعث عدد (٢) ٩٥٦/٤/٢٧ حول وحدة مصر وسورية — ميشيل عفلق .
٣ — جريدة البعث الاعداد ١ و ٢ و ٣ و ٢٠ ، ١٩٥٦/٤/٢٧ و ٩٥٦/٥/٤ .
٤ — معركة المصير الواحد ـ ميشيل عفلق ـ الطبعة الأولى صفحة ١٧٦ .

● « تدعيماً للاتجاه الانقلابي الذي نشأ في سورية بطريق نضالية شعبية وتجاوب معه رجال الثورة في مصر تجاوباً يتأكد صدقه وعمقه يوماً بعد يوم ويهيىء لهذا الاتجاه بما لمصر من موقع متوسط ممتاز بين أجزاء الوطن العربي، وبما لها من رقيّ وغنى في الامكانيات » .

ولإدراك الحزب بأن الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية ضد الوحدة أراد « أن يكون أساسها متيناً وطريقها سليماً يسير نحو النماء والتكامل، ويوصل الى الوحدة العربية الشاملة » « وأن تحقق هذه الوحدة توحيداً فعلياً خلاقاً لامكانيات الشعب المادية في مصر وسورية وتوحيداً فعلياً خلاقاً لامكانيات الشعب المادية والمعنوية[1] » .

وقد حل الحزب تنظيماته من اجل قيام الوحدة .

مشاكل في طريق الحزب

كان الحزب يخوض معركة ضد الاستعمار والصهيونية والتخلف ، وكان هذا يقتضي مزيداً من الالتحام بالجماهير إلا ان الحزب رفع شعارات عامة وقبل التحالف مع الرجعية في ظلالها ، ولهذا كان ممكناً ان يقوم الحكم القومي في سورية والحكم الوطني في الاردن والتحالف السوري — الاردني — المصري السعودي . وجبهة مثل هذه الجبهة المتناقضة ليست قادرة على مواجهة التحدي الاستعماري الصهيوني . فلم يكن غريباً اذن ان تنهار هذه التحالفات واحداً بعد الآخر ، لأنها لا تقوم على أسس سليمة .

---

١ — المصدر السابق، صفحة ٦٦.

قيام الوحدة وحكم البعث ١٩٥٨ ــ ١٩٦٣

وتنقسم هذه المرحلة الى الفترات التالية :

أولاً : من قيام الوحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢ الى ١٩٦٠/٢/٢٢ .

ثانياً : من ١٩٦٠/٢/٢٢ حتى ١٩٦١/٩/٢٨ .

ثالثاً : من ١٩٦١/٩/٢٨ الى ١٩٦٣/٢/٨ .

رابعاً : من ١٩٦٣/٢/١٨ حتى الآن .

من قيام الوحدة حتى انفجار الصراع ١٩٥٨/٢/٢٢ – ١٩٦٠/٢/٢٢

عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا حل حزب البعث العربي الاشتراكي تنظيماته في سورية ، واشترك عدد من قادته في الحكم . واعتبر الحزبيون في كل الاقطار العربية ان دولة الوحدة هي دولة البعث ، وان من واجبهم حمايتها ، وتوسيع رقعتها حتى تمتد من المحيط الى الخليج . وكانوا يعتقدون ان دولة الوحدة ذات الاتجاه الاشتراكي التحرري هي وحدها القادرة على القضاء على الاستعمار وقاعدته اسرائيل ، كما كانوا يعتقدون ان دولة الوحدة ، الجمهورية العربية المتحدة ، ملزمة بذلك . وفي ٢٨ أيار سنة ١٩٥٩ نشرت جريدة الصحافة في صفحتها الرابعة موجزاً لمشروع الكيان الفلسطيني الذي قالت بأنه صدر في الجمهورية العربية المتحدة ولكنها لم تؤيد المشروع المذكور أو تعارضه .

وحين اثبتت الدلائل ان اسرائيل مقدمة على تحويل مجرى نهر الأردن واثيرت القضية شعبياً ورسمياً ، وبدأت الأوساط الرسمية حتى في الجمهورية العربية المتحدة تفكر بالرد على المشروع الاسرائيلي عن طريق تحويل مجاري

بانياس والحاصباني واليرموك ، قاوم الحزب هذا الاتجاه ، وطالب بمنع التحويل بالقوة . وفي السادس عشر من شباط سنة ١٩٦٠ ادلى ناطق بلسان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بتصريح لجريــدة الصحافة حول مشروع تحويل مجرى نهر الأردن جاء فيه : « واليوم اذ يثــار على صعيد الجامعة العربية او على صعيد الرأي العام العربي موضوع تحويــــل نهري بانياس والحاصباني كرد عربي عملي على تحويل مجرى نهر الاردن ، يجدر بنا ان نوضح ان تحويل هذين النهرين لا يؤثر البتة على خطة اسرائيل ، بل ان اسرائيل بهذا ستحصل على كمية من الميــاه اكثر مما أعطاها مشروع جونسون الذي كان برغبتها .

وبالإضافة الى ذلك فان مشروع تحويل نهري الحاصباني وبانياس قد يكسب في هذا الظرف بالذات وبالملابسات الحاضرة اسرائيل عطفاً دولياً يساعدهــا على تنفيذ مؤامرتها في تحويل مجرى نهر الاردن .

ان الرد العربي السليم والواضح على تحويل مجرى نهر الاردن هو منع اسرائيل من التحويل ، وكل حل آخر لن يكون إلا خداعــاً وتضليلاً للرأي العام العربي سيكشفه شعبنا ويقاومه كما قاوم من قبل المشاريع الاستعمارية الصهيونية »[١] .

وتمثل هذه الفترة من تاريخ الحزب فترة صمت ، ذلك انه كان في أولهــا يرى في سياسة الجمهورية العربية المتحدة سياسته ، إلا انه في آخرهــا آخذ يشعر بأن الجمهورية العربيــة لا تسير في الخط القومي الثوري الاشتراكي الذي أراد الحزب أن تسير فيه ،فوقف موقف الواجم[٢] ونجده لأول مرة ينتقد سياسة الجمهورية، في التصريح الرسمي الذي أشرنا اليه .

وكان أهم ما حدث في هــذه الفترة هو استقالة الوزراء البعثيين ، استقالات تضامنية .. وقد كانت هذه الاستقالات من أسباب الفرقة التي تحولت لعداء .

---

١ – جريدة الصحافة ١٦ شباط سنة ١٩٦٠ ـ العدد ٣٩٣ السنة الثانيـــة (منشور في نضال البعث ـ الجزء الرابع ، صفحة ١٢٠ ـ ١٢١) .

٢ – يجد القارىء تفصيل الخلاف بين حزب البعث العربي الاشتراكي والجمهورية العربيـــة المتحدة حتى سنة ١٩٦٢ في كتابي الثورة والجماهير الصفحات ١٣٨ ـ ١٤٤ (الطبعة الأولى).

من انفجار الصراع حتى الانفصال
١٩٦٠/٢/٢٢ – ١٩٦١/٩/٢٨

اصدرت جريدة الصحافة ، جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي في ١٩٦٠/٢/٢٢ ، عدداً خاصاً بمناسبة احتفالات الذكرى الثانية للوحدة . وكانت افتتاحية العدد نقداً رزيناً للأوضاع في الجمهورية العربية المتحدة جاء فيه[1] :

« فلن تستطيع الجمهورية ان تؤثر في الثورة العربية كرافعة لشعارات التحرر والوحدة والديمقراطية والتقدم ، الا بنسبة ما تزدهر في ربوعها هذه الشعارات . وكل تقصير عن هذا المستوى لن يقتصر ضرره على الجمهورية بل على الحركة العربية وعلى الوحدة العربية ، باعتبارها التعبير عن هذه الحركة » .

وفي هذا العام تسارعت الأحداث ، وانفجرت المعركة بين حزب البعث العربي الاشتراكي والقيادة في الجمهورية العربية المتحدة .

وصدر عن الحزب بيان بمناسبة الخامس عشر من ايار من عام ١٩٦٠ ، كان من اوفى البيانات التي صدرت عن الحزب بهذه المناسبة [2] ، وهو ينص على ما يلي :

- كانت الكارثة نتيجة عزل الشعب العربي عن تولي زمام القضية.
- قضية العرب في فلسطين هي قضية تحرير الأمة العربية .
- ان التيار القومي التحرري الشعبي الذي ازدادت قوته وترسخت اثر قيام الجمهورية العربية المتحدة وما رافق قيامها من ازدياد قوة العرب العسكرية والمادية والمعنوية قد اوضح لشعبنا طريق استرجاع فلسطين من خلال الثورة الشعبية الشاملة على الواقع العربي الفاسد ، ثورة الحرية والوحدة والاشتراكية على الاستعمار وعملائه والتجزئة وآثارها والتخلف والفساد والظلم الاجتماعي الذي يحول بني الشعب ومضاعفة امكانياته وتنظيم قواه ويجمد طاقاته ويكبل ارادته. بحيث يصبح قادراً على مواجهة التحدي الصهيوني الاستعماري واسترجاع

---

١ – نضال البعث – الجزء الرابع – صفحة ١٢٢ – ١٢٧ .

٢ – نضال البعث – الجزء الرابع – صفحة ٢٥٩ – ٢٦٣ .

فلسطين من ايدي مغتصبيها » .

● ان الواجب القومي يفرض على الحكومات العربية العمل الجدي المخلص لتنظيم نضال النازحين طليعة المعركة وتنمية قواهم الثورية .

● الارتفاع بالقضية الى مستواها القومي الطبيعي بعيدة عن ملابسات السياسات القطرية وتنازعاتها .

وطالب البيان في نهايته بالنضال من اجل ما يلي :

١ – مقاومة كافة المشاريع الاستعمارية والصهيونية الرامية الى تصفية القضية قضية فلسطين وفي مقدمتها تحويل مجرى نهر الأردن ومشروع همرشولد لتوطين النازحين .

٢ – الاصرار على النضال القومي العنيد في سبيل عودة النازحين الى ديارهم وتصفية دولة اسرائيل .

٣ – النضال في سبيل تنظيم كفاح عرب فلسطين وتعبئة جهودهم ضمن التعبئة القومية التحررية والارتفاع بالقضية الى مستواها القومي الصحيح وتجنيبها منازعات وملابسات السياسات القطرية ومناوراتها .

٤ – النضال في سبيل احكام وتشديد المقاطعة الشاملة تجاه اسرائيل ومقاومة محاولاتها للتغلغل السياسي والاقتصادي على الصعيد الدولي وبصورة خاصة في آسيا وافريقيا .

٥ – المطالبة بوضع سياسة سليمة للدعاوة العربية لشرح القضية وعدالة حقوق العرب فيها ومقاومة الدعاوة الصهيونية المضللة على الصعيد الدولي .

٦ – مطالبة الحكومات العربية بوضع البرامج الصالحة لتحسين معيشة اللاجئين وأوضاعهم الصحية والثقافية والقضاء على سياسة وكالة الغوث الرامية الى تهجير النازحين وتوطينهم وتجاهل حقوقهم وامتهان كرامتهم » .

ولعل الجديد في هذا البيان هو «المطالبة بتنظيم نضال النازحين أولاً» وإبعاد قضية فلسطين عن السياسات القطرية ومناوراتها » ولا يذكر البيان كيف يتم تنظيم نضال النازحين ، كما انه لا يذكر مشروع تنظيم الكيان الذي صدر في

الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ والذي أشرنا اليه . أما ابعاد القضية قضية فلسطين عن « السياسات القطرية ومناوراتها » فهو ما لم نفهمه على الرغم من انه أصبح شعار كل الفئات في الوطن العربي، رجعية وتقدمية. ذلك انه يعني ان يقف الجميع – حكومات وأحزاباً وهيئات – موقفاً قومياً ثورياً من قضية فلسطين . ولكن هل يمكن ان يتحقق هذا ؟... إنه بالطبع لا يمكن ان يتحقق لأن الرجعية العربية لا تستطيع ان تكون ثورية حتى في مواجهة الصهيونية. ان رفع هذا الشعار يتناقض مع المبادىء التي اوضحها البيان . واذا آمنا بان معركة تحرير فلسطين هي معركة تحرير الأمه العربية فستظل هذه المعركة معركة « السياسات القطرية ومناوراتها » ما دامت الوحدة لم تتم بعد . لقد كانت معركة تحرير فلسطين جزءاً من معركة التحرر والوحدة التي تخوضها الجمهورية العربية المتحدة ، وهي قطر من الأقطار العربية – فهل كان ممكناً ان نفصل قضية تحرير فلسطين عن قضية تحرير الأمة العربية ...؟ ان هذا غير ممكن .

ولئن كان يبدو ان البيان رد على الاثارة المفتعلة لقضية فلسطين ، التي كان يقوم بها عبدالكريم قاسم ، أو المؤامرة المحكمة التي كانت تمارسها الرجعية ، فهو أيضاً رد على سياسة الجمهورية العربية المتحدة التي استعملت قضية فلسطين في معركتها مع الرجعية العربية ، وحكام الاردن خاصة ، كما ظهر في اجتماعات وزراء خارجية دول الجامعة العربية في صيف سنة ١٩٦٠ .

واتضحت هذه السياسة في المذكرة التي قدمها الحزب الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب المنعقد في بغداد بتاريخ ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٦١[١] . فالحزب يطالب المؤتمر « بأن يتجنب نهائياً اسلوب اتخاذ المواقف الغامضة وإلهاء الرأي العام بالمقررات الحماسية التي لا تعطي أي مردود إيجابي » مع ان طبيعة تكوين المؤتمر والظروف التي عقد فيها – وأهمها الصراع السياسي الحاد بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق والاردن خاصة – تجعله غير قادر على اتخاذ قرارات فعالة . وهذا ما كان واضحاً ، وما كان واجباً على حزب البعث ان يعيه ، الا انه لم يع هذه الحقيقة على ما يبدو فطالب المؤتمر « بوضع

١ – نفس المصدر صفحة ٢٢٨ - ٢٣٨ .

خطة واقعية لمواجهـــة خطر تزايد القوى العسكرية والبشرية العدوانية لدولة اسرائيل كخطوة أولى في استراتيجة تحرير الارض المغتصبة واستعـادة حقوق عرب فلسطين ليحاسب الرأي العام العربي كل حكومة عربية على انجازاتهـا في هذا الخصوص وتحاسب هذه الحكومات نفسها في المؤتمرات القادمة » .

وترفض هذه المذكرة ايضاً تحويل روافـد الاردن ، فتحويل الروافد « لا يكفي لإحباط هذا المشروع الخطير ، ويؤدي الى اقتسام المياه مع اسرائيـل ، وفق المشاريع الاستعمارية التي سبق ان رفضها العرب كمشروع جونسون وغيره» وتصر على منع التحويل بالقوة .

ولا فرق بين ما جاء في هذه المذكرة بشأن الكيان الفلسطيني وما جـاء في بيان الحزب السالف الذكر ، وان كانت المذكرة تشير ، ولأول مرة ، الى اخطاء اسلوب الحكم الفردي والتضييق على الحريات السياسية والنقابية والسعي لتحويل جماهير الشعب الى مجرد قوى سلبية تحـــاول ضبطها وتسييرها اجهزة الامن والدعاية ؛ وتضيف المذكرة « ان ابعاد جماهير الشعب عـن قضاياها الاساسية يفقد هذه القضايا الوعي والكفاءات والقوة الضرورية لانتصارها ويحول دون بنـــاء مجتمع ديمقراطي شعبي قوي قادر على مواجهـــة خطر اسرائيل وتحمل مسؤولية تحرير فلسطين وتصفية الاستعمار . فما هو موقف كل حكومة عربيـة في هذا المجال ؟ »

لقد كان موقفها واضحاً ، ولم تكن مذكرة حزب البعث بقادرة على تغيـير هذا الموقف ... ولسنا ندري لماذا قدم الحزب هذه المذكرة ... اقدمها وهـو يأمل ان تحدث تحولاً في السياسة العربية ازاء فلسطين ؟ وهل كان ممكناً ان تقف حكومة الاردن وحكومة عبد الكريم وامثالها من الحكومات العربيـة موقفاً ثورياً من قضية فلسطين ؟

وهل اراد حزب البعث ان يبدأ حواراً في سبيل « حشد كل قوى الشعب العربي النضالية بازالة كل مـا يعيق الحريات السياسية والتنظيم السياسي والنقابي لجماهير شعبنا ويبعدها عن قضيتها ويعطل فعاليتها النضالية الضرورية لمتابعـــة الكفاح الجدي ضد الاستعمار والصهيونية » ..؟

ونلاحظ ان هـــذه المذكرة لا تتضمن روح البيان السابق وهي موجهـة للحكومات ، مع ان البيان موجه لجماهير الشعب[1] .

وكان اجدى لقضية فلسطين لو ان الحزب كشف للشعب العربي عجز الدول العربية آنذاك عن عمل شيء من أجـــل استرداد فلسطين ، وحلل الظروف الموضوعية التي تعيشها امتنا ، واكد المبدأ الذي دعـا له من قبل والذي يربط قضية العودة بقضية الوحدة والتحرر والاشتراكية ولا يرى في غـــير الكفاح الثوري طريقاً اليها .

وحين دعا داعي الانفصال اعتبر الحزب ان اسلوب الحكم الفردي في الجمهورية العربية المتحدة هو المسؤول عن هـــذه النكسة ، واصر الحزب على ان خوض معركة سريعة ضد الانفصال خطأ يؤدي بالطلائع الثورية ولا يحقق فائدة ، وان افضل وسيلة لعودة الوحدة هو تحقق اوضاع ديمقراطية داخل الجمهورية العربية السورية ، تؤدي في المستقبل الى ما اسموه تجديد الوحدة[2] .

وكان يرى بأن أسلوب عبد الناصر في الحكم ، قد جمد الوحدة ، وجعلهـــا عاجزة عن الامتداد وبالتالي غير قادرة على تحقيق الاهـــداف التي قامت من اجلها. وكان يعتقد ان الشعب العربي في سورية لن يختار «عندما ينتصر في معركة الحريات غير الوحدة طريقاً » .

إلا ان اعتبار الانفصال ردة لا يجيز لنا ان نقبله ، ولا يجيز لنا ان نطلب من الجماهير ان تقبله ، لتخوض معركة الحريات وتنتصر فيها ، لتختار الوحـدة من جديد .

صحيح ان الجمهورية لم تستطع ان تتخطى الرقعة التي قامت عليهـــا خلال اكثر من ثلاث سنوات ، ولكن هذا لا يعني ان اسلوب عبد الناصر في الحكم هو المسؤول فقط ، ذلك ان الجهود التي بذلها الاستعمار وبذلتها الرجعية والصهيونية كافية لفرض حصار خانق على الجمهورية الناشئة ، لا سيما لأنهـــا لا تملك اداة الثورة العربية الشاملة .

---

١ – لقد وزعت المذكرة على الجماهير ، ولكنها تخاطب الدول العربية .

٢ – يجد القارىء بيانين حزبيين حول الانفصال في ملحق كتابي « الثورة والجماهير » .

من الانفصال حتى ثورة رمضان
٦١/٩/٢٨ – ٦٣/٢/٨

كان موقف الحزب أول الأمر يبدو مائعاً من الانفصال ، ولكنه خلال العهد الانفصالي ، قاد معارضة جريئة للرجعية الحاكمة ، وكان دائم التنبيه الى ارتباط حكام سورية الجدد بالاستعمار ، والى ضرورة متابعة النضال من اجل تجديد الوحدة بين سوريا ومصر على أسس شعبية متينة .

وحين أخذ اكرم الحوراني – بعد انشقاقه عن الحزب – ينشر اتهاماته للجمهورية العربية بشأن موقفها من قضية فلسطين ، تولت جريدة البعث الرد عليه ، وعلى كل صحف سورية المرتبطة بالفئة الحاكمة .

من قيام ثورة الرابع عشر من رمضان
١٩٦٣/٢/٨ – حتى الآن

إن هذه الفترة ، هي الفترة الأكثر أهمية في تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي . ذلك ان الحزب الذي كان معارضاً حتى عندما يشارك مشاركة جزئية في الحكم ، أصبح حاكماً في قطرين عربيين هامين هما العراق وسورية .

فماذا فعل الحزب من اجل قضية فلسطين ؟

هل حقق المبادىء التي طرحها منذ أن بدأ نضاله ؟

ماذا كان موقفه من اسرائيل والدول المشايعة لها ؟

وماذا كان موقفه من قضية الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار ؟

بينا ان الحزب طرح بعد الانفصال شعار وحدة اتحادية ، بديلاً لوحدة مصر

وسورية المتنكسة . وحين قامت ثورة الثامن من شباط في العراق ، حاولت ان تؤكد التقاءها مع القاهرة فحضر وفـد يمثل الثورة الاحتفال بذكرى اعلان الوحدة في الثاني والعشرين من الشهر ذاته . الا ان قضية الوحدة لم تطرح نفسها بعمق الا حـــين انهار الحكم الرجعي الانفصالي في دمشق صبيحة يوم الثامن من آذار . ولقد طرح علي صالح السعدي في الخطاب الذي القـــاه في دمشق في العاشر من آذار مشروع اتفاقية خماسية الغرض منها حماية الثورات في مرحلتها الأولى ، وخصوصاً في سوريـــة . وكانت مقترحات المجلس الوطني في العراق تنحصر فيما يلي :

- اتفاقية عسكرية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريـة والجزائر واليمن ، تخول الجيوش في هذه الدول حق التدخل والانزال واجتياز الحدود في حالات العدوان الخارجي او المؤامرات الداخلية الرجعية او الاستعمارية .
- تشكيل قيادة مشتركة ووضع قوات تحت امرتها .
- تشكيل قيادة سياسية عليا للتخطيط السياسي في الدول الخمس .

الا ان الانفجارات العفوية حيناً والمدبرة حيناً في سوريـة كانت تستهدف الوحدة الفورية . وتحت ضغط هذه الانفجارات ذهب حكام سوريـة والعراق الى القاهرة للتباحث في شؤون الوحدة . وبعد مداولات طويلة ، احتل العتاب وكشف ذوات الصدور اكثرها اعلن بيان الوحدة الاتحادية الثلاثية في السابع عشر من نيسان سنه ١٩٦٣ . وقـد ربط ميثاق السابع عشر من نيسان بـــين الوحدة وتحرير فلسطين . وقد عملت جرائد الحزب في سوريـــة والعراق على اظهار العلاقة بين الوحـدة وتحرير فلسطين ، وقالت جريدة البعث في مقالهـا الافتتاحي بتاريخ ٢٦/٤/١٩٦٣ « ان قيـام الدولة الاتحادية يعني في نظر شعبنا العربي الخطوة الاساسية لتحرير فلسطين واسترداد الاجزاء السليبة من وطننـا العربي ».

وكان المنهاج المرحلي الذي صدر في العراق ، قبل محادثات الوحدة قد حدد موقف البعثيين من قضية فلسطين ، ويقرر المنهاج « ان مقياس الثورية لأي نظام

أو حركة مرتبط الى حد بعيد بما يمكن ان يكون لهـا من دور فعال في تحرير فلسطين واداء الواجب القومي »[1] والتزم المنهاج بسياسة «ابعاد قضية فلسطين عن محاولات الاستغلال بقصد الكسب السياسي الرخيص، ووضع مخطط شامل مدروس لتحرير فلسطين، وذلك باتفاق مع دول الجبهة العربية والمنظمات الشعبية في الوطن العربي ، وخاصة المنظمات الشعبية الفلسطينية التقدمية التي تمثل عن جدارة نضال شعب فلسطين الباسل وتصميمه على استرداد ارضه السليبة[2] » .

الا ان الوحدة الثلاثية التي ولدت تحت ضغط ظروف عديدة ، اخذت تتعثر بعد ميثاق السابع عشر من نيسان مباشرة، وكانت الاطراف جميعها مسؤولة عن هذا التعثر . وحين جرت محادثات بغداد بين المسؤولين في سورية والمسؤولين في العراق جـاء في البيان المشترك « ويؤكد الطرفان الشقيقان عزمهما على المضي قدماً في النضال من اجل تحرير فلسطين والاجزاء السليبة من الوطن العربي[3] ».

وعادت الحرب مع الاكراد بعد الهدنـة التي اعقبت ثورة الثامن من شباط ، وفسر حزب البعث العربي الاشتراكي الحركة الكردية بأنها تحريض يهـدف « الى خلق مشكلة جديدة للعرب تصرفهم عن خطر اسرائيل[4] » .

واخذت المعركة تشتد بين القاهرة من جهة وبغداد ودمشق من جهة أخرى ، وطالت الحرب مع الاكراد ، واصبـح حكم البعث محاصراً : حرب مع عبـد الناصر وجماهيره ، حرب مع الاكراد ، حرب مع الاتحاد السوفياتي ، وحرب مع الرجعية الداخلية ، كما ان الرجعية الحاكمة في الاردن كانت ترى ان قيام دولة الحرس القومي على حدودها امر يدعو للخوف والقلق .

وأثارت حكومة العراق في مذكرة رفعتها الى الجامعة العربية[5] مسألة تمثيل

---

١ – المنهاج المرحلي للثورة الشعبية العراقية – دار دمشق – صفحة (٩) .
٢ – نفس المصدر صفحة (١٠) .
٣ – البعث ١٩٦٣/٦/٩ – البيان المشترك .
٤ – البعث ١٩٦٣/٧/٢ (مع الجماهير) ، والبعث ٩٦٣/٦/١٧ (مع الجماهير) .
٥ – جريدة الجماهير العراقية – العدد ١٩١ ، أول ايلول ١٩٦٣ .

فلسطين في الجامعة ، ومسألة ابراز الكيان الفلسطيني ... وكان المشروع العراقي الذي دافعت عنه صحف البعث – يقوم على أساس اجراء انتخابات عامة حرة لاختيار ممثلين حقيقيين لأبناء فلسطين . وكان المشروع مهيأ للفشل للأسباب التالية :

أولاً – يقيم اكثر أبناء فلسطين في الاردن وغزة والسماح باجراء انتخابات في الاردن يعني استقلال الضفة الغربية كما ان اجراء انتخابات حرة في غزة يعني تغير وضعها الذي تحرص الجمهورية العربية المتحدة – في الظروف الحالية على الأقل – أن يبقى على ما هو عليه، واقتراح يقدم للجامعة العربية، لا توافق عليه الدولتان المعنيتان لا يمكن ان ينجح بالطبع ، ولذلك انتهت اجتماعات الجامعة دون ان يتحقق شيء لفلسطين غير اختيار احمد الشقيري الوجه السياسي المتغضن ممثلاً لها.

ثانياً – يعرف الثوريون العرب أن قضية استرداد فلسطين ليست قضية انتخابات حرة ... انها قضية ثورية تتحقق بالعمل الثوري المنظم ، وعن طريق غير طريق الجامعة بالطبع ، ولذلك لم يتجاوب هؤلاء مع المشروع العراقي ، ونظروا اليه على انه مجرد محاولة من المحاولات العديدة، التي قام بها الساسة العرب من قبل .

ثالثاً – حين انتهت اجتماعات الجامعة العربية ، لم تتكرم صحف حزب البعث العربي الاشتراكي فتكشف لنا ماذا حدث للمشروع العظيم ، وكيف وارته الجامعة التراب . وهذا يعني ان حكومة العراق كان يعنيها ان تثير القضية فقط لا ان تعمل من اجل تحقيقها بروح ثورية .

وقد عرفت فيما بعد ان المشروع الذي قدم للجامعة العربية ، لم يكن مشروعاً حزبياً ، بل كان مشروعاً ارتجله الوزير الحزبي طالب حسين شبيب وزير الخارجية العراقية ، وان الحزب لا يعتقد انه مشروع صالح[1] .

إلا ان صحف الحزب لم تلحظ هزال المشروع فربطت بينه وبين تنظيم الشعب الفلسطيني في جبهة على غرار جبهة التحرير الجزائرية ، لأن « مثل هذا

---

١ – هذا ما رواه لي بعض المطلعين من البعثيين .

التنظيم – عدا عن انه يجمع قوى الشعب الفلسطيني المبعثرة – يفجر طاقاته النضالية ويستخلص مناضليه الحقيقيين ويدفعهم الى مراكز القيادة في ركب التحرير بدل ان تمتلىء هذه المراكز بالساسة المحترفين الذين لا يملكون إلا اثارة الضجيج الذي لا فائدة ترجى منه[1] » .

وترى جريدة الجماهير « ان تنظيم شعب فلسطين تنظيماً ثورياً ، يؤدي الى ربطه ربطاً دائماً بالمعركة ويجعله يمارس نضالاً يومياً بعد ان ظل مبعداً عن قضيته منذ حلت به النكبة ، وان مثل هذا التنظيم يمكنه من ان يمد نضاله اليومي الى داخل الأرض المحتلة ويساعده على طرح القضية الفلسطينية في المجالات الدولية بأفضل الأشكال واكثرها جدوى » .

« وعدا ذلك فان وجود تنظيم شعبي فلسطيني يجعل القضية بالنسبة للدول العربية اكثر الزاماً وأشد تبنياً ، وان عدم وجوده يبقي علاقة هذه الدول بقضية فلسطين مثلما كانت . يبقيها علاقة دعوات ومناقشات » .

وتدعو الجريدة الشعب الفلسطيني لتنظيم نفسه كما تدعو الدول العربية لتهيئة الجولة ...

ولا ينسجم هذا الكلام الذي أوردناه مع المشروع إلا في الدعوة التي اختتم بها ، والتي تطلب من الدول العربية تهيئة الجو لميلاد التنظيم الشعبي الفلسطيني . ولما كان مستحيلاً ان تهيىء الدول العربية الجو ، وكان مستحيلاً ايضاً ان تحقق الانتخابات قيام تنظيم شعبي ، اصبحنا في حيرة ، لا نعرف ما الذي يهدف حزب البعث العربي الاشتراكي اليه .

ويستطيع من يتابع جريدة البعث في هذه الفترة ان يلاحظ ما يلي :

أولاً – الاصرار على ضرورة وجود جبهة التحرير الفلسطينية على المستوى الشعبي ، والكيان الفلسطيني على المستوى الرسمي ولكننا لا نلمس عملاً من أجل قيام جبهة التحرير الفلسطينية ، ولم نر من الكيان غير أحمد الشقيري وابراز الشخصية الفلسطينية . ولم تستطع سوريا أو العراق – قبل انقلاب الثامن عشر

---

١ – جريدة الجماهير العراقية العدد ٢٠٦ في ١٦/٩/٩٦٣ .

من تشرين — ان يقدما الدليل على انهما يسلكان طريق العودة ولم تتغير أوضاع ابناء فلسطين في سورية او العراق .

ثانياً — استمر الحزب في رفع شعار منع تحويل مجرى نهر الاردن بالقوة ونص على ذلك في مقررات المؤتمر القومي السادس[1] .

ثالثاً — اعتبر الحزب ان الرجعية ستكون « عامل اعاقة وتخريب لصالح الصهيونية والاستعمار » ولذلك يجب ان تسقط من حساب القوى العاملة من أجل تحرير فلسطين[2] .

رابعاً — اعتبر الحزب أن « اول مراحل الكفاح تستوجب النضال لنسف الوجود الرجعي على الجبهة الشرقية وإزالة الحاجز الدولي على الجبهة الجنوبية»[3] اي القضاء على الحكم الرجعي في الاردن وإبعاد القوات الدولية من غزة وسيناء .

خامساً : اتهمت جريدة الحزب جمال عبد الناصر بأنه لا يملك خطة لتحرير فلسطين ، وانه يطالب بتنفيذ مقررات الامم المتحدة ، وان الجمهورية العربية المتحدة تحرص على اجهاض كل حركة شعبية تعمل من أجل فلسطين « ومن اجل ذلك قام المباحثيون المعروفون والمستورون الذين يأتمرون بأوامر القاهرة باقامة عدة تنظيمات اطلقوا عليها اسماء متشابهة أو مختلفة ولكنها بالنتيجة تتلقى التوجيه من مصدر واحد بشكل يدفعها الى ان تعادي بعضها ويحول بينها وبين اية امكانية للقاء[4] » .

وجاء مؤتمر القمة فاذا بالحزب يوافق على مقرراته بتحويل روافد نهر الاردن ، ولا يعمل على مقاومة الهدنة مع الرجعية العربية ، تلك الهدنة التي طرح شعارها الرئيس عبد الناصر . لكن ما الذي دعا حزب البعث العربي الاشتراكي لتغيير موقفه ؟ وهل ينسجم ما وافق عليه في مؤتمر القمة مع ما

---

١ — جريدة البعث ٢٩/١٠/١٩٦٣ .
٢ — جريدة البعث ٧/١١/٩٦٣ حول جبهة تحرير فلسطين .
٣ — جريدة البعث ٧/١١/٩٦٣ حول جبهة تحرير فلسطين .
٤ — جريدة البعث ١٧/١٠/١٩٦٣ ماذا قدم نظام عبد الناصر لقضية فلسطين .

نادى بـــه منذ سنة ١٩٦٠ من شعارات ؟ وكيف يستطيع حزب البعث العربي الاشترا كي ان يوفق بين شعار منع التحويل بالقوة وشعار تحويل الروافـــد ، وبين القضاء على الرجعية من اجل تحرير فلسطين ، والهدنة مع الرجعية من اجل الدفاع عن الحدود العربية ؟

هذه هي نتيجة السياسة المدروسة التي وعـــد الحزب بانتهاجها في المنهاج المرحلي في العراق والتي ادعى انها تميز اسلوبه العلمي عـــن اسلوب عبد الناصر الغوغائي .

بعد مؤتمر القمة

أكد الحزب مراراً أنه عازم على تنفيذ مقررات مؤتمر القمة وأنه يعتبرها مجرد حد ادنى لما هو مطلوب ، ولكن عدم رضاه عن نشاط أحمد الشقيري ظل واضحاً تكشفه صحفه ما بين الفينة والفينة . وحين اقتربت موعد اجتماعات مؤتمر القدس اعلن الحزب مشروعه لتحرير فلسطين. وهو مشروع لا يختلف عن المشروع العراقي (مشروع طالب شبيب) ويتلخص في نقطتين :

- اجراء انتخابات عامة في ما يسمى الضفة الغربية وغزة والمخيمات .
- قيام كيان ذي سيادة وسلطة .

وقد قدّم هذا المشروع لمؤتمر القدس .

والمشروع غير قابل للتحقيق اذ انه يستهدف اجراء تغيير جذري في ما يسمى الضفة الغربية وغزة .

ولقد قدم لمؤتمر يستهدف بقاء الاوضاع في المنطقتين كما هو عليه ...

ويبدو أن حزب البعث العربي الاشتراكي لم يستفد من تجربة رفض المشروع الأول ، كما يبدو ان حزب البعث لم يدرك بعد ان اثارة قضية فلسطين جدياً لا تكون بعرضها على الجامعة العربية او مؤتمرها في القدس بل يكون بكشف السياسة المهاودة التي تنتهجها الدول العربية ، وتمكين ابناء فلسطين من بدء عمل جدي تحريري يستهدف القضاء على الحكم الرجعي العميل في الاردن اولاً ...

لقد حضر وفد من الفلسطينيين المقيمين في سوريا المؤتمر وطرح مشروع حزب البعث ، ولكن المؤتمر لم يلتفت للمشروع فماذا كانت النتيجة ؟ أكـّد ممثلو الفلسطينيين في سورية أنهم يلتزمون بنتائج مؤتمر القدس .

وكان على حزب البعث ان يدرك أن مؤتمر القدس مؤامرة على قضية فلسطين ... وان ادراكه لهذه الحقيقة يوجب عليه ان يكشف المؤتمر لا ان يساهم فيه وان يجرّحه قبل عقده لا ان ينتقده بعد عقده ... [1] .

وكان على الحزب ان يدرك ايضاً ان تحرير فلسطين لن يكون دون تحرير الأردن ... وان تجاهل هـذا الشعار الذي رفعه بعد ثورتي شباط وآذار يعني المساهمة في تمييع قضية فلسطين ...

والثورية تكون بالعمل على تحقيق تغير جذري في وضع قضية فلسطين ... ومثل هـذا التغير لن يحدث دون نشوء حركة فلسطينية ثورية ودون تحرير الأردن ...

فماذا فعل حزب البعث من اجل هاتين الغايتين ؟

لاشيء حتى الآن ... !

---

١ – يعزو بعض البعثيين موقف الحزب هذا الى الصعوبات التي يواجهها في الداخل والخارج... ذلك ان اي موقف صارم يتخذه البعث سيؤدي الى عزل سورية عن النطاق العربي لا سيما ان عبد الناصر في الطرف المعادي ، بل انه هو طارح شعار مهادنة الرجعية العربية .

الموقف الشيوعي من الصهيونية ..

كتب كارل ماركس سنة ١٨٤٤ ، أي قبل صدور البيان الشيوعي بأربع سنوات ، دراسة حول المسألة اليهودية[١] . ولم تكن الحركة الصهيونية قد بدأت العمل في ذلك الوقت ولذلك فقد ناقش ماركس اليهودي من حيث هو يهودي ، وكشف ما تعنيه يهوديته ..

يقول ماركس : « يجب ألا نبحث عن سر اليهودي في دينه ، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي . ما هو الأساس الدنيوي لليهودية ؟ المصلحة العملية والمنفعة الشخصية . اذن فالعهد الحاضر بتحرره من المتاجرة والمال ، وبالتالي من اليهودية الواقعية والعملية ، انما يحرر نفسه أيضاً[٢] » .

فماركس لم يدرس اليهودية على أنها قومية أو دين ، بل على أنها ظاهرة اجتماعية هي المجتمع البرجوازي . ولذلك اعتبر : « ان قومية اليهودي الوهمية هي قومية التاجر ، قومية رجل المال »[٣] ، كما اعتبر أن : « التحرر الاجتماعي لليهودي انما هو تحرير المجتمع من اليهودية »[٤] .

وهكذا كانت مسألة اليهود هي مسألة أوروبا كلها ، وليست مشكلة خاصة بجماعة بشرية ، وعندما تتحرر أوروبا من المتاجرة وعبادة المال يتحرر اليهود

١ – المسألة اليهودية ـ كارل ماركس ـ ترجمة محمد عيتاني .
٢ – المسألة اليهودية ـ كارل ماركس ـ .
٣ – المسألة اليهودية ـ كارل ماركس ـ صفحة ٤٦ .
٤ – المسألة اليهودية ـ كارل ماركس ـ صفحة ٦٤ .

من دينهم ... من المتاجرة والمال .. « إله اسرائيل المطماع » .

وأصبحت الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر دعوة سياسية ، واجتمع المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ في مدينة بال . وقرر في هذا المؤتمر ان تكون فلسطين دولة يهودية . في هذه السنة بالذات تكون الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا (البوند) ، وانضم في السنة التالية الى الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . وكان البوند يطالب لليهود بالمساواة المدنية . وفي المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي سنة ١٩٠٣ طالب البوند بالاعتراف به ممثلاً وحيداً للعمال اليهود ، وببناء الحزب الاشتراكي الديمقراطي على أسس فيدرالية قومية . ولما رفض طلب البوند انسحب من حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي ، ولكنه عاد اليه عام ١٩٠٦ بعد انعقاد مؤتمره الرابع ، غير ان البوند كان دائماً اقرب للمناشفة حتى أنه حارب سنه ١٩١٧ مع اعداء الثورة الا انه انقسم على نفسه فيما بعد ، فاختار بعض أعضائه طريق الخيانة ، واختار آخرون الانضمام الى الحزب الشيوعي الروسي سنة ١٩٢١ . وكان من بين هؤلاء « أناس ذوو وجهين توخوا من دخولهم التخريب من الداخل »[١] .

ولقد حكم لينين على الحركة الصهيونية منذ سنة ١٩٠٣ بأنها « في جوهرها خاطئة ورجعية بصورة مطلقة وان فكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية ضارة لا بالنسبة لمعتنقيها فحسب ، بل وكذلك للذين يحاولون خلق انسجام بينها وبين الافكار الاشتراكية »[٢] .

وقاد لينين حملة عنيفة ضد البوند وحزب العمال الاشتراكي اليهودي[٣] ويضم كتاب « في القضية القومية » هذه الحملة بين دفتيه . لقد أنكر لينين على اليهود دعوتهم القومية ، لا لأنه يحارب اليهود ، فلينين صاحب نظرية معروفة ، في

١ – في القضية القومية – لينين هامش صفحة ٢٢ – دار ابن الوليد سنة ١٩٥٨ .
٢ – الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية – الطبعة الثالثة الحكم دروزه .
٣ – حزب العمال الاشتراكي اليهودي تأسس سنة ١٩٠٦ وكان يطالب بالاستقلال القومي لليهود (في القضية القومية – لينين هامش ٤٩).

مسألة حق تقرير المصير ... وانفصال الشعوب الملحقة . ولكنه في الوقت ذاته كان يشجع تمازج الامم الذي لا يفرض بالعنف[1] وهو يرى في عملية التمازج هذه أو التمثل « تقدماً تاريخياً كبيراً ، وتحطيماً للنمطية القومية »[2] ذلك « أن البرولتاريا لا تستطيع ان تدعم أي تقديس قومي ، بل هي ، على النقيض تعمل كل ما من شأنه ان يزيل الحواجز القومية ، ويجعل الاتصال بين القوميات دائماً أوثق وأشد ويؤدي الى اتحاد الامم . والعمل بعكس ذلك معناه الوقوف الى جانب التفاهة القومية الرجعية »[3] .

ويبدو أن لينين الذي طرح حل قضية الأمم قاطبة كان لا يملك حلاً لقضية الشعب اليهودي « فمحاربة الصهيونية ومحاربة البوند » لم تأت بحل ثالث ... فاذا كانت الصهيونية حركة رجعية ، واذا كان البوند يقود الى « التعصب القومي » والوقوف الى جانب التفاهة القومية الرجعية « فما العمل » ؟

لم يجب لينين على هذا السؤال . وعندما بحثت قضية الصهيونية في « الكومنترن » سنة ١٩٢٠ ، اتخذ قرار بشجب الحركة الصهيونية ، يستند الى مبررين :

الأول : « أن الصهيونية حركة رجعية يقف وراءها كبار الرأسماليين » .

الثاني : « أن اليهود ليسوا أمة لذلك فمن غير العلمي ان ينشأ لهم وطن قومي »[4] .

وكانت الثورة الشيوعية في هذه الاثناء تحاول حل مشكلة القوميات المضطهدة التي كانت رازحة تحت النير الروسي ، حسب مبادىء لينين . ولم تبخل الثورة على اليهود فقدمت لهم منطقة « بيروبيجان » السوفياتية المعتدلة المناخ ، وعلى الرغم من ان بعض الرأسماليين اليهود في الولايات المتحدة أيدوا

---

١ – في القضية القومية ص (٤٨) .
٢ – في القضية القومية ص (٣٦) .
٣ – في القضية القومية ص (٤٨ – ٤٩) .
٤ – الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ الحكم دروزة ـ الطبعة الثالثه صفحة ٢٧١ .

هذا الحل الا أنه فشل ازاء معارضة الحركة الصهيونية التي كانت ترفض أي حل غير الاستيلاء على فلسطين[1] .

وقد ظل موقف الاتحاد السوفياتي استمراراً لقرار الكومنترن السابق الذكر حتى ١٩٤٧/١١/٢٩ حين أيد قرار التقسيم .

موقف الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية

لا بد قبل مناقشة موقف الاحزاب الشيوعية في البـــلاد العربية من قضية فلسطين ان نبدي ثلاث ملاحظات :

الأولى : أن اليهـــود ، لا سيا المهاجرين منهم هم الذين أنشأوا الاحزاب الشيوعية في البلاد العربية .

الثانية : أن الحزب الشيوعي في فلسطين كان عربياً يهودياً مختلطاً حتى سنة ١٩٤٣ ، حيث تم الانفصال وأنشأ الشيوعيون العرب عصبـــة التحرر الوطني . وبعد قيـــام اسرائيل نشأ الحزب الشيوعي الاسرائيلي مكوناً من الشيوعيين اليهود ، وبقايا عصبة التحرر الوطني في أرض فلسطين المحتـــلة . كما نشأ الحزب الشيوعي الاردني في بقايا الضفة الغربية والضفة الشرقية .

الثالثة : ان موقف الشيوعيين العرب كان رجراجاً متقلباً ، ومستوحى من سياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية ونستطيع ان نقسمه الى ثلاثة أدوار رئيسية :

الأول : ويبدأ من تكون الاحزاب الشيوعية حوالي سنة ١٩٢٥ في سوريا ولبنان ومصر وفلسطين ، وينتهي بتأييـــد الشيوعيين العرب لقرار التقسيم سنة ١٩٤٧ .

الثاني : ويبدأ سنة ١٩٤٧ وينتهي سنة ١٩٥٥ .

الثالث : ويبدأ سنة ١٩٥٥ .

ونستطيع أن نحدد في الدور الأول خمس مراحل :

---

١ – العالم السياسي للصهيونية الامريكية . The Political Word Of American Zionism .

أ — من نشوء الأحزاب الشيوعية حتى سنة ١٩٣٦ .
ب — من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٣٩ .
ج — من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤١ .
د — من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٥ .
هـ — من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٤٧ .

المرحلة الأولى من الدور الأول

ويتلخص موقف الاحزاب الشيوعية في البـــلاد العربية من قضية فلسطين بما يلي :

أولاً : شجب الحركة الصهيونية ومقاومـــة فكرة الوطن القومي اليهودي للأسباب التي قررها الكومنترن .

ثانياً : مقاومة الاستعمار والدعوة لقيام حكم وطني ديمقراطي في فلسطين .

ثالثاً : الدعوة لتآخي العرب واليهود .

المرحلة الثانية من الدور الأول

كانت المانيا في أول هذه المرحلة قد دخلت ميدان السياسية العالمية والتنافس على الاسواق ... وكان النظام الهتلري النازي هـــو الخطر المحدق بالنسبة للشيوعية . وبدأت سياسة الاتحاد السوفياتي تتجه نحو الغرب لمواجهة النازية . واتجهت الاحزاب الشيوعية الاتجاه ذاته فركزت الهجوم على الصهيونية متجاهلة دور الاستعمار العالمي . وتمثل المذكرة التي قدمتها اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني في الثامن من أيلول سنة ١٩٣٧ إلى مؤتمر بلودان هذا الاتجاه .

وتلخص المذكرة مطالب العرب بما يلي :

١ — رفض تقسيم فلسطين رفضاً باتاً .

٢ — وقف الهجرة اليهودية .

٣ — منع بيع الأراضي .

٤ – اقامة نظام دستوري يضمن انتشار السلام والهدوء في فلسطين .

وصاحب هذا الاتجاه موقف سلبي من الحركة الوطنية ، بحجة ان الحزب الشيوعي كان يخشى تسرب الفاشية اليها . ولذلك لم يشترك الشيوعيون العرب خلال هذه الفترة في ثورتي سنة ٣٦ و ٣٧ .

المرحلة الثالثة من الدور الأول

وتبدأ بالحلف الذي عقده الاتحاد السوفياتي مع المانيا وتنتهي باعلان المانيا الحرب على الاتحاد السوفياتي . وقد عادت الاحزاب الشيوعية خلال هذه المدة الى مهاجمة الاستعمار والصهيونية ، واضطرت الى ممارسة العمل السري كما حدث للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان . وكان تبرير الشيوعيين يقوم على أساس ان الخطر النازي موجود ولكن محاربة جنود الاحتلال هي الواجب الأول . وقد كتبت جريدة الحزب الشيوعي الفلسطيني « كول هاعام » في آذار سنة ١٩٤١ : « ان العمال يأتون ليسألونا ما العمل ؟ انهم يطلبون نصيحة مخلصة ، ونحن نقول لهم ، حسناً ، صحيح ان الجيوش الالمانية والايطالية على الابواب ولكنه صحيح ايضاً ان جيوش تشرشل هي في هذه البلاد وواجبنا الأول هو محاربة العدو في الداخل » (١) .

المرحلة الرابعة من الدور الأول

وتبدأ باعلان المانيا الحرب على الاتحاد السوفياتي وتنتهي بانتهاء الحرب .

كان هم الاحزاب الشيوعية خلال هذه الفتره ان تدعم الحلفاء في حربهم مع النازية والفاشية ... واذا كان الشعار في المرحلة السابقة هو تآخي العرب واليهود في النضال المشترك ضد الاستعمار والصهيونية فقد اصبح شعار هذه المرحلة تآخي العرب واليهود في النضال ضد النازية المجرمة .

المرحلة الخامسة من الدور الأول

عندما كانت النازية تلفظ النفس الاخير ، بدأ الصراع بين الاتحاد السوفياتي

---

١ الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية صفحة (٢٨٠) .

والمعسكر الغربي لأسباب عقائدية ومصلحية . وعاد الشيوعيون العرب يرفعون شعار مقاومة الاستعمار والصهيونية والاخاء العربي اليهودي . وفي ١٣ – ١٤آب سنة ١٩٤٤ علق رئيس الحزب الشيوعي اللبناني على موقف الحزبين الامريكيين الجمهوري والديمقراطي بقوله : « اجتاحت لبنان والبلاد العربية كلها موجة من الاستياء والقلق على أثر التصريحات التي صدرت عن زعماء الحزبين الاميركيين الجمهوري والديمقراطي بعزمهما على جعل فلسطين وطناً قومياً للصهيونيين » . وأصدر الحزب الشيوعي العراقي في تشرين الأول سنة ١٩٤٥ بياناً جاء فيه : « لقد أعلنا في مناسبات عديدة عداءنا للحركة الصهيونية ولفكرة انشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين العربية . وأعلنا تضامننا مع الشعب العربي في فلسطين وتأييدنا التام لمطاليبه بمنح الشعب الفلسطيني حق تأليف حكومة وطنية ديمقراطية مستقلة » .

وظلت الصحف الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وفي الوطن العربي تشجب التقسيم وانشاء الوطن القومي اليهودي حتى ايد الاتحاد السوفياتي التقسيم في الامم المتحدة بتاريخ التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وكان من رأي فشنسكي رئيس وفد الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة ان يقبل العرب بالتقسيم لئلا تفوتهم الفرصة فيندموا .

مبررات الموقف السوفياتي

ما الذي دعا الاتحاد السوفياتي لاتخاذ مثل هذا الموقف ؟

لقد حاول بعضهم ان يرد ذلك الى خطأ السياسة العربية ، التي كانت عازفة عن التفاهم مع الاتحاد السوفياتي حول قضية فلسطين . وردها آخرون الى اعتقاد الاتحاد السوفياتي بأن اسرائيل ستكون واحة الديمقراطية في الشرق الاوسط . ولكن الاجابة على هذا السؤال ظلت تقديرية وموضع تكهن وزاد الأمر غموضاً ان الاتحاد السوفياتي لم يعلن عن أية تفاصيل خاصة بموقفه من قضية فلسطين . أما ملابسات الموقف السوفياتي فاني اعتقد انها تنجلي اذا أدركنا

الحقائق التالية :

أولاً : كانت الحرب الباردة قد بلغت مستوى من الحدة يخشى معه قيام حرب ثالثة ، ولم يكن الاتحاد السوفياتي مهيئاً لذلك ، في وقت كانت فيه الولايات المتحدة متفوقة في ميدان الذرة . ويبدو أن ستالين السياسي المحنك أراد ان يكسب عطف الصهيونية العالمية ذات السيطرة على الرأسمال العالمي وبالتالي على الحكومات الرأسمالية ، فأيد قيام أسرائيل .

ثانياً : كانت المنطقة العربية منطقة نفوذ استعماري ، ولما كان الاتحاد السوفياتي يدرك تبني الدول الغربية لاسرائيل ،فقد رأى — على ما يبدو — في قيام اسرائيل بارقة أمل في انتفاض المنطقة على الاستعمار ، والبحث عن اصدقاء جدد ، بعد ان خاب أملها بالاصدقاء القدامى .

ثالثاً : كانت المنطقة العربية زراعية متخلفة ، وكانت اسرائيل في حالة قيامها تبشر بنهضة صناعية كبيرة ... والشيوعية حسب المنطق الماركسي اللينيني تنمو في المجتمعات الصناعية ... ولذلك فسيساعد قيام دولة اسرائيل على انتشار الشيوعية وسيكون عاملاً من عوامل تحرر المنطقة من الاستعمار .

رابعاً : كان أكثر قادة الشيوعيين في أوروبا الشرقية من اليهود ، وكان ستالين يعتمد على هؤلاء في تنفيذ سياسته ، ويبدو إن هؤلاء أثروا كثيراً في موقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين .

خامساً : كان ستالين عقائدياً صارماً ، وسياسياً قاسياً ، تعود ان يطوع الظروف والشعوب لمقتضيات سياسته ... وليس غريباً أن يوافق على تقسيم فلسطين ، وهو الذي — كما بين خروشوف في المؤتمر العشرين — سلخ شعوباً في الاتحاد السوفياتي من أراضيها .

موقف الاتحاد السوفياتي بعد سنة ١٩٤٧

نستطيع أن نقسم هذه الفترة الى مرحلتين :
الأولى : تبدأ سنة١٩٤٧ وتنتهي بعقد صفقة الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥.
الثانية : تبدأ سنة ١٩٥٥ .

المرحلة الاولى

أيد الاتحاد السوفياتي في بدء هذه المرحلة مشروع التقسيم واستنكر الحرب العربية اليهودية على انها حرب اثارها الاستعمار . الا ان تشيكوسلوفاكيا أمدت اسرائيل بالسلاح خلال هذه الحرب وكان التبرير العقائدي لتأييد التقسيم وجود أمتين لهما جذور تاريخية ، وانه اذا لم يكن ممكناً ان يعيشا معاً ، وفي دولة واحدة ، قامت دولتان « إحداهما عربية والأخرى يهودية » . وظل موقف الاتحاد السوفياتي على حاله حتى سنة ١٩٥٤ ، حيث بدت بوادر تغير في السياسة السوفياتية . ففي سنة ١٩٥٤ استعمل الاتحاد السوفياتي حقه في النقض اكثر من مرة في مجلس الأمن لمصلحة العرب .

وكان من اهم بوادر التغير في السياسة السوفياتية حديث خروشوف عن اليهود الذي جاء فيه : « أن اليهود يفضلون دائماً الحرف اليدوية فإذا بحثت عنهم في التعمير او التعدين وهي مهن جماعية فلن تجد يهودياً واحداً ، انهم لا يحبون العمل الجماعي ولا الخضوع للنظام وهم يفضلون دائماً ان يكونوا انفصاليين فرديين» [١] . واكتملت ملامح تغير السياسة السوفياتية بزيارة شبلوف – رئيس

---

١ – الفيغارو الفرنسية .

تحرير البرافدا آنذاك – للقاهرة في عيـد الثورة الثالث ثم الاعلان عن صفقة الأسلحة التشيكية بتاريخ ١٩٥٥/٩/٢٧ .

المرحلة الثانية

عقد مؤتمر جنيف بعد الإعلان عن صفقة الأسلحة التشيكية بشهر واحـد . وكان من المواضيع التي طلب وزراء خارجية الدول الغربيـة مناقشتها في المؤتمر موضوع تسليح العرب . ورفض الاتحاد السوفياتي مناقشة الموضوع الا اذا وافق مندوبو الدول الغربية على مناقشة موضوع الأحلاف في المنطقة ، ولما لم يوافقوا فشلت الخطة الصهيونية في منع العرب من الحصول على السلاح اللازم لهم للدفاع عن انفسهم. وأثار الحصول على السلاح مخاوف الصهيونية والاستعمار. فالصهيونية بدأت تشعر – ولأول مرة – أن العرب يستعدون لمعركة حاسمة ، يملكون فيها من السلاح ما يجعلهم اقوياء ، قادرين على الانتصار ، اما الاستعمار فقد شعر بأن السلاح الذي حصل عليه العرب من الاتحاد السوفياتي ، لن يستعمل ضد اسرائيل فقط ، بل سيستعمل في القضاء على عملاء الاستعمار وقواعده في البلاد العربية . ولذلك اتحدت الصهيونية مع الاستعمار في محاولة للقضاء على نواة الجيش العربي في مصر ، فكانت معركة السويس . وفي معركة السويس وقف الاتحـاد السوفياتي بجانب العرب ضد العدوان الصهيوني الاستعماري . وقد أخذ موقف الاتحـاد السوفياتي بعد معركة السويس يزداد وضوحاً وقوة .

ففي ربيع سنة ١٩٥٧ صرح بولغانين بأن وجود اسرائيل يجب ان يعاد فيه النظر بعد اشتراكها في العدوان الثلاثي . كما صرح خروشيف في الوقت ذاته ، بأن اليهود غير مؤهلين لتكوين مجتمع ثابت . وفي أيلول من السنة ذاتها كتبت البرافدا مقالاً جاء فيه : « ان سياسة الأوساط الحاكمة في إسرائيل منذ انشائها يسيرها رجـال دولة رجعيون ذوو اتجاهات متطرفـة في التعصب القومي ، ولرجال الدولة هؤلاء اتصالات قديمة العهد باكبر الاحتـكارات الاستعمارية في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا » .

وظل الاتحـاد السوفياتي متبعاً هذا النهج ، وان كانت العلاقـات العربية

السوفياتية قد مرت بظروف حرجة بعد الصراع الذي بدأ في أواخر سنة ١٩٥٨ بين الحركة القومية العربية والاحزاب الشيوعية في البلاد العربية حول وحـــدة العراق والجمهورية العربية المتحدة وفي هذه الفترة بالذات سمح لليهود بالهجرة من رومانيا الى اسرائيل وخفت حملة الشيوعية الدوليــة على الصهيونية . إلا أن موقف الاتحاد السوفياتي من تسليح العرب ظل ثابتاً .

موقف الشيوعية المحلية منذ قرار التقسيم

الدور الثاني

١٩٤٧ — ١٩٥٥

كان تأييــد الاتحاد السوفياتي للتقسيم مفاجئاً للشيوعية المحلية ، ذلك أن الشيوعيين الذين كانوا يرفضون التقسيم حتى اعلان تأييــد الاتحاد السوفياتي له في مجلس الأمن ، غيروا موقفهم حالاً . ويستطيع متتبع الوقائع في هذه المرحلة أن يلمس الحقائق التالية :

أولاً : إن الشيوعية المحلية ناضلت في سبيل تحقيق التقسيم . وقــد أصدرت الاحزاب الشيوعية في مصر ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين منشورات تدعم فيه وجهة النظر هذه[١] .

ثانياً : لم يتورع الحزب الشيوعي العراقي عن تنظيم مظاهرات تؤيــد التقسيم وتشجب الحرب العربية — اليهودية .

ثالثاً : اتخذت الأحزاب الشيوعية مواقف صارمة من الشيوعيين الذين قاوموا التقسيم وشجبوا موقف الأحزاب الشيوعية من قضية فلسطين وقد اتهموا بالخيانة والانتهازية[٢] .

---

١ — الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ـ الحكم دروزة صفحات ٣١٠ ـ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ .

٢ — انتفاضة الشعب العراقي لسنة ١٩٤٨ وأثرها في تطور القضية العربية خـــالد بكداش (١٧ - ١٨) .

وقد برر الشيوعيون موقفهم بما يلي :

أولاً : ان الحرب مؤامرة دبرها الاستعمار والاقطاع والبرجوازية العربية لمنع قيام دولة عربية مستقلة في فلسطين وضم الجزء المتبقي منها إلى شرق الاردن، وللحيلولة دون توسع نشاط البرولتاريا العربية – اليهودية التي يهدد كفاحها المشترك مصالح الاستعمار والاقطاع والبرجوازية .

ثانياً : ان الحرب عدوان على الأمة اليهودية ذات الحق في الاستقلال وحق تقرير المصير .

ثالثاً : ان الحرب بين العرب واليهود دينية عنصرية وأنها تنمي روح الفاشية في صفوف الجماهير العربية .

رابعاً : تهدف الحرب لإلهاء الجماهير عن « مشاكلها » ولبعثرة قواها ، في الوقت الذي تركز فيه الحكومات الرجعية سيطرتها ، وتزيد من ارتباطها مع الاستعمار .

وكان أخطر ما في الأمر أن الاحزاب الشيوعية حاولت ان تثبت أن اليهود أمة ، وأن هذه الأمة ذات حق في انشاء وطن قومي في فلسطين. ولذلك كانت ترى أن النضال في سبيل اقرار صلح ديمقراطي مع اسرائيل وتحرير بقايا فلسطين من « الاحتلال العربي » وقيام دولة فلسطينية صديقة للشعب اليهودي ومتحدة مع اسرائيل اقتصادياً هو الحل الموضوعي السليم[1] .

ولم يركز الشيوعيون في هذه المرحلة على اثارة القضايا الوطنية التي كانت الحرب الفلسطينية تهدف إلى طمسها – وهذا ما أثاروه أكثر من مرة – بل شغلوا أنفسهم وحاولوا أن يشغلوا الرأي العام العربي بقضايا خارجية مثل القضية الكورية ، ومقاومة الأحلاف والتسلح الذري . إن مقاومة التدخل الاستعماري في كوريا ومحاربة الأحلاف والتسلح الذري لا تتناقض مع أهداف شعبنا، ولكنها يجب ألاّ توضع في الطرف المقابل لها ، وألاّ تثار دونها . وهذا ما فعله

---

١ - الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية صفحة (٣٤٩) (بيان عصبة التحرر الوطني في فلسطين في منطقة الاحتلال المصري) .

الشيوعيون .

الدور الثالث
١٩٥٥ – ١٩٦٣

بدأ سنة ١٩٥٤ الانعطاف التاريخي في موقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين – كما بينا – إلا أن موقف الشيوعية المحلية ظل على حاله حتى سنة ١٩٥٥ عندما هاجم فجأة خالد بكداش في المجلس النيابي السوري الدعوة الصهيونية ، وادعاءها بأن اليهود أمة . ومنذ هذا التاريخ أخذت الشيوعية المحلية ترفع شعار مقاومة الصهيونية إلى جانب شعار مقاومة الاستعمار . وقد استنكرت مقررات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان بتاريخ ٧/٥/٥٦ فكرة الوطن القومي اليهودي واعتبرتها مؤامرة استعمارية ولكن الشيوعيين العرب لم ينتقدوا موقفهم السابق من قضية فلسطين ، ولم يتقدموا ببرنامج عملي لتحريرها . وظلت مقاومتهم للصهيونية شعاراً . وعندما دب الخلاف بين الحركة القومية والشيوعيين بعد ثورة الرابع عشر من تموز اختفى الشعار من الصحف والنشرات الشيوعية وكأنما لم يرفع من قبل .

إن موقف الشيوعية المحلية يكشف هزالاً فاضحاً في « وعيها العقائدي » . فهي من الناحية العقائدية حكمت بأن اليهود في فلسطين يشكلون أمة بينما هم لم يكونوا كذلك ، وفي الوقت الذي اعترفت فيه لليهود وهم القلة الغازية بحق تقرير المصير ، لم تطالب لعرب فلسطين وهم الأكثرية بمثل هذا الحق . ثم عادت فاستنكرت ان يكون اليهود أمة دون أن تطرح الشعار المترتب على هذا الاستنكار وهو القضاء على دولة اسرائيل. أما من الناحية السياسية فقد ارتكبت الشيوعية المحلية عدداً من الأخطاء، أولها أنها لم تدرك منذ البدء أن قيام اسرائيل كان مؤامرة استعمارية ... وثانيها أن الشيوعية أخذت تثبت ان اليهود أمة وأن لهم حق تقرير المصير دون أن تناقش ظروف تجمعهم في فلسطين وثالثها أنها كانت مترددة في مواقفها ترفض التقسيم تارة وتقبله طوراً ، وتحارب الدعوة

الصهيونية حيناً ، وتؤيد قيام اسرائيل في احيان أخرى . وكان هذا مرتبطاً بهزال الوعي العقائدي من جهة ، وبالتبعية الفكرية والسياسية من جهة أخرى .

إن ما فعلته الشيوعية المحلية ، كان مجرد محاولة لتبرير قيام اسرائيل ، ثم كان محاولة للدفاع عن وجودها . وقد تمثل ذلك باستنكار الحرب والدعوة للصلح ، ومحاولة إثبات مقومات اسرائيل القومية . وما زال الشيوعيين أفراداً يصرون على أن التقسيم هو الحل السليم .

ويرتبط موقف الشيوعية المحلية من قضية فلسطين بموقفها من القضية القومية ، وستظل عاجزة عن وعي القضية القومية . وسوف تكون الشيوعية مخربة ومضللة ما دامت تجهل العلاقة بين الاستعمار وقيام الدولة اليهودية ووجودها في هذه المنطقة من الوطن العربي[1] .

---

١ – ليس هدف هذا البحث استعمال قضية فلسطين في محاربة الشيوعية بل هدفه فقط توضيح الموقف الشيوعي من قضية فلسطين .

حركة القوميين العرب

ابناء النكبة

كان ميلاد حركة القوميين العرب من ردود الفعل السريعة للنكبة ، كانت النكبة نتيجة التجزئة والضعف وكان رد الفعل السريع هو البحث عن الوحدة والقوة ، بالوحدة والقوة تسترد فلسطين ، ولا شيء غير الوحدة والقوة . ولكن ايـــة وحدة واية قوة ؟

كان حزب البعث قد رفع شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية منذ سنة ١٩٤١ ولكن هـذه الشعارات ، لم تستهو مجموعـــة الشباب التي انشأت حركة القوميين العرب سنة ١٩٤٨ . ذلك انّ هؤلاء الشباب ، وجلهم من ابناء العائلات الاقطاعية والموسرة ، لم يستطيعوا ان يفهموا حينذاك وقلوبهم تتمزق أسى وحزنا كيف يمكن ان تثار قضية الاشتراكية في وقت تكون الامة العربية فيه احوج ما تكون للوحدة الوطنية . كما انهم لم يستطيعوا ان يدركوا علاقة الاشتراكية بالقوة .

كانوا يعتقدون انّ الوحـــدة والقوة هما وسيلة الثأر والعودة ، ولم تكن الوحـــدة تعني اكثر من كيان سياسي واحد ، ولم تكن القوة تعني اكثر من قوة سياسية عسكرية كافية لخوض معركة الثأر .

وهذه القوة يمكن ان يبنيها فرد ، ملك أو سياسي ، جماعة او حزب ، انها غير مرتبطة بمضمون الا تحقيق الاطار السياسي للوحدة العربية ، وغير العودة بقوة السلاح .

ونستطيع ان نميز ثلاث مراحل مرت بها حركة القوميين العرب خلال تطورها ونموها :

الاولى : من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٥٦ .

الثانية : من سنة ١٩٥٦ حتى سنة ١٩٥٨ .

الثالثة : من سنة ١٩٥٨ حتى الآن

الوحدة السياسية والثأر
١٩٤٨ – ١٩٥٦

تتميز المرحلة الاولى بتركيز الحركة على الشعارات الثلاثة التالية « الوحدة ، والتحرر ، والثأر » . وكانت الوحدة كما ذكرنا لاتعني اكثر من اطار سياسي يتحقق بالنضال الشعبي او اية وسيلة أخرى ، فلا مانع من ان يتحقق بالانقلابات العسكرية او المؤامرات، وليس ضرورياً أن تحققه حركة شعبية فقد يحققه حاكم او فئة . اما التحرر فكان يعني القضاء على الاستعمار فقط . فلم يكن الوقت يسمح في نظر هؤلاء الشباب بالجدل البيزنطي . لابدّ من معركة حاسمة سريعة هي معركة الثأر والكرامة ، وليس في هذه المعركة فقير وغني ، برجوازي وفلاح انما فيها مخلص وغير مخلص ، مستعد وغير مستعد .

وقد اصطدمت الحركة منذ نشوئها بحركة البعث ، لسببين اولهما يكمن في تنكر حزب البعث للحركة الجديدة الناشئة ، لاعتقاده بعدم الحاجة الى نشوئها ، وثانيهما ينبع من شعور البعثيين بأن استبدال شعار الاشتراكية بشعار الثأر ، يستهدف الهاء الجماهير عن القضية الاجتماعية .

وانصب النقاش في هذه المرحلة بين حزب البعث العربي الاشتراكي وجماعة القوميين العرب حول أهمية الاشتراكية وضرورة النضال من اجلها . وكان موقف جماعة القوميين العرب في هذه المرحلة من الحركة الشيوعية في البلاد العربية اكثر رجعية من موقف حزب البعث العربي الاشتراكي .

وكان يبدو للمتابع ان حركة القوميين العرب هي ممثلة الرأسمالية الناشئة في

الوطن العربي ، الحريصة على التقدم ، الحذرة من الاشتراكية .

وقـــد حاولت الحركة في المرحلة الاولى من نشوئها ان تقوم بأعمال إرهابية داخل الدولة المحتلة ، وكانت على صلة ببعض الذين يتسللون الى داخل اسرائيل ، الا ان الحكومة الاردنية اتخذت اجراءات زجرية عنيفة ضد المتسللين فتوقفت محاولات الحركة سنة ١٩٥٤ .

وغلب على الحركة بعدئذ طابع الحركة السياسية التي تناضل في سبيل التوسع والانتشار والتي تعطي انتخابات كالانتخابات الاردنية سنـــة ١٩٥٦ كثيراً من الاهتمام .

وتنتهي هذه المرحلة دون ان تكون هــذه الحركة قد اتمت وضع دستور او منهج لها، ودون أن تكون قد انتشرت الانتشار الذي يجعلها من الحركات القوية .

من معركة القنال الى الوحدة
١٩٥٦ – ١٩٥٨

استقطبت قيــادة الثورة في مصر – بعد صفقة الاسلحة التشيكية – حركة القوميين العرب ، كما استقطبت البعثيين والشيوعيين . ولِمَ لا ... ؟ هـــذا هو الرجل القوي، القادر على القيادة ، الثائر على التبعية للاستعمار ، العامل لأجــل القوة ... والوحـــدة . لقد بدت تباشير الثأر والعودة . ولهذا فلقد كان تأييد حركة القوميين لقيادة الثورة في مصر ليس تكتيكاً. كما هي الحـــال بالنسبـــة للشيوعيين ، وليس اندفاعاً عفوياً كما هي الحال بالنسبة للبعثيين بل موقف منسجم مع اتجاه المرحلة، واتجاه الحركة . لم تطلب حركة القوميين العرب اكثر من الوحدة والقوة والثأر وها هو عبد الناصر يعمل من اجلها ...

لقـــد اصبحت طريق الثورة في مصر طريق القوة والثأر ، وسارت حركة القوميين العرب على هذه الطريق .

وبدأت في اواخر عام ١٩٥٦ ، واوائـــل عام ١٩٥٧ ، القضية الاجتماعية تطرح نفسها ، كما لم تكن من قبل ، وكان ذلك لعدة أسباب أهمها ، ظهور قوى عمالية في كثير من البلدان العربية على مسرح الاحـــداث ، واصطدام التقدميين

العرب مع الرجعية وتحسس عبد الناصر للمشاكل الاجتماعية بعد انتصاره في معركة العدوان .

وبدأ القوميون العرب يجدون صعوبة بالغة في مواجهة « المثقفين » الذين لايرون عن« الاشتراكية » بديلا . كما أنهم أخذوا يشعرون بأن الاهداف السياسية ليست بذات قيمة إذا انفصلتعن مضامينها الاجتماعية ، ولكنّ القوى المحافظة في الحركة ، وانخفاض مستوى الوعي فيها قاد الى تجزئة المعركة ،فالمعركة السياسية تبدأ اولاً ثم تبدأ المعركة الاجتماعية وهذه المرحلة ليست تدرجاً زمنياً ؛ انها تحولات يتم الاول منها ،دون ان تفكر او تهيىء لما يليه ، فإذا ما تم التحول السياسي ، كان على الشعب ان يفكر بالمستقبل اذ لايجوز لنا في مرحلة التحول السياسي ان نشغل انفسنا بقضية اخرى . ويمثل تفكير هذه المرحلة كتاب « مع القومية العربية » الذي صدر في نيسان سنة ١٩٥٧ واعتبر في حينه منهج حركة القوميين العرب. يؤكد هذا الكتاب « بأن انعطافنا التاريخي وانقلابنا الجذري وثورتنا الحقيقية لايمكن ان تتم الا بعقيدة » ولهذه العقيدة اهدافقريبة واهداف بعيدة . اما الاهداف القريبة فهي :

« القضاء على التجزئة البغيضة في الوطن العربي بالوحدة العربية الشاملة » .

« والقضاء على الاستعمار بشتى اشكاله بالتحرر الكامل » .

« والقضاءعلى اسرائيل بالثأر » .

واما الاهداف البعيدة فهي:

« مجتمع قومي عربي تتحقق فيه العدالة الاجتماعية بشتى اشكالها ، وتتحقق فيه انسانية الفرد العربي والامة العربية وتنطلق منه الرسالة العربية بمداها التطبيقي الفعّال » [1] .

وهذا « التخطيط الاستراتيجي للنضال » كما يقول الكتاب [2] ناتج عن انّ

---

١ – مع القومية العربية .. الطبعة الاولى – اصدار اتحاد بعثات الكويت صفحة (٩ – ١٠) .

٢ – نفس المصدر الصفحات ١٦٢ – ١٦٣ ، الطبعة الاولى اصدار اتحاد بعثات الكويت .

« المشكلة السياسية هي اخطر هـذه المشاكل وأحدها واكثرها الحاحاً . وهي المشكلة التي تقف امامنا وتحول بيننا وبين حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية » .

« اذن لابد من التخلص من المشكلة السياسية اولاً لنتخلص من المشاكل الاخرى ثانياً ولذلك نستطيع ان نحدد (بصورة عامة) ان النضال العربي لا بد ان يمر في تحقيق اهدافه بمرحلتين :

المرحلة الاولى : هي مرحلة نضال سياسي تستهدف تحرر الامة العربية واقامة الاطار الخارجي السليم للمجتمع العربي الموحد . والمرحلة الثانية هي مرحلة بناء محتوى المجتمع العربي ، اي بناء المضمون الاشتراكي الديمقراطي للمجتمع القومي العربي الموحد وتحقيق العدالة الاجتماعية فيه » .

« وواضح اننا لايمكن ان ننتهي من المرحلة الاولى إلاّ بعد التخلص من التجزئة والاستعمار « واسرائيل » والفئات المصلحية التي تتمسك بالواقع الفاسد وتمنع تبديله » .

وعليه فبناء المجتمع الاشتراكي يتوقف على الانتهاء من المعركة السياسة .

كان هـذا الموقف رداً على الموقف المقابل الذي يعتبر معركة بناء المجتمع الاشتراكي جزءاً من المعركة مع الاستعمار والصهيونية .

وهو موقف ينطوي على تنكر للاشتراكية ، يريد ان يدفعها بالتي هي احسن ... كما ينطوي على جهل بما يعنيه التحرر السياسي الكامل ، وبما توجبه ضرورة حشد كل امكانيات الامة في مواجهة اعدائها وحاجاتها .

وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت هـذه المرحلة بداية تبني جماعة القوميين العرب لكلمة « الاشتراكية » . لقد كان اعتبار الاشتراكية جزءاً من الخطة البعيدة المدى تقدماً . ولكنّ هذا « التقدم » لم يزد من التقارب بينهم وبين حزب البعث العربي الاشتراكي ، ولا خفف من عدائهم للماركسية ، على الرغم من انهم كانوا في حلف منذ سنة ١٩٥٦ مع حزب البعث والشيوعيين .

من الوحدة حتى الآن
١٩٥٨ – ١٩٦٤

لم تكن حركة القوميين العرب اقل حماسة للوحـــدة من حزب البعث العربي الاشتراكي . ولقد كرست ماتملك من قوى قليلة لتحقيقها . وحين تحققت وحدة مصر وسورية اعتبرتها الحركة بداية الوحدة العربية الشاملة والخطوة الاولى على طريق العودة . ولما كانت الحركة لاتملك نظرية في الثورة ، ولا تطمح لاكثر من الوحدة والقوة فقدالتقت مع نظام الحكم في الجمهورية العربية المتحدة التقاء تاماً، وحين حصلت القطيعة بين حزب البعث العربي الاشتراكي والسلطة في الجمهورية العربيـــة المتحـــدة ازدادت العلاقة بين حركة القوميين العرب والسلطة وثوقاً واعتبروا انفسهم قاعدتها ، وكرسوا انفسهم للدفاع عنها ، على اعتبار ان بقاء الوحدة هو ضمان مجابهة اسرائيل .

وقد شاركوا في هـــذه المرحلة ببعض اعمال المقاومة ضـــد الحكم الهاشمي الرجعي العميل في الاردن كما شاركوا الفئـات القوميـــة الأخرى بمحاولة دفع العراق الى الانضمام للجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة الرابع عشر من تموز . واشتركوا بعد ذلك في مقاومة الحكم الانتهـــازي الفردي في العراق ويلاحظ المتتبع لنشاط الحركة في هذه المرحلة ثلاث ملاحظات :

الإولى : ان الحركة اهملت شعـــار الثأر سنة ١٩٥٨ ، فأصبحت شعاراتها الوحدة والتحرر والتقدم واسترجـــاع فلسطين ، ثم الوحـــدة والحريـــة والاشتراكية واسترجاع فلسطين . وقدكان هذا التغيير في الشعارات ناتجاً عن التحولات الفكرية التي مرت بها الحركة ، وهي صـــدى للتحولات التي عاشتها الجمهورية العربية المتحدة منذ الوحدة حتى الآن .

الثانية : ان الحركة تخلت نهائياً ، وبعد الانفصال خاصة ، عن فكرة تقديم المعركة السياسية على المعركة الاجتماعية ، واقرت فكرة البعث بأن المعركة السياسية الاجتماعية معركة واحدة، وان تحقيق الاشتراكية ضروري ولازم لمواجهة القوى الاستعمارية والصهيونية .

الثالثة : ان الحركة لم تقم بأي نقـد لسياسة الجمهورية العربية المتحدة ازاء فلسطين ، حتى انها اخيراً قبلت ان تشترك في « مؤتمر القدس » ، بعد ان كانت تطالب الدول العربية بانتهاج سياسة ثورية لاسترجـاع فلسطين . ومنع بعض اعضاء الحركة من الاشتراك في المؤتمر ، وانكشف المؤتمر منذ يومه الاول للذين لايملكون البصيرة السياسية ليحكموا عليه قبل انعقاده وصـدرت جريـدة الحركة [1] وفيها نقد رزين للمؤتمر الا ان النقد انتهى بما يلي :

«ان الآمال الكبيرة التي يعلقها الفلسطينيون خصوصاً والعرب جميعاً على مؤتمر القدس يجب الا تكون حائلاً امام تدراك الامر بغاية السرعة مهما كانت مرارة الخيبة قبـل ان تستفحل خطورة النتائج التي ستتأتى عن « تمجيد » كيان غير جماهيري وغير ثوري ودون مستوى العمل الكبير .

والقرارات وحـدها – التي ستصدر مساء اليوم – هي التي ستقرر فيما اذا كان من الحتم على القوى الثوريـة الفلسطينية ان تناضـل خارج الكيان نهائياً للإعداد لمعركة العودة او ان يكون هـذا النضال من داخل المنظمة على اساس وجود نقطة واحدة جديرة بأن يكون نقطة انطلاق لنضال يجدي في الوصول الى ارساء قواعد متينة لكيان ثوري حقيقي يعتمد على منظمة جماهيرية حقيقة » .

وصدرت القرارات ، ولم يكن فيها ما يوحي بالجدية او يفتح باباً للأمل، وصمتت حركة القوميين العرب . ولم تقرر بعـد ان تناضـل من داخل الكيان ام من خارجه . مع العلم بأن القضية ليست قضية قرارات، فاتخاذ القرارات سهل ولعله اسهل ما يمكن ان يطرح . إن القضية هي قضية هؤلاء الذين يتخذون القرارات ويقفون وراءها . وهي قبل هذا قضية المؤتمر كله ، اهدافه واهداف الذين عملوا من أجل ابراز فكرته وتحقيقها . وتجاهل حركة القوميين العرب لهذه الاشياء، يجعل « طنطنتهم الثورية » التي سمعناها كثيراً ، مجرد جعجعة لامعنى فيها ولا جدوى منها .

إن مشكلة حركة القوميين العرب الأساسية هي أنهـا نشأت من أجل

---

١ – جريدة الحرية – العدد ٢٢٢ تاريخ ١ حزيران ١٩٦٤ .

الثأر ... من أجل حل سريع حاسم لقضية فلسطين ، ولكنها مـا زالت وعلى الرغم من مرور أكثر من ستة عشر عامـاً على نشوئها عاجزة عن أن تفعل شيئاً من أجل فلسطين ، وبما أن الجمهورية العربية المتحدة هي قاعدة « الانطلاقـة العربية » من أجل الوحدة والتحرر والاشتراكية واسترجاع فلسطين فلمـاذا لا تتبنى حركة القوميين العرب اتجاهها ...؟ ولسنا ضد هذا التبني على أية حال، ولكنا نود أن يكون هذا التبني فعّالاً ...

إن حركة القوميين العرب مـا زالت تحاول اللحاق بعربـة التحرر والاشتراكية التي تدفعها الجمهورية العربيـة المتحدة وتبدو الحركة في لحاقهـا لاهثة ، ولقد اضطرها اللحاق إلى تغيير موقفها تغييراً جذرياً فأصبحت اشتراكية بعد أن لم تكن ، وآمنت أن الاشتراكية والحرية اولاً بعد ان كانت تؤمن ان الوحدة والثأر اولاً ... وهي الآن تحاول فقط أن تفسر الاحداث التي تحدث في الجمهورية العربية المتحدة او تبررها .

ولقد كان قبولها « لمؤتمر القدس » نتيجة من نتائج لحاقها غير الواعي بعربـة الجمهورية العربية المتحدة .

ثورة الثالث والعشرين من تموز ومواقفها من قضية فلسطين

حين قامت ثورة الثالث والعشرين من تموز سنة ١٩٥٢ كانت هزيمة فلسطين من أسبابها الرئيسية . ويبدو هذا واضحاً في الكلمة التي وجهها اللواء محمد نجيب في اليوم ذاته الى الشعب في مصر ، جاء في هذه الكلمة : « اذ ان عدداً من الأشخاص الفاسدين كانوا بما قاموا به من أعمال السبب في اندحار الجيش اثناء حرب فلسطين . وبعد الحرب ارتدت هذه العوامل صفة اكثر خطورة اذ تآمر الخونة على حرمان مصر من جيش قادر على الدفاع عنها »[١] .

وعندما قامت الثورة كان الوطن العربي ما زال يعيش هزة الهزيمة ، ولقد ظهر هذا واضحاً في انقلابات سورية وانتفاضات العراق ، إلا ان الوطن العربي كان حتى ذلك الوقت ، خاضعاً خضوعاً تاماً للاستعمار . وكان الاستعمار منذ سنة ١٩٤٨ يهيىء الوطن العربي لقبول تسوية لقضية فلسطين . فماذا فعلت الثورة من أجل فلسطين ؟

لقد مرت الثورة خلال تطورها بمراحل انعكس اثرها في العمل من اجل قضية فلسطين ، وهذه المراحل هي :

أولاً : مرحلة تحقيق الاستقلال بجلاء القوات الأجنبية المرابطة في أراضي مصر ، وبلورة الاتجاه التقدمي . وقد بدأت هذه المرحلة بقيام الثورة وانتهت

---

١ ــ جمال عبد الناصر • طريق الوحدة والبناء ــ جورج فوشيه صفحة ١٠ .

بالغارة الاسرائيلية على غزة في الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩٥٥ .

ثانياً : مرحلة مقاومة الاحلاف وتثبيت الاستقلال بتصفية آثار الاستعمار وبناء المجتمع « الديمقراطي التعاوني » وقد امتدت من سنة ١٩٥٥ وانتهت بالانفصال الرجعي في الثامن والعشرين من ايلول سنة ١٩٦١ .

ثالثاً : مرحلة بناء المجتمع الديمقراطي الاشتراكي وقد بدأت بصدور قرارات تموز الاشتراكية سنة ١٩٦١ .

« من قيام الثورة حتى غارة غزة »
٢٣ / ٧ / ٥٢ — ٢٨ / ٢ / ٥٥

اتجهت الثورة خلال هذه المرحلة نحو أهداف ثلاثة :

الأول : إجلاء القوات البريطانية المرابطة في منطقة القناة والبالغ عددها ثمانين ألف جندي . وقد تم الاتفاق النهائي على الجلاء في التاسع عشر من تشرين الأول سنة ١٩٥٤ . وكان الاتفاق يقضي « ان تسحب بريطانيا قواتها من مصر خلال عشرين شهراً على أن تبقى القاعدة العسكرية في منطقة قناة السويس مع مطاراتها وموانئها ومنشآتها ومستودعاتها مدة سبع سنوات في ايدي موظفين بريطانيين مدنيين مع احتفاظ القوات البريطانية بحق العودة اليها في حالة وقوع هجوم من دولة خارجية على اية من الدول العربية المنضمة الى ميثاق الدفاع العربي المشترك او على تركيا »[1] .

وعلى الرغم من أن فئات كثيرة قد انتقدت الاتفاقية في مصر والوطن العربي معتبرة ان عبد الناصر خان نضال الشعب من اجل جلاء حقيقي ، وانه ورّط مصر في اتفاقية أشد خطورة من وجود القوات البريطانية ، فإن عبد الناصر اعتبرها نصراً وقد وجه رسالة الى الشعب في مصر عشية توقيع اتفاقية الجلاء جاء فيها :

« إن يومنا الحاضر يوم عظيم ، يرتفع الى مستوى الماضي العريق ويعطي

---

١ — المصدر السابق صفحة ٥٩ .

بشائر الأمل في مستقبل لا تحده آفاق »[1] .

وكان جلاء القوات الأجنبية هدفاً استقلالياً . لم يربطه المناضلون من أجله بتحرير فلسطين حتى هذا الوقت ، ويروي جورج فوشيه صاحب كتاب « جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبنـــاء » أن الصحفيين حاولوا في المؤتمر الذي عقده عبد الناصر بعد التوقيع على الاتفاقية ان يجروه الى تصريحات عدائية ضد اسرائيل فلم يستطيعوا ، ولما اقترح احد الصحفيين سياسة « أكثر عدواناً » تجاه اسرائيل بعد ان صفت مصر خلافاتها مع بريطانيا اجابه عبد الناصر بوضوح بأن السياسة العدوانية لا تتفق مطلقاً مع الروح البناءة التي تعمل الحكومة المصريـة بوحيها »[2] . وقد حاولت أن أعود الى هذه التصريحات فلم أعرف مصدرها .

الثـاني : اقامة حكم ديمقراطي ، وقــد ترددت الثورة بين التعامل مـــع الاحزاب وعدم التعامل معها ، وكان هنالك تياران متضاربان : تيار يهدف الى عودة الحياة الدستورية وتيار لا يمانع في عودة الحياة الدستورية شريطة ان يقر قانون الاصلاح الزراعي ، وكان محمد نجيب يقود الأول بينما يقود الثاني الرئيس جمال عبد الناصر ، الا ان الاحزاب لم تستطع أن تتجاوب مع الثورة ، وكانت النتيجة ان التيار الثاني اضطر لتصفية التيار الأول ، واقامـــة حكم عسكري يستبدل الاعتماد على الاحزاب بالاعتماد على الجيش ، وأنشأ هيئة التحرير لتكون أداته الشعبية ، ولم يكن ما فعلته الثورة ديمقراطياً ، ولكنه جنب مصر مزالق الديمقراطية التقليدية .

الثالث : الاصلاح الزراعي ، وكان يستهدف تحرير الفلاح في مصر من نـير الاقطاع وتحرير السياسة من سيطرة الاقطاعيين . وقـد أعلن القانون في التاسع من أيلول سنة ١٩٥٢ .

اتجهت الثورة في هذه المرحلة نحو هذه الاهداف الثلاثة ، ولكنها لم تكن كل أهدافها ، فلقد كان من أهدافها أيضاً بناء جيش وطني قوي . ويبدو أن الجيش

---

١ ــ المصدر السابق صفحة ٦١ - ٦٢ .

٢ ــ المصدر السابق صفحة ٦١ .

لم ينل الاهتمام الكافي في هذه المدة .

وينفي الرئيس جمال عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة « أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين »[١] فلقد كانت « نتائج حرب فلسطين من الاسباب العارضة التي ربما كان اكبر اثرها أنها كانت تستحثنا على الاسراع في طريق الثورة، ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق»[٢].

ويشير الرئيس جمال عبد الناصر الى أن الضباط الاحرار كانوا يحاربون في فلسطين بينما كانت احلامهم في مصر[٣] ولعل أهم ما يكشفه كتاب فلسفة الثورة في التعليق على حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ هو ما يلي :

أولاً : أن القتال في فلسطين كان « واجباً يحتمه الدفاع عن النفس[٤] وهو ليس قتالاً في أرض غريبة ، فالدفاع عن فلسطين تقتضيه وحدة المصير والكفاح » .

ثانياً : يقول عبد الناصر : « كنت مؤمناً بأن الذي حدث في فلسطين كان يمكن ان يحدث – وما زال احتمال حدوثه قائماً – لأي بلد في هذه المنطقة ما دام مستسلماً للعوامل والعناصر والقوى التي تحكمه الآن » أي أن التحرر من الاستعمار « ابرز هذه القوى » ومن التخلف هو الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون حدوث مثل ما حدث .

ولقد حدد عبد الناصر في هذا الكتاب عوامل قوة العرب فأرجعها الى ثلاثة مصادر :

١ – وحدة الكفاح والمصير التي تجمع الوطن العربي .
٢ – الموقع الاستراتيجي للوطن العربي .
٣ – البترول العربي .

---

١ – فلسفة الثورة ـ مطبعة دار التعاون صفحة ١٢.
٢ – فلسفة الثورة ـ مطبعة دار التعاون صفحة ١٤ .
٣ – فلسفة الثورة صفحة (١٥) .
٤ – المصدر السابق صفحة (٧٠) .

ولقد حدد عبد الناصر أيضاً عمل الثورة في دوائر ثلاث : —
١ — الدائرة العربية .
٢ — الدائرة الإفريقية .
٣ — الدائرة الاسلامية .

ولكن الثورة في هذه المرحلة لم تستطع أن تستفيد من مصادر القوة هذه أو ان تنطلق الى دوائر العمل التي حددها كتاب فلسفة الثورة ، فلقد امتصت جهودها الاهداف الثلاثة التي ذكرنا ، والتي هيأها نجاحها فيها للانطلاق في المرحلة التالية .

من غارة غزة حتى الانفصال الرجعي
٥٥/٢/٢٨ — ٦١/٩/٢٨

بدأت في أواخر سنة ١٩٥٤ معركة حلف بغداد ، وفي الشهر الأول من سنة ١٩٥٥ وقع العراق اتفاقية الاشتراك في الحلف وكانت الثورة في مصر قد اختارت الطريق التي سلكها حزب البعث والفئات التقدمية في الوطن العربي من قبل ، وهي معارضة الاحلاف . ودعا عبد الناصر لمؤتمر يحضره رؤوساء الدول العربية لمناقشة الموضوع ، ولكن المؤتمر لم يستطع اقناع العراق بالانسحاب من الحلف .

وفي الثامن والعشرين من شهر شباط من العام ذاته كانت الغارة على غزة ، واستطاعت الثورة ان تربط بين أبعاد المعركة، بين معارضة حلف بغداد والنقص الفادح في العتاد والقوة العسكرية ، وغارة اسرائيل على غزة . وأدركت الثورة أن حماية الاستقلال وحماية البناء تحتاج الى القوة .

وطلبت حكومة الثورة السلاح من بريطانيا ومن الولايات المتحدة فلم تجد الا المماطلة . وهنا اتجه عبد الناصر الى الاتحاد السوفياتي . وكان السفير السوفياتي قد أبلغ حكومة الثورة في الشهر الأول من العام ذاته بأن الاتحاد السوفياتي مستعد لتزويد مصر بالسلاح . وقد أبلغت حكومة الثورة الاتحاد السوفياتي في

آذار وبعد شهر من الغارة تقريباً عن رغبتها في شراء السلاح من الكتلة الشرقية. وظلت الصفقة سراً حتى أعلن عنها في أيلول من ذلك العام (*).

كانت الصفقة هزة، هزة حركت مشاعر المواطنين العرب الذين انتظروا يوم الخروج على المستعمرين سنين طويلة وهزة ارعبت الدول الاستعمارية التي لم تكن تتصور بأن هنالك دولة في هذه المنطقة قادرة على التحدي.

وهكذا جرّت معركة الحياة مصر الى معركة السلاح، لتقود هذه المعركة مصر من جديد الى معارك تثبيت الاستقلال.

ولقد أخذ البرعم الذي تفتح في باندونج ينمو بعد أن أسقته الجماهير العربية بدمائها. وكان أول نصر حققته هذه السياسة بعد صفقة الاسلحة هو هزيمة حلف بغداد في الاردن واتجاه الأردن نحو التحرر.

ويعلق الرئيس عبد الناصر على هذه الأحداث في خطابه الذي ألقاه أمام مجلس الامة سنة ١٩٥٧، قائلا: « وجاءت لحظة وجدنا فيها أننا لا نستطيع السكوت فإن معركة الأحلاف العسكرية تخطت حدود العراق، وبدأت الدعوة توجه الى باقي الدوَل العربية كي تنضم الى الحلف العسكري الجديد.

وكان هذا خطراً على المنطقة كلها من وجهة نظرنا، كذلك كان خطراً على سلامتنا الوطنية هنا في مصر. فلو أن جميع الدول العربية استجابت لهذه الدعوة الموجهة اليها وقبلت الانضمام الى هذا الحلف، اذن لكان معنى ذلك ان اهتمام هذه الدول جميعاً سوف يتجه الى خطر محتمل قادم من الشمال ويتغافل عن خطر محقق رابض في قلب المنطقة العربية نفسها وهو اسرائيل.

ولو أن ذلك حدث لكان معناه تصفية قضية فلسطين في صالح اسرائيل أولاً، ثم كان معناه ترك مصر وحدها تواجه اسرائيل ومطامعها التوسعية ثم تستدير بعد مصر الى باقي اجزاء الوطن العربي تلتهم منه جزءاً بعد جزء »(1).

---

* اغرب ما سمعناه فيما بعد ان الاسلحة كانت غير ذات فائدة، لتوقف تشيكوسلوفاكيا عن صنعها ولعدم وجود ذخيرة وقطع غيار لها.

١ – خطابات الرئيس والوزراء صفحة (٤١ – ٤٢).

ويكشف عبد الناصر في أكثر من مناسبة اتجاه تفكيره قبل الغارة على غزة فيقول : « كنا في ذلك الوقت نعتبر خطر اسرائيل هـــو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا ، كنا نعتبر ان خطر اسرائيل في حقيقته ان هو الا ضعف العرب . كان اعتقادنا أننا اذا استطعنا ان نبني في مصر هذه الامـــة الكبيرة التي نحلم ببنائها فإن خطر اسرائيل يتلاشى وعنادها يلين »[1] .

لقد كانت مسألة البناء هي الشغل الشاغل ، وكان هنالك انشغال عن الخطر الرابض على الحدود حتى دقت غارة غزة ناقوس الخطر .

وزاد من ضرورة الحصول على السلاح أن قوات مصر المسلحة « كانت تفتقر افتقاراً خطيراً للمدفعية والمدرعات ولم تكن تمتلك من الدبابات الا بعض القديم منها مما خلفته الحرب العالمية الثانية » . ولم تكن قطع الغيار متوافرة « وكانت التشكيلات المحاربة تفتقر حتى للعربات لنقلها وأصبحت هذه التشكيلات غـير قادرة على الحركة ولم يكن بالقوات الجوية غير سرب واحد من المقاتلات وأما القاذفات فلم يكن منها الا خمس قاذفات متوسطة ، لم يكن صالحاً منها اكثر من ثلاثة ، وكان مجرد الاشتراك بها في معركة جوية يعتبر عملية من عمليات الفدائيين بالنسبة للطيارين »[2] .

لقد كان عـــدم الحصول على السلاح مشكلة ، وكان الحصول عليه مشكلة اكبر . ذلك ان الاستعمار والصهيونية اعتبرا أن الحصول على السلاح خطر على وجودهما في المنطقة . وحاولت الدول الاستعمارية واسرائيل ان تصل الى اتفاق مع الاتحاد السوفياتي حول منع تصدير الاسلحة الى منطقة « الشرق الأوسط » في أوائل سنة ١٩٥٦ ، ولكن المحاولة فشلت لأن الاتحاد السوفياتي طالب مقابل موافقته على عـــدم بيع السلاح لمصر أو أية دولة في المنطقة بالغاء القواعـــد العسكرية الاستعمارية فيها . وأصبح هم الصهيونيين والاستعماريين بعد ذلـــك « مداهمة المصريين والاستيلاء على الاسلحة المكدسة واتلافها قبل ان يتدرب

---

١ – خطابات الرئيس والوزراء ـ صفحة ٤٣ .

٢ – نفس المصدر ـ خطاب المشير عبد الحكيم عامر صفحة ١٢٧ .

الجنود المصريون على كيفية استخدامها »[1] ليكون ذلك درساً لكل دولة تحاول الخروج على النير الذي فرضه عليها الاستعمار .

وكان عبد الناصر في معركة السباق مع الزمن ، قد طلب قروضاً من الدول الغربية لبناء السد العالي ، « واستمرت المفاوضات مع البنك الدولي للانشاء والتعمير والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وكذلك مع كونسورتيوم فرنسي – ألماني من أجل تمويل مشروع السد العالي»[2]. ولكن هذه المفاوضات فشلت في تموز سنة ١٩٥٦ ، والثورة مقدمة على الاحتفال بعيدها الرابع . وكان سبب الفشل أن الدول الغربية ارادت ان تجعل من القروض وسيلة لفرض سياستها على مصر . وهنا اتجه عبد الناصر الى اعلان قرار تأميم قناة السويس في الاحتفال بعيد الثورة الرابع .

واستغلت بريطانيا وفرنسا واسرائيل هذه المناسبة لتقوم بالعدوان على مصر في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ .

وكان العدوان يستهدف :

أولاً : تحطيم قوى مصر العسكرية الناشئة .

ثانياً : القضاء على الاتجاه التقدمي فيها .

ثالثاً : ضم غزة وسيناء لاسرائيل وفتح خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية .

ولكن العدوان فشل لأسباب عديدة أهمها سحب القوات المصرية من سيناء قبل ان تصل اليها كلها وتحاصر فيها . ولو وقعت القوات المصرية في الفخ المنصوب لها لما أفاد موقف الولايات المتحدة ، ولا موقف الاتحاد السوفياتي ولتغير مجرى الأمور . وقد خرجت بعدئذٍ القوات الغازية من بور سعيد وسيناء وغزة ولكن دون اللجوء للسلاح ولم تربح اسرائيل الا فتح خليج العقبة للملاحة الاسرائيلية .

واني اعتقد أن فتح خليج العقبة نتج عن عوامل عدة :

---

١ – جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء جورج فوشيه صفحة ٢٤٥ .
٢ – جمال عبد الناصر في طريق الوحدة والبناء جورج فوشيه صفحة ٢٧٧ .

أولها : ان الدول العربية المتاخمة لاسرائيل لم تدخل المعركة ولو دخلت لاستطاعت أن تؤثر في التركيز العسكري الاسرائيلي الواقع على الجبهة المصرية ، ولربما كانت قادرة أن تحتل مواقع اسرائيلية . ويروي المشير عبدالحكيم عامر في خطابه الذي أشرنا اليه أن جيوش سورية والاردن والسعودية كانت مستعدة وتنتظر الأوامر من القاهرة إلا أن القاهرة رأت عدم اشراكها بعد ان اتضح توقف انجلترا وفرنسا . وكان اشراكها في رأيي كفيلاً بان يغير ميزان القوى ويمنع اسرائيل من احتلال ما احتلت او المحافظة عليه . كما كان مستحيلاً ان محاول التشدد في الانسحاب أو الاصرار على فتح خليج العقبة . ولكن القيادة في القاهرة غلبت الحذر على الجرأة فكان ما كان[1] .

ثانيها : ان القاهرة بعد أن خرجت القوات الاسرائيلية من سيناء وغزة رضخت لضغط عاملين :

أ — الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تصر على ضرورة فتح خليج العقبة .

ب — الخوف من الحرب ... ذلك ان اسرائيل التي فشل عدوانها كانت تبحث عما يبرر لها ما فعلت أمام شعبها ولهذا أعلنت أن محاولة منع سفنها من عبور مضيق تيران يعني الحرب ، ولم تكن مصر آنذاك قادرة على خوض معركة حاسمة مع اسرائيل . إلا أنها لم تستعمل أية وسيلة من وسائل الضغط السياسي والشعبي لاغلاق خليج العقبة ، وابعاد البوليس الدولي .

ثالثها : الانشغال باخراج القوات الغازية اولاً، ثم الانشغال في مقاومة حلف بغداد فمشروع ايزنهاور والمعارك السياسية مع الرجعية العربية التي رافقت هذا كله . وعلى الرغم من ذلك فإن النتيجة كانت نصراً ، لأن العدو لم يحقق شيئاً من أهدافه الرئيسية .

كانت مصر منذ أوائل سنة ١٩٥٥ قد بدأت العمل من أجل تضامن عربي لمقاومة الأحلاف ، والتقت هي وسوريا على هذه الطريق وعقدت الاتفاقيات

---

١ ـ لا نجهل أوضاع الدول العربية في هذا الوقت ، لاسيا الأردن .

العسكرية والاقتصادية في الفترة الواقعة ما بين اكتوبر سنة ١٩٥٥ ونيسان سنة ١٩٥٦ ما بين مصر وسورية والمملكة العربية السعودية والاردن واليمن، ولكن هذا التضامن الذي استطاع أن يهزم حلف بغداد لم يستطع ان يصمد أمام مبدأ أيزنهاور . وفي نيسان سنة ١٩٥٧ خرجت الاردن والمملكة العربية السعودية على هذه الاتفاقيات وانقسم الوطن العربي الى معسكرين أولهما: متحرر ويتكون من مصر وسورية ، وثانيهما : رجعي ويتكون من العراق والاردن والمملكة العربية السعودية وسائر الدول العربية السائرة في ركاب الاستعمار .

وقد انتهى هذا الصراع بين المعسكرين الرجعي والمتحرر الى قيام وحدة مصر وسورية من جهة والاتحاد الهاشمي من جهة أخرى . كان قيام الوحدة في الثاني والعشرين من شباط سنة ١٩٥٨ ثمرة كفاح المرحلة التي بدأت بمقاومة حلف بغداد ، وكان أمل شعبنا عظيماً في هذه الوحدة .

وكما كان واضحاً لجماهير شعبنا ان طريق الوحدة هي طريق القوة ، كان واضحاً لجمال عبدالناصر؛ ولقد قال في الخطاب الذي القاه يوم الخامس من شباط سنة ١٩٥٨ في مجلس الأمة المصري : « لقد كان الكفاح من اجل الوحدة هو بنفسه الكفاح من اجل القوة ... من أجل الحياة » ، « وليس محض صدفة ان اشاعة الفرقة واقامة الحدود والحواجز كانت أول ما يفعله كل من يريد ان يتمكن في المنطقة ويسيطر عليها »(١) .

وقد أشار عبدالناصر في الكثير من خطبه التي ألقاها بعد الوحدة الى أن الوحدة هي طريق القوة وان الفرقة هي طريق الضعف ، وكان يؤكد دائماً بأن الاستعمار هو الذي قسم بلادنا دولاً وأقام اسرائيل بين ظهرانينا ليجعل منّا ضعفاء . وهو يعتقد ان ضياع فلسطين لم يكن ممكناً سنة ١٩٤٨ لو كانت البلاد العربية موحدة(٢) . وقال عبد الناصر في الخطاب الذي ألقاه في حفل الضباط بسينما الزهراء بدمشق سنة ١٩٦٠ « كانت اسرائيل أول من استبد به الخوف

---

١ – خطاب عبد الناصر في مجلس الأمة المصري يوم ١٩٥٨/٢/٥ .

٢ – خطاب الرئيس جمال عبدالناصر في المؤتمر التعاوني بالقاهرة ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٨.

والهلع حينما قامت هذه الوحدة، ان الوحدة تعني ان اسرائيل أصبحت كالبندقة في داخل كسارة الجوز »[1] ولا بد لنا من أن نتابع سياسة الجمهورية العربية والدولية خلال وحدة مصر وسورية .

أ — في المجال العربي . على الرغم من الصراع الذي كان حاداً بين مصر وسورية من جهة والعراق والاردن من جهة أخرى قبل الوحدة فان الرئيس جمال عبد الناصر أرسل برقية للملك فيصل الثاني يهنئه فيها بقيام الاتحاد الهاشمي على اعتبار (انه خطوة مباركة تتطلع اليها الأمة العربية كلها بأمل كبير باعتبارها اتجاهاً يستمد قوته من أعماق الضمير العربي [2] ». ويبدو أن عبد الناصر كان يأمل بتعايش سلمي بين وحدة مصر وسورية واتحاد العراق والاردن إلا ان الرجعية بقيادة نوري السعيد أصرت على ان تخوض المعركة بعد ان زادت قوتها بانضمام الاردن والسعودية الى معسكرها . وكان نتيجة لذلك ان قامت ثورة لبنان وان انفجرت ثورة الرابع عشر من تموز . ولكن الثورتين اجهضتا . وبينما قام وضع سلبي في لبنان ازاء الجمهورية العربية المتحدة ، قام وضع معاد في العراق . وجر الوضع المعادي في العراق الجمهورية العربية المتحدة الى معركة مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، في وقت كانت المعركة فيه مع الولايات المتحدة لم تنته بعد .

وعزلت الجمهورية العربية المتحدة وكانت تبدو كأنما هي تخوض معركة يائسة مع القوى الرجعية التي تحاصرها . وكان عبدالناصر في الوقت الذي يدعو فيه لمحاربة الرجعية يرفع شعار « وحدة ، اتحاد ، تضامن » حتى أنه استجاب لرسالة حسين الرمضانية الشهيرة سنة ١٩٦١[3] ، ولكن الرجعية ظلت في عنادها حتى

---

١ — خطابات الرئيس في أعياد الوحدة سنة ١٩٦٠ هدية مجلة الجندي صفحة ٣٦ .

٢ — فلسطين اليوم لا غداً الطبعة الثانية صفحة ١١٠ رياض طه .

٣ — برر حسنين هيكل هذه الاستجابة بأنها محاولة لتخفيف حدة التوتر في الوطن العربي لمجابهة محاولات اسرائيل العدوانية .. (ملحق الأهرام - بصراحة) عند محاولته تبرير الدعوة لمؤتمر القمة .

استطاعت ان تقضي على وحدة مصر وسورية في الثامن والعشرين من أيلول سنة ١٩٦١ .

ب — في المجال الدولي . كانت الوحدة ثمرة من ثمرات الكفاح الذي خاضته القوى العربية المتحررة ضد حلف بغداد أولاً ثم مشروع ايزنهاور وضد الاثنين معاً ، بعد ان نسّقت الولايات المتحدة وبريطانيا سياستيهما في المنطقة . وقد زادت التوتر في العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة أحداث كثيرة ، كان من أهمها انزال القوات الأمريكية في لبنان سنة ١٩٥٨ والوحدة لم تبلغ نصف عامها الأول . واستعمال أسلحة حلف شمال الأطلسي ضد الثورة في الجزائر ، وتأييد الولايات المتحدة المستمر لاسرائيل. وعندما سأل فرنك كبرنز مندوب شركة كولومبيا للاذاعة الرئيس جمال عبدالناصر عن العقبات التي تعترض تحسن العلاقات بين الولايات المتحدة الامريكية من ناحية والجمهورية العربية المتحدة من ناحية أخرى أجاب الرئيس بما يلي : « ان هذه العقبات في الواقع ليست عقبات مادية وفي الواقع انه لا توجد مشاكل مادية بيننا وبينكم غير تجميدكم لارصدتنا من الدولارات. وانما العقبات الحقيقية هي في الناحية المعنوية. اننا لا نقر سياسة الضغط والتهديد ولن نخضع لها ... اننا لا نريد ان نعادي الولايات المتحدة ، فان سياستنا المرسومة هي ان نصادق الجميع وان نكون على علاقة طيبة بالجميع . ولكننا لا نريد ولا نستطيع ان نفرط في سيادتنا او في كرامتنا الوطنية »[1] .

وثارت الأزمة الحادة بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي بعد ان هاجم الرئيس جمال عبد الناصر في السادس والعشرين من كانون الأول سنة ١٩٥٨ الحزب الشيوعي في سورية ، وفي أعياد الوحدة سنة ١٩٥٩ وخلال مدة اقامته في سورية شن حملة شعواء على الشيوعيين العرب ، بسبب موقفهم من وحدة مصر وسورية ، ودورهم في انحراف ثورة العراق . وحاول الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة استغلال الازمة فبدأت الوفود الغربية تصل القاهرة في

١ ــ مجموعة خطب وبيانات وتصريحات الرئيس ــ القسم الثاني مصلحة الاستعلامات ص ٩٦.

محاولة للتفاهم ، وتقديم القروض[1] . وفي هذا العام تمت تصفية الحساب مع بريطانيا . ولكن العلاقات لم تتحسن فعلاً مع الولايات المتحدة الا بعد نجاح كنيدي في انتخابات رئاسة الجمهورية ، وكان عبد الناصر حريصاً خلال الأزمة مع الشيوعيين ألا تسوء العلاقات بينه وبين الاتحاد السوفياتي الى درجة القطيعة ؛ وكانت النتيجة أن الجمهورية العربية استطاعت ان تفتح ابواب التعاون مع الشرق والغرب بمحاربة الشيوعية المحلية وانتهاج سياسة « الحياد الايجابي » .

ماذا عن فلسطين

كان قيام الوحدة بشرى تحقيق العودة، فماذا فعلت الجمهورية العربية من أجل فلسطين ؟ نستطيع أن نوجز موقف الجمهورية فيما يلي :

أولاً : استمرت الجمهورية في العمل من أجل التقدم وبناء الجيش الوطني القوي على اعتبار « أن التخلف هو الشيء الوحيد الذي يضمن البقاء لاسرائيل على أرضنا الى الأبد، والخطر الاسرائيلي يتلاشى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة اذا تمكنت الامة العربية ان تخلص نفسها من التخلف الذي فرضه الاستعمار عليها والذي تحاول ان تفرضه الرجعية[2] » .

ثانياً : أخذت الجمهورية تهيىء نفسها لمواجهة عدوان إسرائيلي متوقع بسبب ضغط الهجرة الداخلي في اسرائيل ، واعتماد اسرائيل على سياسة فرض السلام بالقوة . وقد تحدث عبد الناصر عن هاتين الناحيتين في كثير من خطبه منبهاً للخطر ، وحين سأل فرانك كبرنز الرئيس جمال عبد الناصر عن احتمال تسوية بين العرب واليهود ، أجاب الرئيس : « ان المشكلة بين العرب واسرائيل كانت اولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة ولقد أضافت اسرائيل الى هذا مطامعها التوسعية . ويكفي للتدليل على ذلك ان اسرائيل تستقبل في العام الواحد الآن

---

١ – علقت الصحف البريطانية مؤيدة لاتجاه القاهرة الجديد الديلي تلغراف ٢٤-١٢-١٩٥٨ الاوبزرفر ٥٩/١/٢٥ .

٢ – خطاب عبد الناصر ٢٢ شباط سنة ١٩٦٢ .

اكثر من مائة الف مهاجر فهل تستطيع اسرائيل بمواردها الحالية ان تستوعب هذا العدد ؟ ان نتيجة ذلك ستكون اعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع ، فهل ترى ان هــذا كله يتيح اي أمل في حل[1] » إلا ان السياسة الرسمية التي كانت تعلن دائماً كانت دفاعية .

ثالثاً : يتحدث عبد الناصر كثيراً عن حقوق شعب فلسطين المغتصبة ، وعن ضرورة استعادتها ، ولكنه يتحدث كثيراً عن تنفيذ قرارات الأمم المتحــدة بشأن فلسطين . وقد سأله ويلتون واين مــدير مكتب وكالة الاسوشيتد بريس بالقاهرة عمــا اذا كان لدى الجمهورية العربية المتحدة اقتراحات محددة توضح موقفها أمام الرأي العــام وتضع اسرائيل امام الامر الواقع فأجاب : « قلت صراحة يوم ٢٢ يوليو اننــا على استعداد لأن نقبل قرارات الأمم المتحدة اذا احترمت اسرائيل قرارات الأمم المتحدة ونفذتها فعلاً [2] » ويقول في اجابـة أخرى « ونحن على استعداد لأن نقدم كل عون للأمم المتحدة لكي تضع قراراتها موضع التنفيذ [3] » .

رابعاً : وحين كتب الرئيس كنيدي رسالته المشهورة لعبد النــاصر عارضاً عليه الوساطة لتسوية قضية فلسطين في الحادي عشر من أيار سنة ١٩٦١ أجاب عبد الناصر على الرسالة اجابة ودية يقول فيها : « لقد حاولنا دائماً ، ومــا زلنا نحاول ولسوف نصر دائماً على المحاولة ان نمد ايدينا للامــة الأمريكية وأوكد لكم انه مما يحز في نفوسنا الى ابعد الحدود اننا في كثير من الأحيان نجــد يدنا معلقة وحدها في الهواء » ثم يقول : « كان هدفي ان اشرح لكم ان حق اللاجىء الفلسطيني مرتبط بحق الوطن الفلسطيني » . ولكن مــا هو هذا الحق ؟ هل هو العودة وفق مقررات الأمم المتحدة ؟ هل هو القضاء على اسرائيل ؟ هذا مــا لم يجب عليه عبد الناصر .

---

١ – حديث الرئيس مع فرانك كبرنز مندوب شركة كولومبيا للاذاعة . مجموعــة الخطب والتصريحات صفحة ٩٧ .

٢ – مجموعة الخطب والتصريحات – الجزء الثاني صفحة ٦٥٣ تاريخ ١٩٥٩/١٠/٩ .

٣ – مجموعة الخطب والتصريحات – الجزء الثاني صفحة ٦٥٥ تاريخ ١٩٥٩/١٠/٩ .

خامساً : طرحت الجمهورية العربية قضية ابراز الكيان الفلسطيني على مجلس الجامعة العربية سنة ١٩٥٩ واُتخِذَت قرارات بهذا الشأن وبحث الموضوع مرة ثانية سنة ١٩٦٠ في اجتماع وزراء الخارجية العرب ولكن الاردن وقف موقف المعارض . وظلت القضية مجرد قرارات اتخذتها الجامعة العربية . وأنا اعتقد ان بحث الموضوع في اجتماعات الجامعة كان يستهدف « المماحكات السياسية » اكثر مما يستهدف العمل من اجل فلسطين ، ذلك ان جامعة تتحكم بها الرجعية العربية من المستحيل ان تفعل شيئاً من اجل فلسطين .

سادساً : وطرحت الجمهورية منذ سنة ١٩٥٩ موضوع تحويل روافد نهر الأردن على الجامعة العربية ، ورصد مبلغ في ميزانية الاقليم السوري لتحويل مجرى بانياس ، ولكن الانفصال حدث قبل ان يتم التحويل . وكان التحويل يعني محاولة تلافي الصدام مع اسرائيل . ويبدو من خطابات عبد الناصر أن تلافي الصدام كان خطة تستهدف تأمين القوة التي تكفل الانتصار في الوقت المناسب ، ولكن هذا الموقف الذي يبدو منطقياً وصحيحاً يصبح مثار تساؤل اذا ما سمعنا الرئيس جمال عبد الناصر يطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

سابعاً : لم يتغير وضع غزة السياسي خلال الوحدة، ذلك أن المقاومةالشعبية خلال الاحتلال اليهودي ، والبسالة التي أبداها الحرس الوطني الفلسطيني لم تنل غير الثناء في خطابات المناسبات . ولم يَسعَ المسؤولون في مصر أولاً ثم في الجمهورية العربية المتحدة لدعمها وتسليمها زمام الامور في قطاع غزة لتكوننواة العمل الجدي المثمر من أجل تحرير فلسطين . وبدلاً من ذلك ، جرت انتخابات للاتحاد القومي في غزة ، وللمقيمين من أبناء فلسطين في الاقليم الشمالي فنجحت الوجاهات والفئات غير الثورية ، وكما تصدرت البرجوازية والانتهازية الاتحاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة ، تصدرته في غزة . وحين تم الانفصال كان قادة الاتحاد القومي الفلسطيني في الاقليم الشمالي من مباركيه ومؤيدي قيادته « الثورية » . ولم تغير انتخابات الاتحاد القومي من وضع قطاع غزة فقد ظل الحاكم العام الاداري هو ممثل السلطة . وحين خطب عبدالناصر في وفود قطاع

غزة بتاريخ ١٩٦٠/٣/١ في دمشق قال : « أمـا واجبكم فهو وحدة الصف وأنا أرى هذا في الاتحاد القومي. فقد قاست فلسطين في الماضي الكثير من الخلافات واليوم أرى الشعب العربي الفلسطيني وهو يتسلح بالوعي ويأخذ من الماضي دروساً والدرس الأساسي هو الوحدة » . كانت وحدة الصف تشغل بال عبدالناصر في هذه المرحلة وكان تعبيرها السياسي هو الاتحاد القومي . ولم يكن هـذا الشعار ثورياً لأنه لا يحقق وحدة الجماهير تحت لواء الثورة ، وهذا ما اكتشفه فيما بعد .

لقد كان الاتحاد القومي الفلسطيني مجرد واجهة .. تقوده برجوازية خانعة تابعة ، تصفق ولا تعمل ، تجامل ولا تناضل .

انتهت هذه المرحلة بالانفصال ، الذي كشف كل عيوبهـا وكانت للانفصال آثار في الجمهورية العربية المتحدة ، فماذا كان أثره في فلسطين ؟

من صدور القرارات الاشتراكية

كان صدور القرارات الاشتراكية في تموز سنة ١٩٦١ مفاجأة للجميع. ذلك أن شعارات المرحلة السابقة لم تكن توحي بما حدث . ولقـد أصدر عبدالناصر القرارات دون الرجوع لمجلس الأمة لأنه كان يعرف موقف مجلس الأمة من هذه القرارات . وعلى الرغم من صدور هذه القرارات التي هزت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فان عبدالناصر بقي مكانه يردد شعارات المرحلة السابقة في التقريب بين الطبقات ويتبنى الاتحاد القومي . ورفعت الرجعية عقيرة التمرد في الثـامن والعشرين من ايـلول سنة ١٩٦١ ففصلت سورية عن مصر ، والغت القرارات الاشتراكية فيها وبدأت معركة مجنونة مع عبدالناصر وأفكاره . وهنا استيقظ عبدالناصر فأصدر قرارات العزل المدني والحراسة وألغى الاتحاد القومي، وأعلن الحرب على الرجعية العربية . وفي الثالث والعشرين من كانون الأول سنة ١٩٦١، تحدث عبدالناصر عن الرجعية وعن معركة فلسطين وتساءل كيف يمكن الدخول في المعركة مع الصهيونية دون القضاء على « الطابور الخامس العربي » الذي كشر عن أنيابـه ؟ وقال : « منتظر ان الشعوب العربية تتخلص وتطهر نفسها من

الطابور الخامس وتبقى بعد كده معركة فلسطين قربت »[1] . وحدد عبدالناصر واجبات الجمهورية العربية في هذا الخطاب بانها تنحصر في مضاعفة قوتها لتكون قـــادرة على الدفـــاع عن نفسها اذا تعرضت للعدوان . وفي الاحتفال بذكرى لوحدة في الثاني والعشرين من شباط سنة ١٩٦٢ أكد عبدالناصر مبدأ أن لا مهادنة مع الرجعية ، ورفع شعار وحدة الهدف بدل وحدة الصف ، على اعتبار ان وحدة الصف هي الوحدة التي تخدم الاستعمار « وأن المعركة مع الصهيونيــة هي معركة مع الاستعمار واعوان الاستعمار » .

وفي هذا العام عام النضال ضد الرجعية والاستعمار ، وقفت الجمهوريــة ثلاثة مواقف لا بدّ من الاشارة اليها :

الأول : موقف عبد الناصر عندما خطب في وفد من قطاع غزة قائلاً : ليس لدينا خطة لتحرير فلسطين ، والذي يقول لكم بأنه يملك خطة يكذب عليكم[2]. وكان عبدالكريم قاسم حينذاك قد ملأ الدنيا ضجيجاً بأنـــه يملك خطة لتحرير فلسطين .

الثاني : موقف عبـــد الناصر في الميثاق : « ان أصرار شعبنا على تصفية العــدوان الاسرائيلي على جزء من الوطن الفلسطيني هو تصميم على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب . وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلي في افريقيا غـــير محاولة لحصر انتشار سرطان استعماري مدمر »[3] .

الثالث : اصدار النظام الدستوري لغزة .

ولو حاولنا ان نقارن بين الموقفين الأول والثاني لوجدنا بينهما تناقضاً واضحاً، ذلــك ان الاصرار على تصفية العدوان الاسرائيلي يعني ان الجمهورية تملك خطة هذه التصفية والا فما معنى الاعداد والاستعداد اللذين لم يخـــل منهما حـــديث

١ – الأهرام ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١ .
٢ – حزيران سنة ١٩٦٢ .
٣ – الميثاق صفحة ١١٩ .

للرئيس جمال عبد الناصر خلال سنوات ؟ هل كان جمال عبد الناصر ينوي حض" أبناء فلسطين على العمل عندما ذكر ان الجمهورية العربية المتحدة لا تملك خطة ؟

أن لا يملك جمال عبد الناصر خطة معناه أن الأمة العربية لم تبدأ النضال بعد من اجل تحرير فلسطين وان كل التصريحات والبيانات التي طرب لها ملايين العرب لا تساوي شيئاً ، ويستطيع الانسان ان يتصور خيبة الامل التي نتجت عن هذا التصريح اذا عرف تصورات الجماهير لاستعدادات الجمهورية العربية المتحدة وعزم جمال عبد الناصر على تصفية العدوان الاسرائيلي . وجاء بعد ذلك النظام الدستوري لقطاع غزة مؤكداً ان الجمهورية العربية التي غيرت الكثير من افكارها بعد الانفصال ، لم تغير من نظرتها الى القطاع ودوره في استعادة الوطن السليب . ذلك ان الاتحاد القومي الذي ثبت فشله في الجمهورية العربية المتحدة ، اعتبر صالحاً في قطاع غزة. ولهذا لم يغير النظام الدستوري شيئاً من وضع القطاع السياسي او الاجتماعي وظل الحاكم الاداري العام هو السلطة الحقيقية . وفي الثامن عشر من أيار سنة ١٩٦٢ ، كتب حسنين هيكل مقالاً بمناسبة ذكرى الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨ ضمنه آراء عبد الناصر في الموقف وكان أهم ما ذكره هيكل على لسان الرئيس : « انني اعتبر ان عام ١٩٦٣ أو عام ١٩٦٤ سيكون هو العام الحاسم . في ذلك الوقت سوف تضطر اسرائيل لاتمام المشروع[١] أن تعمل في المنطقة المنزوعة السلاح فاذا ما تصدينا لها فنحن في موقف المدافع عن حقه ومن ثم نضمن الرأي العام العالمي والامم المتحدة . في ذلك الوقت سيكون استعدادنا العسكري قد اكتمل وستكون قواتنا على أهبة الاستعداد »[٢] .

ومثل هذا الكلام ينفي قطعاً ما قاله الرئيس من أن الجمهورية لا تملك خطة. فالذي يبدو من تتبع خطب الرئيس عبد الناصر بالذات هو أنه منذ الانفصال

---

١ – يعني تحويل مجرى نهر الأردن .

٢ – الأهرام السنة ٨٨ العدد ١٨،٢٧٥٥١ أيار سنة ١٩٦٢ .

قد صب جهوده على محاربة الرجعية وتقوية الجيش . وكان يتحاشى الصدام مع اسرائيل في وقت لا تكون الجمهورية العربية المتحدة فيه مستعدة استعداداً متفوقاً . وحين انفجرت ثورة اليمن بعد عام من الانفصال تحرك جيش الجمهورية العربية حركته السريعة الباسلة . وكانت معركة اليمن هي المعركة المسلحة الأولى التي يخوضها الجيش العربي ضد الرجعية. الا أن المعركة تحولت من الهجوم الى الدفاع وأصبح همها أن تحفظ الثورة داخل حدود اليمن بدلاً من ان تتجه الى اشعال لهيبها في سائر انحاء الجزيرة العربية . وألزمت هذه السياسة الدفاعية الجمهورية العربية المتحدة بالاحتفاظ بجيش كبير في خطوط القتال . وكانت الجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة الواقعة قبل مؤتمر القمة حريصة ألا تصطدم بالولايات المتحدة ، كما كانت تحاول أن تضغط على بريطانيا للوصول الى اتفاق .

ولم تمض على معركة اليمن عدة أشهر حتى انهار الحكم الفردي الاستعماري في العراق ، وبعد هذا بشهر واحد قضي على حكم الانفصال في سورية ... واتجهت سورية والعراق الى الوحدة. وكانت المباحثات العتابية الطويلة التي انتهت بميثاق السابع عشر من نيسان . وكان واضحاً ان هذه الوحدة ستغير ميزان القوى في المنطقة لو تحققت . الا أن الوحدة تعثرت بسبب حذر عبد الناصر الشديد من التعامل مع البعثيين وبسبب حرص البعثيين على الاشتراك بالسلطة فعلياً في الجمهورية الجديدة . وبدأت بفشل مشروع وحدة السابع عشر من نيسان معركة حادة جديدة بين الجمهورية وانظمة الحكم الجديدة في العراق وسورية .

وخلال هذه الأزمة التقى حسنين هيكل بالملك حسين وعاد عبد الناصر فصرح لجريدة لوموند الفرنسية بأنه لا يملك خطة لاسترجاع فلسطين، في الوقت الذي كان يتحدث فيه عن قوة جيش الجمهورية العربية المتحدة واستعداداته.

وفجأة ، وفي احتفالات النصر في السادس والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٦٣ أعلن عبد الناصر في نهاية خطابه عن أنه سيدعو لمؤتمر يجتمع فيه الملوك والرؤساء العرب ليبحثوا قضية فلسطين ووعد الذين يتحدث اليهم بأن يقول لهم بعد المؤتمر اذا كانت الجمهورية ستحارب أو لا . كما وعدهم بأن يكشف لهم

كل شيء .

وظهر لأول مرة ان حديث احسان عبد القدوس عن « الحرب بلا تورط » في روز اليوسف كان يمثل سياسة الجمهورية العربية المتحدة الرسمية[١] .

ويكشف حسنين هيكل[٢] أن فكرة دعوة هذا المؤتمر ولدت في أوائل سنة ١٩٦٣ وبعد ثورتي العراق وسورية بالذات وان تنفيذها تأخر بسبب الصدام الذي حدث بين حزب البعث والجمهورية العربية المتحدة . ولكن ظروفاً عديدة أهمها سقوط الحكم البعثي في العراق دفع الفكرة الى مسرح الاحداث ، وبدا – كما يقول حسنين هيكل – « ان الأمل الذي ضاع في بداية العام يمكن استعادته بغير مخاطر في نهايته ،وعادت فكرة الدعوة الى مؤتمر للملوك والرؤساء العرب تلوح بأمان من جديد بقصد توفير حاجتين ضروريتين لسبق الزمان قبل ان يحل عام ١٩٦٤ الخطير والحاسم :

- تخفيف حدة التوتر الذي يمزق العالم العربي من داخله .
- وان يكون ذلك في ظروف تكفل مركز القوة للجانب الثوري من العالم العربي » .

واجتمع مؤتمر الملوك والرؤساء ، الذي أعلن انه لن يكون « مؤتمراً لتصفية حساب قديم »[٣] بل « مؤتمر عمل وتخطيط من أجل فلسطين » فاذا بالمؤتمر يجعل تصفية الحساب القديم أهم واجب من واجباته ، واذا بالتخطيط من أجل فلسطين يكون تحويلاً للروافد ، في محاولة لتلافي الصدام مع الدولة الصهيونية .

وخرج هيكل ومؤتمر القمة لم يصدر بيانه بعد[٤] بمقال عن « الابعاد الجديدة لاستراتيجية النضال العربي » جاء فيه : « أن الخلاف والتمزق كلاهما حقق كل ما يمكن ان يقدمه من فائدة خصوصاً في استراتيجية النضال داخل شعوب أمة

---

١ – مجلة روز اليوسف ـ العدد ١٨٥٣ تاريخ ١٥ كانون الأول ١٩٦٣ .
٢ – الاهرام العدد ٢٨١٤٧ ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ .
٣ – روز اليوسف العدد ٦١٨٥٦ ، يناير ١٩٦٤.
٤ – الأهرام ـ السنة ٩٠ العدد ٢٨١٦١ الجمعة ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ .

واحدة .

« وفي استراتيجية النضال القومي بالنسبة لمصر طليعة هذا النضال نجـد مفهومين أساسيين :

● « ان مصر لا تعتبر أن مهمتها هي تصدير الثورة الى غيرها من البـلاد العربية ، ولكنها بتجربتها تضع نموذجاً للثورة » .

● « ان مصر لا تستطيع ان تفرض الثورة على أي بـلد عربي ، لكن من واجبها حماية الثورة ، اذا الثورة فرضت نفسها أصيلة حقيقية في أي بلد عربي».

واذا كان من معنى لهـذا الكلام ، فهو تبرير « الصلحة العشائرية » التي تمت في مؤتمر القمة عقائدياً . ونجد في محاولة هذا التبرير مغالطتين كبريين :

الأولى : « ان الخلاف والتمزق كلاهما حقق كل ما يمكن ان يقدمه » .

الثانية : ان مصر لا تصدر الثورة ، وانما هي تحميها ... اذا قامت .

ولا نستطيع ان نتصور كيف حكم هيكل وبـأي مقياس على ان الخلاف والتمزق كلاهما حقق كل مـا يمكن ان يقدمه . ذلك ان الخلاف والتمزق هما نتيجة وعي ثوري اشتراكي ما زال في مرحلة نموه الأولى وهما يزدادان حدة كلما ازداد هذا الوعي نضجاً ، ولا يمكن ان ينتهي كل ما يمكن ان يقدماه الا بانتصار الثورة الاشتراكية انتصاراً حاسماً في الوطن العربي كله . ولهذا فإن ثورة مصر لا تستطيع أن تكون النموذج . فأنْ تكون نموذجاً معنـاه ألا تكون طرفاً إيجابياً في الصراع . ان مسؤولية الثورة في مصر لا تنحصر في البنـاء الداخلي الذي قد يجذب الانتباه ، ولا في الحماية التي تأتي بعـد نضج الأوضاع المحلية في قطر من الأقطار ، بل هي العمل الدائب من اجل انضاج الأوضاع المحلية واشعال لهيب الثورة فيها بواسطة كل أنواع الصدام الثوري وأساليبه .

ولعل حرص الثورة في مصر على ان تكون النموذج هو الذي جعلها تصمت أمام تصريحات يو اليكس جونسون ، وكيل وزارة الخارجية الامريكية ببلاهة على الرغم من انهـا جاءت بعد صدور بيان مؤتمر الملوك والرؤساء بأيام . لقد صمتت القاهرة امام التحدي ،وأعلنت بعد ان تمادت الولايات المتحدة الامريكية

وألقى الرئيس جونسون خطابه الشهير أنها طلبت نص الخطاب . وجـاء نص خطاب الرئيس جونسون مع تالبوت مساعد وزير الخارجية الامريكية ، والى جانب نص الخطاب جاءت رسالة من الرئيس جونسون إلى الرئيس جمـال عبد الناصر . وتروي مجلة روز اليوسف[1] أن محادثات جرت بين المسؤولين في القاهرة وبين تالبوت وان تالبوت دافع عن وجهات نظر الولايات المتحدة بما يلي:

● « ان بيان الكسيس جونسون امـام الكونجرس الامريكي ، كان معداً قبل خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في بور سعيد وانه لم يكن رداً على الخطاب او تعقيباً عليه او تحدياً لمـا تضمنه » . وكأن المسألة شخصية تمس الرئيس عبد الناصر بالذات .

● « ان خطاب الرئيس الامريكي جونسون في معهد وايزمان كان ايضاً خطاباً قديماً معداً منذ عدة اشهر وان هذا الخطاب بالذات كان مقرراً أن يلقيه الرئيس الراحل كنيدي في نفس الظروف والمكان » . والجمهورية العربيـة هي المسؤولة عن هذه المغالطة لأنها تصر دائمـاً على ان سياسة الولايات المتحدة كانت اكثر اعتدالاً في عهد الرئيس كنيدي .

● « ان النص الرسمي لخطـاب الرئيس الامريكي الذي ارسل للقاهرة لم يتضمن اي تعريض بالعرب او بقضاياهم او بحقوقهم » .

« ورغبة في توضيح النقطة الاخيرة بالذات قـال تالبوت : احيانـاً يخرج الخطاب المعد قليلاً عن نصه الرسمي لظروف تخدم بعض الأوضاع المحليـة ، ولاعتبارات معنويـة فقط ، غير ان العبرة دائماً بالنص الرسمي الذي تلتزم بـه الحكومة الامريكية » .

وحاول تالبوت ان يدلل على حسن نية الولايات المتحدة ازاء العرب فذكر استعداد الولايات المتحـدة لتقديم نفس المساعدات التي اعلنت عن تقديمهـا لاسرائيل فيما يختص بتحويل الميـاه المالحة الى مياه عذبة ذرياً . كما أشار الى مساهمة الولايات المتحدة في إنجاح « زيارة الدكتور عبد المنعم القيسوني الأخيرة

---

١ – روز اليوسف – العدد ١٨٦٥ – ٩ آذار سنة ١٩٦٤ ، نظرات حولنا .

لواشنطن بشقيهـا : الشق الأول المتصل بالعلاقات الاقتصادية العربيـة – الامريكية ، والشق الثاني المتصل بمؤتمر التجارة الدولي » .

وانتهت قصة خطاب يو اليكس جونسون وخطـاب الرئيس جونسون[1] وبعد اكثر من شهر بقليل[2] كشفت روز اليوسف ذاتها ان الخطة الخمسية الثانية في الجمهورية العربيـة المتحدة تعتمد في تنفيذها بشكل رئيسي على الولايات المتحدة ، والدول الرأسمالية السائرة في فلكها مثل اليابان والمانيا الغربية .

وقصة القروض هي قصة السياسة الخارجيـة للجمهورية العربية المتحدة . فالجمهورية العربية لكي تكون « النموذج » لا بد لها من القروض وهي لـكي تستطيع ان تتقدم بسرعة لا بـد ان تحصل على القروض من كل الجهات وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية . والحصول على القروض من الولايات المتحدة يخضع لمبادىء السياسة الامريكية وأساليبها .

ولقد كانت الولايات المتحدة حريصة دائماً على ايضاح موقفها من المساعدات والقروض التي تمنح للدول النامية . ولعل خير ما نستطيع ان نقدمه مثلاً في هذا المجال هو خطاب الرئيس كنيدي الى جمال عبدالناصر . كان كنيدي واضحاً ، حريصاً على الابتعاد عن اي لبس او ابهام عندمـا حدد مبادىء سياسة بلاده الخارجية للرئيس جمـال عبدالناصر وكان المبدأ الأول من هـذه المبادىء :

« ١ – ستقدم الولايات المتحدة في نطاق أقصى ما في وسعها ، كل مساعدة ملائمة **لكل دول الشرق الأوسط** المصممة على التحكم في مصيرها ، بقصد توفير مزيد من الرفاهية لشعوبها ، **مع السماح لجاراتها بالعمل على تحقيق هذه الأهداف الأساسية نفسها** » .

فالشرط الأساسي للقروض الامريكية هو – كما يحدده كنيدي هنـا ، وكما تحدده السياسة الامريكية في كل مجال – السماح لجارات الجمهورية العربية ومنها

---

١ – أشارت مجلة روز اليوسف بعد مدة الى ان الرئيس عبد الناصر ارسل رسالة شخصية للرئيس جونسون .

٢ – روز اليوسف – العدد ١٨٧٠ – ١٣ نيسان ١٩٦٤ – المستقبل .

اسرائيل بالطبع ، بالعمل على تطوير نفسها . وهـــذا ليس ضماناً لأمن اسرائيل فقط ، بل ضمان للتجزئـة أيضاً . وان ضغط السياسة الامريكية على القاهرة ، هو أحد العوامـــل الرئيسية التي أدت الى انتهاج سياسة « الثورة — النموذج » وعدم تصدير الثورة .

لقد شهدت هذه المرحلة من حياة الجمهورية العربيـــة المتحدة خطوات على طريق التقدم والاشتراكيـة وزيادة في الانتاج والقوة عسكرية ومدنية ، وكان من أبرز احداثها دخول معركتي اليمن والجزائر ثم فتح « معركة » الجنوب العربي المحتل . إلا أن هذه المرحلة لم تشهد اي تحول في سياسة الجمهورية العربية المتحدة نحو فلسطين ...

ان الجمهورية العربية :

● لم تحدد سياسة واضحـــة إزاء فلسطين فهي تارة تتحدث عن الحرب الدفاعية وطوراً عن تنفيذ مقررات الأمم المتحدة .

● لم تتخذ موقفاً صارمـــاً من الدول التي تدعم اسرائيل ، فلقد قدمت الولايات المتحدة مليارات من المساعدات لاسرائيل كما أنهـــا حرصت منذ سنة ١٩٥٠ على انتهاج سياسة معادية للعرب قوامها ضمان بقاء اسرائيل وامدادهـــا بالقوة العسكرية اللازمـة لمجابهة أي خطر عربي . وعلى الرغم من ذلك فان الجمهورية العربية تخطب ودّ الولايات المتحدة دائمـاً ، وتتجاهل تحدياتها لاسيما بعد ١٩٦٠ .

● لم تنتهج سياسة ثورية ازاء تطوير عمل ابناء فلسطين من أجل استرجاع بلادهم . فلقد استبدلت الفدائيين بالاتحاد القومي وتعاونت مع الوجاهات دون ان تتجه اتجاهاً واعياً نحو الجماهير وتركت غزة أشبه بمنطقة محتلة ، بـــدلاً من جعلها قاعدة لتحرير فلسطين ، وساعدت عـــدة جبهات تعمل من أجل تحرير فلسطين دون ان تحاول العمل على توحيدهـــا . وساندت أخيراً الشقيري ممثل الجيل المنهار ، وحامل لواء سياسة المساومة والتهريج بدلاً من مساندة طلائـع تحرير فلسطين .

● ولم تنتهج سياسة عربية واضحة ، ذلك أنها رفعت شعار التضامن العربي في البدء ، ولما أنهت ظروف المعركة سنة ١٩٥٧ سياسة التضامن بخروج حكومة الاردن والحكومة السعودية على الاتفاقيات التي عقدت أواخر سنة ١٩٥٥ وأوائل سنة ١٩٥٦ ، اتجهت نحو الوحدة التامة مع سورية... ولكنها في الوقت ذاته رفعت شعار « وحدة اتحاد تضامن » . وحين حدث الانفصال رفع شعار لا هدنة مع الرجعية ، ووحدة الهدف بدلاً من وحدة الصف ، ثم جاءت الدعوة لمؤتمر القمة بعثاً لسياسة وحدة الصف . بعد الانفصال كان الشعار لا بد من ان نتخلص من الطابور الخامس الرجعي ، من حسين وسعود قبل أن نبدأ المعركة مع اسرائيل ، واليوم يرفع شعار معاكس . في اليوم الأول من الشهر الرابع سنة ١٩٦٣ كتبت مجلة روز اليوسف في افتتاحيتها : « لان اسرائيل تعتبر الاردن اليوم جزءاً من أراضيها وتعتبر « حسين » وكيلاً لها في حكم الاردن، ولأن تحرر الاردن بعد تحرر مصر وسورية والعراق معناه تحرر فلسطين ... وسقوط اسرائيل» [1] « سيواجه تحرر الاردن باعنف هجوم استعماري » وكتبت نفس المجلة ، وفي نفس المكان الذي نشرت فيه الكلام المشار اليه بعد أقل من عام ما يلي : «هل يطالبون جمال عبدالناصر بتأجيل موضوع فلسطين الى أن تتم تصفية القوى الرجعية وتصفية النشاط البعثي»[2] . ومن الصعب أن يعرف المراقب المقياس الذي ترجع اليه الجمهورية العربية في سياستها العربية، ولقد أدّى فقدان المقياس الى ضياع فرص كثيرة ، كان من الممكن ان تغير وجه الوطن العربي ... لقد خسرت القوى القومية معركة الاردن سنة ١٩٥٧،ومعركة لبنان سنة١٩٥٨، ومعركة العراق سنة ١٩٥٨ أيضاً ... كما خسرت معركة تحرير الجزيرة العربية في أواخر سنة ١٩٦٢ عندما وقفت الجمهورية العربية موقفاً دفاعياً ولم تحاول ان تدفع ثورة اليمن الى تحقيق أقصى احتمالاتها . لقد كان من واجب ثورة مصر ان تعمل على تحرير المنطقة المجاورة لاسرائيل ووحدتها بكل الوسائل وبأسرع ما

---

١ – روز اليوسف العدد ١٨١٦ ١/٤/٦٣ – احسان عبدالقدوس .
٢ – روز اليوسف العدد ١٨٥٦ ، ٦ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٦٤ .

يمكن ... ولكنها فشلت في تحقيق هذا حتى الآن ...

خاتمة

ان الجمهورية العربية الآن ، تملك من امـــكانيات التقدم ، ومن القوى ، ومن النفوذ الدولي ، ما يجعلها مطالبة بتحقيق حلم جماهيرنا باستعادة فلسطين...

وان جماهيرنا تعرف أهمية التقدم في القضاء على اسرائيل ولكنها لن تقبل ، بأي شكل من الأشكال ، ان يكون التقدم بديلاً للمعركة الحاسمة مع الصهيونية والاستعمار أو عائقاً لها(*) .

* — تبنت الجمهورية العربية المتحدة أحمد الشقيري بعد مؤتمر القمة تبنياً حاراً ، وأخـذت صحفها تنشر المقالات في الكشف عن « ثوريته » .

مجلة فلسطيننا

مجلة فلسطيننا التي تصدر في بـــيروت ، مجلة شهرية كرسها « أصحابهـا » لخدمة قضية فلسطين . وللمجلة وجهة نظر تدعو لهـا وتدافع عنها . ويهمني أن أبين مقدار جدية « وجهة النظر » هذه وانسجامها مـــع الظروف الموضوعية لقضية فلسطين .

ولا يهمني الآن أن أعلم شيئاً عـن طبيعة التجمع أو المنظمة التي تصدرها ، ذلك ان ما أهدف اليه هو مناقشة الناحية النظرية .

ونستطيـع أن نوجز وجهات نظر المجلة بما يلي :

أولاً : ان قيام كيان فلسطيني ضروري للانتصار في معركـة فلسطين ؛ وضرورة الكيان تنبع من عجز الدول العربية حتى الآن عن أن تفعل شيئاً من أجل تحرير فلسطين .

ثانياً : لا مصلحة لأبناء فلسطين في الانحياز الى جهة من الجهات المتصارعـة في الوطن العربي ، ومن العار ان يستخدم شباب فلسطين في مثل هـذه المعارك الشخصية لأن مساهمتهم فيها تسيء الى الشعب الفلسطيني وتكسبه عداء اخوانه العرب .

ثالثاً : ان الحل الوحيد لقضية فلسطين هو تكوين حركة فدائية « تدمر كل شيء من شأنه ان يعتبر من مقومات الحياة في الوطن السليب »[1] .

وهكذا بدأت بالكيان وانتهت بعدم الانحياز في الخلافات الداخلية. وليس

---

١ ــ العدد الثالث والعشرون ـ السنة الرابعة آذار سنة ١٩٦٢ ص ٣ .

هذا غريباً فالذين يطالبون بصنع « كيان فلسطيني » لا يستطيعون اذا انسجموا مع أنفسهم ان يقبلوا التدخل في شؤون الكيانات الأخرى . ان قصة الكيان اذا طرحت بهذا الشكل المجرد لا بد من أن تؤدي الى الانزلاق . انها لا بد من ان تؤدي الى اتخاذ موقف المتجاهل من حركة جماهيرنا الصاعدة العاملة من أجل الوحدة والاشتراكية وتحرير فلسطين .

عندما بدأت الدول العربية حرب فلسطين من خلال كياناتها الهزيلة كانت الهزيمة . وعندما تولت « جامعة هذه الكيانات » امر قضية فلسطين حولتها الى مأساة . وكانت حركة الجماهير ، حركة الوحدة والاشتراكية وتحرير فلسطين الجواب التاريخي السليم على موقف الرجعية المنهارة الخائنة ... فاذا ما جئنا اليوم وتجاهلنا هذه الحركة ونظرنا للأمور بمنظار « جامعة الدول العربية» سنة ١٩٤٧ نكون قد خنا القضية . لقد كانت الهزيمة نتيجة الضعف والتجزئة والتخلف ، ولذلك فالعودة لن تكون بمهادنة الضعف والتجزئة . يقول دعاة الكيان بأنهم قوميون ، ولكن قوميتهم على ما يبدو لا تتعدى الشعار ، لأن القومية مرادفة للوحدة فأية قومية يقصدون اذن ؟...

ان المطالبة ببعث « الكيان » وعدم التدخل في شؤون الدول العربية الأخرى دلالات لا بد من ايضاحها ، وهذه الدلالات هي :

أولاً : تعزيز الدعوات الاقليمية في الوطن العربي ، لأننا لا نستطيع ان ندعو لكيان ونحارب كيانات أخرى . ان الفلسطيني عندما يقول أريد دولة لي تنطق باسمي ، لا يستطيع ان يطلب من لبناني أن يذوب في العروبة ، أو من « مصري » أن يتخلى عن « قوميته المصرية » .

وفي هذا دعم للفئات الحاكمة التي تعتبر أن للكيانات وجوداً تاريخياً، وتجعل من العروبة شعاراً يحلق في السماء ولكنه لا يصل حدود هذه الكيانات . كما أن في هذا تشجيعاً للنعرات الاقليمية والنزعات المحلية . وما دمنا نحن نحارب الفئات الحاكمة — التي خانت فلسطين — ونحارب التجزئة التي صنعها الاستعمار وكانت من أسباب النكبة ، لذلك فإن دعوة كيانية من هذا النوع هي خدمة

للتجزئة والاقليمية والاستعمار .

ثانياً : وينبثق من جهل هذه الحقيقة جهل حقيقة أخرى ، وهي أن عدم التدخل في الخلافات العربية ، هو سلبية تخدم الرجعية التي خانت فلسطين .

لقد كانت الخلافات شخصية ومصلحية سنة ١٩٤٧ ، أما اليوم فهي خلافات « عقائدية » ... انه الصراع بين الرجعية التي خانت فلسطين والتقدم العامل من أجل استعادتها .

عندما قامت ثورة حسني الزعيم كانت هزيمة فلسطين من أهم أسبابها ...

وعندما قامت ثورة عبد الناصر كانت هزيمة فلسطين من أهم أسبابها ...

واننا لنعرف حق المعرفة ان حركة الجماهير العربية المندفعة نحو الوحدة والاشتراكية هي حركة تحرير فلسطين ، لأنها بعملها من اجل التغلب على أسباب النكبة تكون قد بدأت معركة التحرير . لهذا ، ومهما كانت نقائص هذه الحركة الجماهيرية ، لا يجوز لنا مطلقاً ان نقف منها موقفاً حيادياً ، لأن خذلاننا لها خذلان لقضية فلسطين ، وانتصار لاعدائها . ان ما تطلبه الرجعية اليوم هو ان نصف الخلافات العربية بأنها شخصية ، وأن ندعو شعبنا لعدم الانتصار لفئة دون اخرى من المتنازعين .. ذلك أن موقفنا هذا يقودنا الى معسكر الرجعية ... معسكر الهزيمة في فلسطين . ليس هنالك امكانية للحياد: فإما ان نكون مع الرجعية ، مع الهزيمة ، او ان نكون مع الثورة ، عليها . ولا بد من ان نكون مع الثورة عليها لندعمها ولنزيدها نضجاً ، ولندفعها دفعاً سريعاً واعياً في طريق تحرير فلسطين .

ولا ضير على أبناء فلسطين اذا كسبوا عداء الرجعية والمشايعين لها ، ولن يضر ذلك بقضيتهم حتى لو نظرنا إليها نظرة اقليمية . فالرجعية كانت سبب الهزيمة سنة ١٩٤٨ ، وهي التي ما زالت حتى الآن تخذل عرب فلسطين ، وتتآمر على قضيتهم ، بابعادهم عن ميدان العمل من اجل قضيتهم ، وبالارتباط المباشر مع الاستعمار ،والامريكي منه خاصة ، وبتكريس الأوضاع التي أدت الى النكبة.

ولهذا ، فعلى ابناء فلسطين ان يدخلوا الصراع العربي ليزيدوه وحدة ،

وليحققوا انتصارهم الأول على الرجعية العربية التي تقف حائلاً بين الجماهير العربية ، وتحقيق ارادتها في القضاء على اسرائيل . وأي محاولة لابعاد أبناء فلسطين عن هذا الصراع، انما هي محاولة مضللة ، ترمي أبناء فلسطين في احضان السلبية والرجعية ...

ولكن كيف يكون تحرير فلسطين ؟

ترى مجلة فلسطيننا كما ذكرت أن لإزالة إسرائيل طريقاً هي انبثاق « حركة فدائية شاملة من جميع الأراضي العربية » . وقد وصلت المجلة الى هذا الاعتقاد بعد مناقشة الحلول الأربعة المطروحة وهي :

أولاً : عن طريق الأمم المتحدة .

ثانياً : عند قيام حرب عالمية .

ثالثاً : حرب عربية صاعقة .

رابعاً : طريق الثورة ... طريق الحركة الفدائية (١) .

ولن نناقش الحلين الأول والثاني فمن الهراء مناقشتها .

ترفض فلسطيننا الحل الثالث للأسباب التالية :

١ – لأن الجيوش العربية غير موحدة وغير متضامنة ، ولهذا لا يمكن للجمهورية العربية مثلاً ان تخوض معركة وهي منفردة .

٢ – وضع الضفة الغربية غير أمين عسكرياً .

٣ – ان الجيش الاسرائيلي على استعداد دائم ، ولهذا يجب علينا ان نحسب له حساباً عسكرياً مدروساً ، وهذا يعني عدم تمكننا من القضاء على إسرائيل في حرب صاعقة لأننا سنواجه قوات الميليشيا الاسرائيلية في كل قرية بجانب الجيش الاسرائيلي .

٤ – إن تأخر نجاح الهجوم بضع ساعات سيعرضنا لمشكلتين رئيسيتين :

أ – تدخل الامم المتحدة التي تعتبر اسرائيل قائمة وعندها تطبق القوانين الدولية الخاصة بالعدوان ، كما طبقتها لصالحنا في نوفمبر ١٩٥٦ .

---

١ – المصدر السابق – نفس الصفحة .

ب – كسر شوكة العرب وايصال اسهمهم مرة اخرى للحضيض دولياً وخصوصاً في افريقيا وآسيا .

وتقبل فلسطيننا الحل الرابع للأسباب التالية :

١ – قيام جماعات مختلفة في كل بلد عربي يجعل هذه الجماعات غير منتسبة لجبهة عربية معينة وعندها لا تجد أية دولة عربية سبباً لإحباط الحركة بتهمة عملها بوحي من دولة عربية أخرى .

٢ – هنالك كثير من العرب غير الفلسطينيين مدنيين وعسكريين على أتم استعداد لمساعدة أية حركة تحررية تقوم لإنقاذ فلسطين طالما هذه الحركة بعيدة عن جو المهاترات العربية .

٣ – لن يكون لاسرائيل أي حق دولي تجاه أية دولة عربية لأن حركة ثورية كهذه لن يكون لها في بادىء الأمر قيادة موحدة ، بل هي مجموعات فلسطينية تعود بالقوة إلى بلادها لاسترداد حق معترف به دولياً وهو حق العودة .

٤ – اذا نجحت هذه الجماعات في اثبات كيانها فعندها لا بد من ان تتوحد تلقائياً وتحصل على كيان فلسطيني حقيقي نابع من فلسطين وليس كياناً سياسياً هوائياً مفروضاً ولو من الدول العربية .

٥ – وان حصل توحيد الجهود ، فعندها يمكن طلب المساعدة من الدول العربية وغير العربية علناً، واعلان حكومة فلسطين الحرة القائمة فعلاً وليس اسماً، والتي تحارب لاسترداد فلسطين حقاً بالقوة وليس بالكلام كما يحصل الآن من قبل المجموعات التي تدعي الوصاية على القضية الفلسطينية .

نلاحظ عندما نقارن مبررات رفض الحل الثالث وقبول الحل الرابع ثلاث ملاحظات :

الأولى : ان المبررات في الحالتين تقوم على الافتراض الذي لا يثبت للنقاش، فكيف نستطيع ان نفترض ان الامم المتحدة تتدخل في حالة الحرب الصاعقة ولا تتدخل في حالة هجوم فدائيين... ان الامم المتحدة هي التي أقامت اسرائيل

وهي مستعدة لحمايتها من الدول العربية ومن شعب فلسطين اذا مـا أصبح خطراً عليها . ثم لمـاذا نفترض ان الجيش الاسرائيلي يقف مكتوف اليدين ازاء هجمات الفدائيين؟..انه سيبيد قرى ومدناً عربية.وقد يتخذ خطوة حاسمة فيحتل الضفة الغربية مثلاً . أليس هذا ممكناً مـا دام الوضع في الضفة الغربية غير مأمون عسكرياً ؟ ثم كيف يجوز لنا ان نفترض موافقة الدول العربية على تشكيل هذه الوحدات الفدائية ونحن نعلم ان ما من دولة عربية توافق على قيامها ..؟

هذه مجموعة من الافتراضات التي تنسف المبررات كلها وفي الحالتين .

الثانية : إن المجلة اعتبرت حالة التجزئة باقية خالدة ، وما دامت كذلك فلا يمكن ان تفعل الجيوش العربية شيئاً ، وفي هـذا تجاهل لحركة الجماهير العربية ولانتصار وحدتها المحتوم .

الثالثة : ان المجلة اعتبرت الجيوش العربية — في الظروف الحـالية — غير قادرة على إزالة اسرائيل ، بينما رأت في الكيان الفلسطيني القدرة على تحقيق هذه المعجزة ، فكيف يكون ذلك ؟ بمعونة الدول العربية وغير العربية ..؟

ومن الطبيعي ان نرى في « طريق الثورة » هـذا الذي اختارته فلسطيننا طريقاً غير مأمون لأنه مبني على الارتجال والانفعال والعفوية ، انه طريق يعود بالقضية الى سنة ١٩٤٧ ، متجاهلاً الظروف الموضوعية الجديدة المحيطـة بقضية فلسطين ، ويمكن تلخيص هذه الظروف بما يلي :

أولاً : تبلور الصراع بين الجماهير العربيـة والرجعية ، وارتباط الرجعية بالاستعمار والصهيونية .

ثانياً : تعذّر سحق اسرائيل بهجمات فدائية لكفاية استعدادها وتسليحهـا وضرورة وجود جبهة عربيـة موحدة — حول اسرائيل على الأقل — معبأة كل قواها لمواجهة الصهيونية والاستعمار .

بتحقيق هذه الجبهة الموحدة وتعبئة الجماهير العربية تعبئة ثورية وهذا ممكن التحقيق بسرعة ، نكون على أبواب معركة فلسطين المنتصرة . وعلى أبنـاء فلسطين الا ينتظروا الفرج بل عليهم أن يساهموا مساهمة فعـالة في صنع هذه

الجبهة ، ليكونوا بعض جماهيرها في المعركة الحاسمة .

نحن نكبر إباء هؤلاء الذين لا يريدون أن تقـــدم لهم فلسطين على طبق من الذهب[1] ولكننا نرفض أن يصبح هذا الإباء عنجهية اقليمية تحول دون تحرير فلسطين .

فلسطيننا والوحدة الاتحادية

بعد ثورتي رمضان وآذار في بغداد ودمشق ، وجدت المجلة نفسها أمام تيار عربي جـــارف ينسف مبررات الحيـــاد الوهمية بين البلدان العربية ، كما ينسف اسطورة « الكيان الفلسطيني » . ففكرة الحياد كانت براقة خادعة عندما كانت الرجعية مسيطرة ، وفكرة الكيان كانت امل الانهزاميين عندما كانت الرجعية تعمل على ترسيخ الكيانات . أما اليوم ... وقد فقدت الرجعية معاقلها في اليمن وبغداد والشام ، ففكرتا الحياد والكيان أصبحتا غـــير مبررتين حتى للبسطاء والانهزاميين .

فماذا فعلت فلسطيننا لتواجه الموقف ..؟

أصرت أولاً على ضرورة الحياد .

وأصرت ثانياً على ضرورة ابراز « الكيان » .

إلا أنها في هذه المرة حاولت ان تجعل من الحياد اسلوباً لحشد الفلسطينيين ، والحيلولة دون تشتت شملهم في معركة النظم والمذاهب : « فليس من المعقول ان نكون حياديين مع من يتآمرون على قضيتنا ، لأن معنى ذلك الخيانة الوطنية ، وبديهي أننا يقظون نميز بين الأحرار وغير الأحرار، ولكن معركتنا ليست معركة نظم ومعتقدات ، انها اولاً معركة شعب مشرد في انحـــاء الدنيا ، وانضمامنا الى أي معسكر من معسكرات النظم والعقائد معناه الاضرار بمصالح شعبنا[2]»

---

١ – عدد كانون الثاني سنة ١٩٦١ صفحة ٣١ والعدد الثالث والعشرون – السنة الرابعة – آذار سنة ١٩٦٢ .

٢ – فلسطيننا ١٥ نيسان ١٩٦٣ – حول مفهوم الحياد صفحة (٢٠) .

وترى فلسطيننا ان ترجيء مثل هذه الخلافات حتى يتم تحرير فلسطين ...

أما الوحدة فاننا «نحن الفلسطينيين مع تحمسنا وحدبنا على تحقيق الوحدة الا أننا ، ومع كل أسف ، لا نستطيع أن نفعل شيئاً في الموقف الدولي في المنطقة لعدم وجود كيان يمثلنا ، ويقف على قدم المساواة مع الكيانات العربية الاخرى للمشاركة في التخطيط لتحقيق الوحـــدة .. الـخ [1] فليكن الكيان أولاً ، وليكن النضال بعدئذ من أجل الوحدة .. !»هذا ما تقوله فلسطيننا الآن .

وهكذا فالحياد ينتهى عند تحرير فلسطين ، والنضال من اجل الوحدة يبدأ عندما يتحقق الكيان ..

ونود الآن أن نؤكد :

أولاً : أن رفع شعار الحياد في هذه المرحلة هو دعوة للتعايش مع الرجعية العميلة ، في وقت أخذت فيه معاقلها تنهار . ورفع شعار التعايش مع الرجعية الآن معناه الدعوة لعودة الرجعية الى ميدان العمل في فلسطين .. فاذا ما عادت بالطبع ، فلن تكون النتيجة أحسن من نتيجة عام ١٩٤٨ . ان الذين يطالبون بعمل جدي من اجل قضية فلسطين يجب عليهم ان يدركوا أولاً ان القضاء على الرجعية هو الخطوة الاولى نحو تحرير فلسطين ... وان اعطاء الرجعية الفرصة كي تعيش يبقي الاوضاع العربية الحالية بكل ما فيها من تفكك وميوعة ومهادنة .

ثانياً : ان الجماهير العربية وأبناء فلسطين خاصة اهدافها واحـــدة ومصالحها واحدة وعليه فالسماح للخلافات والتناقضات بالنمو خطأ وخطر ، واذا كانت بعض القيادات الانتهازية النفعية تحاول ان تستفيد من هذه الخلافات او التناقضات العابرة ، فعلى الواعين من أبنـــاء شعبنا ان يكشفوا الدور التخريبي الذي تقوم به... ان وحدة جماهيرنا ضرورية ولازمة ، ووحدة قياداتها ضرورية ولازمة ، ولا يكون ذلك بالتزام موقف الحياد بين النظم والمعتقدات المتصارعة بل بالتزام الخط القومي الاشتراكي منهجاً واسلوباً ، وابعـــاد كل الفئات الرجعية والعميلة والانتهازية عن ميدان العمل .

---

١ – فلسطيننا ١٥ نيسان ١٩٦٣ – أضواء على الموقف السياسي صفحة (٦) .

ثالثاً : ان التزام منهج قطري في العمل تكريس للتجزئة ... ومثل هـذا الالتزام هو الذي يعطل مسيرة الوحدة العربية اليوم . ان العمل من اجل الوحدة يقتضي ان تناضل الاقطار ذات الكيانات من خلال منهج عربي ، لايلتزم بوجود الكيانات ، وعليه فان الاقطار التي لا كيان لها تستطيع ان تكون اكثر فعالية في النضال من اجل الوحدة العربية .

تقول فلسطيننا : « أما معركة فلسطين التي اتخذت شكلاً قومياً في البداية ففشلت ، لابـد من ان نردها الى مرتكزاتها الاساسية ، وعواملها الفاعلة في حدودها القطرية لنضمن لها النجاح والنصر في الجولة الثانية » .

ولكن هل اتخذت قضية فلسطين شكلاً قومياً سنة ١٩٤٨ .

كلا .... ثم كلا .

لقد تضامنت الرجعية الاقليمية العميلة ، غير القومية سنة ١٩٤٨ ، لتسليم فلسطين للصهيونية ولم يكن تضامناً قومياً ، لأنها كانت بطبيعتها غير قومية ... ولذلك فتجربة سنة ١٩٤٨ يجب ان تفتح عيوننا على الدور الخياني الذي لعبته الرجعية بالأمس وستلعبه اليوم وغداً .

ويجب ألا ننسى أن عقلية المساومة والكيانات التي سادت الجو العربي منذ قيام الجامعة العربية ،هي التي قادت الى النكبة ، وان استمرار عقلية المساومات هذه ، لن يؤدي الا الى الهزيمة من جديد .

الكيان - المأساة والشقيري الملهاة

كان واضحاً منذ سنة ١٩٤٨ ، وبعـــد القرار الذي اتخذته الدول العربية بدخول الحرب في فلسطين ، عند انتهاء الانتداب ، أن فلسطين دخلت في نطاق السياسة العربية ، وأنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الدول المحيطـــة ، لاسيا الاردن ومصر . ذلك أن اصرار الاردن على دخول الحرب كان يستهدف أولاً وأخيراً ضم جزء من فلسطين الى مملكة شرق الاردن الصغيرة ، بينما أصبحت غزة التي استطاعت قوات مصر الاحتفاظ بها منطقة عسكرية مرتبطة بالقاهرة مباشرة عن طريق حاكم اداري يعين فيها .

وقد الغت حكومة مملكة شرقي الاردن اسم فلسطين،عندما أعلنت اندماج الجزء الباقي منها بشرق الاردن تحت اسم المملكة الاردنية الهاشمية . وكانت حريصة قبل ذلك أن تلغي كل ما من شأنه ان يثير قضية فلسطين لاسيا قيـادة الجهاد المقدس التي احتلتها القوات الاردنيـــة احتلالاً قبل اعلان الاستيلاء على بقية فلسطين غرب الاردن .

ومنذ احتلال قيادة الجهاد المقدس انتهى دور الحركة الوطنية الفلسطينية ، وأصبحت قضية فلسطين من المشاكل الخاصة لحكومـــة المملكـــة الاردنية الهاشمية .

وأبعد الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا من غزة في أواخر سنة ١٩٤٨ بعد أن عقد مؤتمراً فلسطينياً فيها ، في محاولة لاستمرار الكفاح من اجل

القضاء على دولة الصهاينة .

وكان احتلال مركز قيادة الجهاد المقدس ، مثل ابعاد الحاج امين الحسيني من غزة [١] يستهدف تنفيــذ المخطط الاستعماري الرامي الى تحقيق تقسيم فلسطين بقيام دولة يهودية ، وضم ما تبقى الى الاردن . وكانــت الاردن هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تعترف بالحكومــة الفلسطينية التي أعلنت في غزة سنة ١٩٤٨ [٢] .

وقــد حرصت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية كما حرصت حكومة المملكة المصرية ، وهما الدولتان المعنيتان اكثر من غيرهما ، على عــدم السماح لأبناء فلسطين بممارسة اي عمل يتحدى هذه السياسة الاستعمارية .

ولذلــك سحبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية السلاح من سكان الجزء الواقع تحت نفوذها بكل الوسائل ، والمعركة لم تنته بعد . واستعملت سياسة البطش والارهاب لمجابهة اية مقاومة .

وعاش أبناء فلسطين فيما يسمى الضفة الغربية حياة ذل ومهانة تحت الحكم الاردني الهاشمي المعتمد أساساً على البــدو والمرتزقة ، وأصبحت فلسطين اشبه بمستعمرة يحكمها البدو والمرتزقة لحساب العائلة الاردنية الهاشمية عميلة الاستعمار البريطاني أولاً ثم الانجلو ــ أمريكي فيما بعد .

أما غزة فقد عاشت في ظل الادارة المصرية قبل الثورة وبعدهــا منطقة احتلال ، ولم تحدث تغييرات في وضعها الا التغيرات غير الجذرية سنة ١٩٦٢ [٣].

وكانت حكومــة المملكة الاردنية الهاشمية ، حكومة البدو والمرتزقة ، تزداد اذلالاً لشعبنا ومحاربة له كلما ازدادت حركة التحرر العربي قوة . وكانت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية تصر في كل المستويات عامــة وفي نطاق الجامعة العربية خاصة على مقاومة اية محاولة لبحث مسألة فلسطين الا في حدود

---

١ ــ ليس المقصود من هذا الدفاع عن قيادة الجهاد المقدس او الحاج امين الحسيني .
٢ ــ شعب فلسطين في طريق العودة ــ عدلي حشان صفحة (١٠٣) كتب قومية .
٣ ــ أشرنا الى ذلك في فصل « ثورة ٢٣ يوليو وقضية فلسطين » .

كيان المملكة الاردنية الهاشمية . ومنذ آذار سنة ١٩٥٩ حتى أيلول سنة ١٩٦٣ شهدت الجامعة العربية عدداً من الاجتماعات التي عارضت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية فيها موضوع ما يسمى بابراز كيان فلسطين [1] .

كما شهدت هذه الفترة بالذات مطالبة حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بغزة ، ومناشدتها سكانها للانتفاض على ما أسمته الحكم المصري . وكان كل ذلك بالطبع هو السياسة التي قررتها الدوائر الاستعمارية في لندن وواشنطن وغيرها. ذلك أن بقاء المملكة الاردنية الهاشمية بحدودها الحالية وبنظام حكمها الحالي هو الضمان الوحيد لبقاء « اسرائيل » . وهذا تعلنه اسرائيل دائماً وتعلنه الدول المشايعة لها .

ومنذ سنة ١٩٥٧ ، بعد الانقلاب الرجعي في الاردن لم يحدث تغير في سياسة المملكة الاردنية الهاشمية ولم يحدث تبدل في نظام الحكم او في الهيكل العام للمجتمع . وقد ظلت المملكة الاردنية الهاشمية خلال هذه المدة تخضع لتوجيه المخابرات الامريكية المباشر، وتعيش على المساعدات الامريكية ... فما الذي استدعى ولأول مرة أن يقبل حسين ما أسمي بابراز الشخصية الفلسطينية ؟

هنالك عدة عوامل لابد من إبرازها وهي :

أولاً :عاشت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بعد انقلابي الثامن من شباط والثامن من آذار مرحلة من الرعب والفزع . ذلك ان انتصار حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق وسورية اوجد قاعدتين معاديتين يزيد من خطورتها وجود حزب خاضع لقيادتها في الاردن. ولم يكن ممكناً تلافي الاخطار الناجمة عن هذا الوضع الا بقيام هدنة بين حكومة المملكة الاردنية الهاشمية وحكومة الجمهورية العربية المتحدة . ولما كان الخلاف قد دبّ بين القاهره ودمشق وبغداد ، وكانت الجماهير في الاردن اكثر تأييداً للقاهرة ، فإن هدنة من هذا النوع تنهي الخطر البعثي على الحكم الهاشمي في الاردن . ولم يغير الوضع سقوط حكم البعث في العراق .

---

١ — شعب فلسطين على طريق العودة ١٠٤ — ١١٤ .

ثانياً : وجدت الرجعية في الاردن نفسها في موقف حرج بعد هزيمتها في معركة اليمن .ذلك ان الهزيمة كشفت ضعفها وهزالها أمام القوى التقدمية ، كما أظهرت ان يومها قريب .

وهذا بالطبع من العومل المشجعة للوطنيين في الاردن على التحرك لإنهاء الوضع الشاذ القائم بعد ست سنوات من التردد والارتباك . ولم يكن ممكناً الخروج من المأزق مؤقتاً الا بهدنة مع الجمهورية العربية المتحدة ..

ثالثاً : حرصت السياسة الرسمية الامريكية في عهد الرئيس كنيدي على انتهاج مخطط يستهدف الاستقرار في ما يسمونه الشرق الاوسط . والاستقرار لايعني استمرار الهدنة مع اسرائيل فقط بل يعني تعايش الانظمة الرجعية والتقدمية . ذلك ان الصراع ليس في مصلحة الرجعية على الاطلاق ، وهو لذلك ليس في مصلحة الولايات المتحدة الامريكية . واذا كانت الولايات المتحدة تريد ان يبقى عبد الناصر قوياً لانها تعتقد بانه اقوى حاجز ضد الشيوعية فانها لاتريد أبداً ان تزداد قوته زيادة تجعله قادراً على التحكم بمصالحها على المنطقة او على مجابهة ربيبتها «اسرائيل».ولهذا فان التعايش بين انظمة الحكم الرجعية والتقدمية هو الذي يجعل عبد الناصر قوياً دون ان يكون خطراً ..

رابعاً : أخذت خلال السنوات الاخيرة حركات فلسطينية تنشأ هنا وهناك ، يزيد من اندفاعها اعتقاد اكثرها أن الدول العربية غير مخلصة في مجابهة قضية فلسطين ، وان الحل يكون بنشوء طلائع فلسطينية تبدأ معركة التحرير . وتنتج خطورة مثل هذه الحركات عن عاملين : — أ — تجاوب جزء من جماهير شعبنا مع ما تطرحه من آراء نتيجة يأسها من السياسة العربية . — ب — امكانية استعمال اية دولة عربية لها ، ضد دولة أخرى في النزاع المتجدد دائماً ، لاسيا النزاع بين الرجعية والتقدمية . وتعرف حكومة المملكة الاردنية الهاشمية خطورة مثل هذه الحركات عليها أكثر من غيرها . ولذلك لا بد من مواجهة الامور قبل ان تبلغ الازمة ذروتها وينفجر الموقف ، فكيف تكون المواجهة ؟ تكون طبعاً بهدنة بين القاهرة وعمان اولاً ، وتكون ثانياً بالموافقة على صيغة من

« العمل الفلسطيني » لايكون منها خطر على المملكة الاردنية الهاشمية بالذات .

ولما كانت الجمهورية العربية المتحدة تريد ان تتلافى الآن معركة مع «اسرائيل» فانها توافق على هذه الصيغة .. وما دامت الامور قد تحددت بهذا الشكل فمن هو المهرج الذي يستطيع ان يرقص على الحبال ، ويجعل من الانذال أكبر الابطال ؟ انه الشقيري الدجال الذي يعرف كيف يتملق ، والأجير الذي تعلم أن يؤمر فيطيع ، والشخصية التي لاشكل لها ولا لون، والتي تحوز على قبول الحسين كما تحوز قبول عبد الناصر .

ان ظروف مؤتمر القمة الشاذة هي التي أنجبت الشقيري ، ولقد أنجبته مشلولاً لا يستطيع حراكاً ولا يحسن تنفساً،هذا بالاضافة الى ما ورثه من طبقته المنهارة وجيله المهزوم ، واحترافه سنين للعمل السياسي .

مهمّة الشقيري

تمخض بيان مؤتمر القمة فيما تمخض عن اشارة تتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني وردت في سياق الحديث عن القرارات العملية التي اتخذها المؤتمر « لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل » . فما هي القرارات العملية التي اتخذها المؤتمر في « ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » ؟

تنحصر هذه القرارات فيما يلي :

أولاً : الموافقة على احمد الشقيري ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية ، وكان مجلس الجامعة قد اختاره في دورة الجامعة العربية المنعقدة في أيلول سنة ١٩٦٣.

ثانياً : تكليف الشقيري بالتعرف على آراء الفلسطينيين فيما يتعلق بالطريقة التي يرونها لإبراز الشخصية الفلسطينية .

ثالثاً : الاتفاق على عدم مساس أي تنظيم يقيمه ابناء فلسطين ، بالاوضاع في المملكة الاردنية الهاشمية وغزة .

وهذه القرارات المسماة عملية ليست عملية من وجهة نظر تحرير فلسطين ، انما هي عملية بمنطق الاوضاع القائمة في البلدان العربية وبمنطق السياسة العربية

التقليدية التي أدت الى الهزيمة سنة ١٩٤٨ ، والتي لم تستطع مواجهة الهزيمة خلال ستة عشر عاماً ..

ان الذي اتفق عليه في المؤتمر وفي خارج المؤتمر ينحصر في النقطة الاساسية ، وهي بقاء الاوضاع في ما يسمى الضفة الغربية وغزة كما هو ... فاذا ما بقيت الاوضاع هنا وهناك كما هي ، فما فائدة الحديث عن « تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره» ؟ ما هو دور «الشعب الفلسطيني » ؟ أيظل دوره محصوراً في قبول الأوضاع التي نتجت عن الهزيمة سنة ١٩٤٨ ، والتي حافظت عليها الدول العربية ، استمراراً في سياسة الهزيمة ؟ هذا ما يريد مؤتمر القمة أن يكرسه ، وما يعمل الشقيري دائباً لتكريسه .

ومضى الشقيري بعد مؤتمر القمة يبشر بهذه المبادىء وعلى أساسها وضع ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية .

وكان في كل بلد يصل اليه يجمع حواليه الانتهازيين بعد أن يقدم فروض الولاء للحكام العظام ... فاذا تحدث للجماهير من ابناء فلسطين تحدث عن الثورة والتحرير والسلاح ، واذا اجتمع بالانتهازيين حدثهم عن الصعوبات التي يواجهها الكيان .

فاذا وصل عمان كان الحسين رائد التحرير وحامل لواء النصر المؤزر ، واذا انتقل الى دمشق كان امين الحافظ فلسطينياً أكثر من كل ابناء فلسطين ... وهكذا تتكرر حلقات التملق ... لتجعل من جيش الأردن الجيش الوحيد القادر على الحرب مرة ، ولتجعل منه نقطة الضعف مرة أخرى ... ولتجعل جيش سورية جيش التحرير مرة ، ولتجعله مهزوزاً مرة أخرى ...

بهذه الوجوه يعمل الشقيري : وجه للجماهير ووجه للانتهازيين من حوارييه ، وجه لبلد عربي ووجه آخر في بلد آخر ، ولكن وجه الانتهازي المساوم لا يبرحه في أي مكان يحل فيه .

ومشروعه المتمثل في مشروع ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية[1] ، يكرس

١ – نشرته اكثر الصحف العربية في حينه ونشرته جريدة المحرر بتاريخ ٦٤/٢/٢١ العدد ١٨٧ .

النواحي السلبية كلها التي تحدثنا عنهـا ، ويجعل من حركة التحرير الفلسطينية حركة شقيرية مساومة .

مشروع الميثاق

يكرس مشروع الميثاق ثلاث معطيات أساسية :

الأولى : أحمد الشقيري ممثل فلسطين في الجامعة العربية رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيساً للجنتهـا التنفيذية وصاحب الصلاحيات المطلقة (يمارس صلاحيات اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني) . وهذا يستهدف تكريس الزعامة الفردية البرجوازية .

الثانية : المفهوم الانتهازي للتنظيم الذي يستهدف تجميع المتناقضات،ولذلك كان الفلسطينيون جميعاً أعضاء في هذا التنظيم[١] مع أن المفهوم الثوري للتنظيم يرفض هذا التجميع غير العملي وغير الثوري الذي لا يمكن ان يحقق غاية ثورية أو غير ثورية .

الثالثة : قيادة البرجوازية ... من بقايا قـــادة النضال الوطني والوجاهات وأبنـــاء العائلات الذين كانت قيادتهم من أسباب النكبة والذين يشكلون اليوم الوجه المنحل الهزيل لفلسطين . بهؤلاء يتصل الشقيري ومن هؤلاء يختار أصفياءه وحوارييه ومن هؤلاء الذين لا يملكون المقـــدرة على العمل الجدي يستمد التأييد والموافقة ، لأن الصيغة التي اختارها وقدمها لهم هي الصيغة الوحيدة التي ترضي خمولهم ولا تكلفهم شيئاً ... انهم حريصون على التغني باسم فلسطين ما دام هذا التغني لا يكلفهم خسارة ما كسبوه من ثروة وجاه على حساب النكبة وفي ظلال الحكام الخائنين والرجعية المتآمرة .

ان ما يحاول الشقيري أن يفعله هو ايجـــاد صيغة للعمل ترضى عنها الدول العربية جميعاً وأبناء فلسطين جميعاً ، ولكن تكوين الشقيري الرجعي الانتهازي

---

١ – مشروع الميثاق ـ النظام الأساسي المادة (١) .

يجعله دائماً أميل للرجعية العربية ، ولرجعية فلسطين . وهو لهذه الأسباب جميعاً سوف لن يستطيع عمل شيء . ذلك أن المتناقضات التي يعيشها الوطن العربي تجعل كل اتفاق بين الدول العربية مؤقتاً ، كما أنها تجعل اي انسجام بين رجعية فلسطين وتقدميتها مستحيلاً ..

المطلوب من أبناء فلسطين ان يفعلوه هو أن يكونوا عاملاً فعالاً من عوامل تطوير السياسة العربية لمصلحة فلسطين ، ومثل هذا العمل تقوم به منظمة ثورية لا تتلقى أوامر وتعليمات من الدول العربية انما تفرض على الدول العربية ما تريد... وهذا غير متوافر في منظمة التحرير الفلسطينية ولا في الشقيري زعيمها.

ويحاول بعض المتفائلين والمخدوعين ان يشبهوا الشقيري بفرحات عباس... والتشبيه صحيح ما دام الأمر يتعلق بالشقيري وفرحات عباس مجردين من الظروف الأخرى ، فهما من نفس الجيل تقريباً ، ومن ممثلي العقلية ذاتها ، والتكوين الفكري والسياسي ذاته ، إلا ان الخلاف الأساسي ينبع من كون فرحات عباس سياسياً محترفاً اختارته ثورة منظمة لها قواعدها الشعبية المنظمة المسلحة التي تستطيع أن تجعل منه مجرد ممثل لرغباتها، والتي تستطيع أيضاً ان تنزعه كما تنزع الشعرة من العجين بينما الشقيري سياسي محترف عمل أجيراً لدولة رجعية[1] ويمثل عقلية انتهازية مساومة ، مكلف من الجامعة العربية باستطلاع آراء الفلسطينيين للتعرف على رأيهم فيما يتعلق بتنظيم أنفسهم وتقرير مصيرهم ، ويعمل في حدود تناقضات الجامعة العربية ، وتناقضات طبقته المنهارة نفسها . فاذا كان فرحات عباس ناطقاً باسم ثورة شعبية فان احمد الشقيري ناطق باسم التناقضات غير الثورية التي ذكرناها . فرحات عباس لم يدّع ولا يستطيع ان يدعي بانه صنع ثورة أو قاد ثورة... كان يعرف دوره الذي حددته له الثورة.. حاول أن يخرب الثورة فأحس به الثوار وأبعدوه، وحاول مرة أخرى انيخرب

---

١ – تحضرني هنا قصة التحاق الشقيري للعمل في السعودية بعد ان اكرمته سورية وعينته وزيراً مفوضاً ورئيساً لوفدها في الأمم المتحدة . وقد كانت سورية حينذاك قطب الحركة العربية التحررية بينما كانت السعودية قطب الحركة الرجعية .

بعد انتصار الثورة فألقي بـه في جحيم الاحتقار . وكان ذلك كله ممكناً لأن قواعد الثورة قائمة ، أما الشقيري – وهو يعلن مشروع ميثاقـه الانتهازي – كان يدعي بانه يقود أبناء فلسطين على طريق الثورة وطريق العودة . كيف ؟ بانشاء منظمة تحرير لا تمارس سيادة ولا تملك سلطة ، وبقيادة برجوازية انتهازية من بقايا قادة النضال الوطني والوجاهات وأبناء العائلات واثرياء النكبة وبتمنيات الحكومات الرجعية ، وعلى رأسها الحكومة العميلة في ما يسمى المملكة الاردنية الهاشمية .

لقد عجزت « عائلات » فلسطين ان تقود حرب التحرير منـذ سنة ١٩٣٦ وهي في عنفوان قوتها فكيف تستطيع الآن وهي في قاع انهيارها ؟!..

هذا ما يجب أن يجيب عليه المتفائلون المخدوعون .

العوامل التي تكسب الشقيري قوة

هنالك عوامل ثلاثة تكسب الشقيري قوة على الرغم من كل ما ذكرنا :

الأول : موافقة مؤتمر الذروة العربي على اختياره ممثلاً لفلسطين ، بما تعنيه هذه الموافقة من اجماع الدول العربية على عمل موحد من اجل فلسطين . وهذا ما كانت الجماهير العربية من أبناء فلسطين تطمح إليه خلال السنوات التي تلت النكبة ، ويزيد من أهمية هذا العامل ارتباط مؤتمر الذروة بجمال عبد الناصر ، وتصور الكثيرين بأن عبد الناصر يدعم الشقيري . وساعد على هذا ، الاهتمام الذي أبدته صحف القاهرة بالشقيري وتنقلاته ومشروعه وتأييدها لكل ذلك..

الثاني : شعور أبناء فلسطين باليأس من الدول العربية نتيجة سلبيتها في ميدان تحرير فلسطين واعتقادهم أنهم القادرون وحدهم على تحرير أرضهم اذا ما أتيحت لهم الفرصة . ويرى كثيرون ان الفرصة الآن متاحة وعليهم ان يثبتوا جدارتهم والا فإن الفرصة ستضيع ولن تعود . وما يقوم به الشقيري ليس كل الذي يريدون ، أنه بعض ما يريدون ولكنه الممكن الآن فلا يجوز رفضه .

الثالث : خلو ميدان العمل من أجل فلسطين من حركة قوية ، تعيد لشعبنا ثقته بنفسه ، وتعطيه المقدرة على تحديد موقف ثوري من السياسة العربية التقليدية وأدعياء النضال من أجل فلسطين .

لهذا كله يجد الشقيري من يؤيده ويناصره .

ويؤلمنا أننا لم نجد حركة تقف في وجه الشقيري وتكشف تضليله إلا « حركة طلائع تحرير فلسطين » .

لقد قضت الثورة في مصر على جيل الشقيري ، لأنه جيل رجعي انتهازي ، وقضي على هـذا الجيل في الجزائر والعراق وسورية فمـا الذي جعله يبرز في فلسطين ؟

انها الظروف الشاذة التي تعيشها قضية فلسطين .

ان فدائيي غزة العاطلين عـن العمل أكثر جدارة بقيـادة شعبنا في طريق العودة لو كانت هنالك نيّة للعمل .

مؤتمر القدس « العزيم »

قبل أن نتحدث عن مؤتمر القدس لا بد لنا من أن نتساءل لماذا عقد في القدس ؟ هل كان اعتبار القدس عاصمة فلسطين هو السبب أم أن هنالك أسباباً أخرى ؟. لقد كان اختيار مدينة القدس استمراراً لمؤامرة اختيار الشقيري ، ذلك أن انعقاد المؤتمر في القدس يعطي الشقيري الفرصة الكاملة لطبخ منظمة تحرير فلسطينية ترضى عنها عمان والقاهرة رضاء تاماً .

كان المطلوب ان يولد «الكيان الفلسطيني» بلا سلطة ولا فعالية . ومَن اقدر من الحكومة الاردنية على خلق هذا الكيان المسخ ؟! ومعرفة الشقيري بما سيلاقيه من مقاومة لو عقد المؤتمر في أي بلد آخر هي التي دعته لعقد المؤتمر في القدس وتحت اشراف الحكومة الاردنية الرجعية العميلة . وحين تحمست الحكومة الاردنية لعقد المؤتمر « العزيم »(*) في القدس كانت تعلم ان عقده في اي مكان حتى في غزة سيؤدي الى عدم مقدرتها على التحكم بنتائجه .

أما القاهرة فقد كان عقد المؤتمر في القدس بالنسبة لها خلاصاً من احراجات عديدة نستطيع ان نجملها بما يلي :

أولاً : لا تريد القاهرة ان يكون الكيان ثورياً أو فعلياً خوفاً من احراجات دولية ومحلية كما تقول مجلة روز اليوسف . ولذلك فان عقد المؤتمر في غزة أولاً كان سيفرض عليها ان تلجأ الى اساليب الحكومة الأردنية في اضفاء جو من الارهاب على المؤتمر واختيار الاعضاء واللجان ووضع برامج الجلسات ... الخ .

---

* ــ التحريف المدني لكلمة عظيم .

وهي لا تريد ان تظهر بهذا المظهر الوضيع حالياً .

ثانياً : لو لم تستطع القاهرة ان تمنع العناصر القوميـــة التقدمية من حضور المؤتمر لحصل ما لا تريـــده من التعرض لقرارات مؤتمر القمة ومناقشة السياسة العربية المساومة في فلسطين ، ولطرح مشروع عمل ، يكفي لكشف المشاريـع المشبوهة اذا لم يكن ممكناً اقراره .

ثالثاً : كان مؤكداً ان انعقاد المؤتمر في غزة أو أي بلد عربي آخر يعني طرح وضع غزة ووضع الضفة الغربية[1] وماذا كان ممكناً ان تقول القاهرة في مثـل هذه الحالة ، هل ستقول : لا نستطيع التغيير حالياً خوفاً من احراجات دولية ومحلية ..

لقد كفت القاهرة نفسها مؤونة الكلام والعمل ما دام غيرهـــا من ذوي الوجوه الملوثة سيفعل ما تريده وما تفضل ألا تفعله هي . ومـا دامت مبادىء العمل قد أقرت وما دام الشقيري قد كرّس رئيساً فلا مانع ان يعقـد المؤتمر في المستقبل في أي بلد عربي آخر حتى غزة .

اذا كانت هـذه هي المقدمات فـلا بد من أن تكون النتائج معروفة ؛ فلقد استأثر الشقيري والحكومة الأردنية باختيار الأعضاء وتحديد جـدول الأعمال وعدد اللجان وعدد اعضاء اللجان وعدد جلسات المؤتمر الى آخره :

١ – الأعضاء : استهدف اختيار الاعضاءاستبعاد كل العناصر الحسنة ولذلك كانت الأكثرية الساحقة من العملاء وجواسيس الرجعيـــة ورؤساء عصابات التهريب بالاضافة الى البرجوازيين الكبار والوجهاء المنتفعين من العهد. ولا اعتقد ان هنالك حاجة لتعديد الاسماء ، ذلك أنهم جميعاً معروفون .

٢ – جدول الأعمال : نشرت الصحف الأردنية يوم ٢٩/٥/٦٤برنامج المؤتمر. يحدد البرنامج مواعيد الجلسات وعدد اللجانومواعيد اجتماعات اللجان ومواعيد

---

١ – نحن لا نؤيد انفصال غزة أو الضفة الغربية ونعتقد ان حل مشكلة غزة يكون باعلان وحدتها مع الجمهورية العربية المتحدة وحل مشكلة الضفةالغربية يكون بتحرير الأردن من الحكم الهاشمي الرجعي العميل .

انتهائها من عملها وموعد انتهاء المؤتمر . قالت جريـــدة المنار تحت عنوان « البرنامج الكامـــل للمؤتمر حتى يوم الأثنين القادم » ، بعد افتتاح المؤتمر القومي الكبير صباح اليوم تعقد الجلسة الثانية في الساعة الثالثة من بعد الظهر ويشتمل جدول اعمال هذه الجلسة على ما يلي : ١ – انتخاب رئيس للمؤتمر ونائبين وثلاثة مقررين وثلاثة أمناء عامين . ٢ – الموافقة على مشروع جدول الأعمال . ٣ – الموافقة على تقسيم أعمال المؤتمر الى عشر لجان هي الآتية : أ – اللجنة السياسية. ب – لجنة الميثاق والأنظمة واللوائح . ج – اللجنة المالية د – لجنة الإعـلام . هـ – اللجنة القانونية . و – لجنة المقترحات والترشيحات . ز – لجنة التوعية . ح – لجنة التنظيم القومي . ي – لجنة الأمـــلاك العربية . ٤ – اختيار أعضاء اللجان العشر المذكورة أعلاه . تناول طعام العشاء في فندق الامباسدور بدعوة من أمانة القدس . يوم الجمعة ٢٩/٥/٦٤ . ١ – زيارة الخطوط الأماميــة . ٢ – حضور حفلة الافتتاح لمعرض النكبة تحت رعاية جلالة المليك الحسين المعظم في الساعة الخامسة بعد الظهر في مبنى شركة كهرباء القدس يوم السبت في٣٠/٥/٦٤. اجتماع اللجان العشر في المكاتب المخصصة لها في فندق الانتركونتنتال على أن تنتهي هذه اللجان من اعداد تقاريرها وتواصيها وطبعها بمعدل خمسماية نسخة من كل تقرير مساء يوم الأحد ٣١/٥/٦٤ .

يوم الأثنين ١/٦/١٩٦٤ – يستأنف المؤتمر أعماله في تمام الساعــة التاسعة من صباح هذا اليوم لمناقشة تقارير اللجان واصدار القرارات اللازمــة بشأنهـــا . ٢ – انتخاب أعضاء اللجنة التنفيذيـــة . ٣ – انتخاب مجلس ادارة الصندوق القومي .

والجدول كما هو واضح ليس موضوعاً لمؤتمر فلسطيني ينعقد لأول مرة بعـد ستة عشر عاماً من النكبة وفي ظروف تحتاج الى كثير من المناقشة والدرس بل يبدو انه موضوع لحزب المحافظين البريطاني في دورة انعقاده السنوية ...

ان الذين « فبركوا » المؤتمـر يعلمون حق العلم ان احسن وسيلة للوصول للنتائج المنشودة هي وضع جدول محدد ، ذلك أن وضع الجدول مع وجود هذا

الحشد الغفير من العملاء وجواسيس الرجعية والانتهازيين والبرجوازيين يمنع بشكل حاسم ظهور أي نقد او معارضة . ثم مع وجود هذا الحشد الغفير من العملاء والجواسيس والانتهازيين والبرجوازيين لم يستطع المشرفون على المؤتمر قبول فكرة انتخابات سرية في اختيار الرئيس ونائبيه والامين العام . وكان كل شيء معداً ... وقف محمد علي الجعبري الرجعي العميل المعروف ليقول : الشقيري رئيس المؤتمر . واهتزت الرؤوس بالموافقة وخسر اصحاب فكرة الانتخابات السرية جولتهم الأولى ولكنهم صمتوا على أمل ان يكسبوا الجولة الأخرى . ووقف الدكتور قاسم الريماوي ليعلن الموافقة على انتخاب الشقيري وليطالب بأن يتم انتخاب نواب الرئيس انتخاباً ، وطلب من الراغبين ترشيح أنفسهم . وهنا وقف صالح البرغوثي ليقول : حكمت المصري وحيد عبد الشافي ونقولا الدر ... نواب للرئيس؛ وعبد الرحمن السكسك أمين عام للمؤتمر ، وهزّ الحاضرون رؤوسهم بالموافقة[1] .

وتمت بعد ذلك عملية الموافقة على الميثاق والنظام الأساسي اللذين أعدهما الشقيري مع تعديلات لفظية كما قالت احدى الصحف [*] . كما صاغت اللجان العشر مقترحاتها وطبعتها ووزعتها خلال أربع وعشرين ساعة ..! ولقد كانت أربع وعشرون ساعة كافية لدراسة مختلف جوانب قضية فلسطين والوصول الى اتفاق حولها وصياغة بيان وطبعه وتوزيعه ..!

ولن نناقش بعد هذا كله توصيات المؤتمر ذلك أنها ليست جديرة بالمناقشة أولاً ، ولأنها ستظل أقرب للتمنيات ما دامت الدول العربية تعرف الاداة الهزيلة التي وراءها ...

لقد ولد مؤتمر القمة مؤتمر القدس ، وهل يلد الهزيل الا الأهزل منه ..؟

---

١ – جريدة المنار – العدد ١٢١٩ السبت ١٩٦٤/٥/٣٠ .

* – وساهم وفد غزة الكبير ، في اقرار مشروع الشقيري مساهمة فعالة ..

القسم الثالث

المسيرة إلى فلسطين

كثر الحديث عن العودة ، ولكن كيف ؟

هذا مـا يجيب عليه هذا القسم من الدراسة ، وهو يؤكد الحقائق التالية :

١ – ان معركـة فلسطين ليست معركة دعاية ، وليست في داكار أو بلغراد ... إنها في فلسطين ذاتها .

٢ – ان الاتجـاه « الاقليمي » سطحي انفعالي ، وان الاتجـاه العربي سطحي اتكالي ، وانهما عاجزان عن تحقيق العودة .

٣ – ان الوحدة العربية – ووحدة المنطقـة المجاورة لفلسطين المحتلة على الأقل – هي طريق العودة .

« قبل المسيرة »

لا بد لنا قبل الحديث عن المسيرة من أن نتحدث عن المرحلة التي تسبق المسيرة . وحديث ما قبل المسيرة ، لا بد من ان يكون مراجعة لكثير من مواقفنا وآرائنا . ونود هنا ان نعيد النظر في القضايا الأساسية التالية :

الأولى : قضية الدعاية العربية وأثرها في استرداد فلسطين .

الثانية : قضية تحرر الجزائر واعتبارها مثلاً يحتذى في تحرير فلسطين .

الثالثة : قضية التيارات السياسية اقليمية وقومية وأثرها في تحرير فلسطين .

الرابعة: قضية قوتنا وقوة اسرائيل .

الخامسة : قضية تحديد موقف أخلاقي من اليهود .

١ – معركة فلسطين ليست في بلغراد او اديس أبابا

منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن والعرب يعددون أسباب النكبة . ومن الأسباب التي تذكر دائماً وتعتبر رئيسية مسألة الدعاية في الخارج . ويتردد ذكر الدعاية الخارجية بعد كل مؤتمر دولي يتعرض لقضية فلسطين وفي اكثر الاحيان بعد كل حديث عن قضية فلسطين .

فما أثر الدعاية الخارجية في تحرير فلسطين ؟

لا بدّ لنا هنا من ان نحدد أطراف النزاع في قضية فلسطين لنحدد عوامل قوة الدعاية وضعفها . والاطراف الآن ثلاثة :

الأول : الشعب العربي من المحيط الى الخليج وهو الشعب صاحب الارض

ذات الموقع الاستراتيجي والامكانيات المادية والمعنوية الهائلة الذي استهدفته مؤامرة انشاء دولة الصهاينة . وهذا الشعب متخلف مجزّأ ، كان الاستعمار يجثم على كل بلاده ، وقد تحررت اجزاء منها وما زالت الاجزاء الأخرى تعاني من وطأة الحكم الاستعماري ، وما زالت اكثر النظم القائمة على ارضه متخلفة وتابعة للاستعمار العالمي مما يجعلها غير قادرة اطلاقاً على مجابهة الصهيونية .

الثاني : دولة الصهاينة وهي دولة صغيرة الحجم محدودة المساحة ولكنها متقدمة صناعياً وزراعياً وتعتمد نظاماً دقيقاً في التعبئة العسكرية تدعمها الصهيونية العالمية بكل ما لها من رصيد في توجيه السياسة العالمية ويقدم لها يهود العالم كل عون مادي وأدبي ، ويعتبرها الاستعمار العالمي ، بسبب موقعها الجغرافي ، قاعدة للمحافظة على مصالحه .

الثالث : الاستعمار العالمي (والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا خاصة) لقد أنشأ دولة الصهاينة وتعهدها لتحتل مكاناً وسطاً في الوطن العربي ولتحول بينه وبين الوحدة والقوة .

ولقد استطاعت الصهيونية العالمية ان تكون ذات اثر فعال في الرأي العام العالمي لأنها ذات نفوذ واسع في الاوساط المالية والسياسية والاعلامية . ساعدها على ذلك وجود يهود في اكثر بلدان العالم يحملون جنسياتها ويعملون في اجهزتها المختلفة .

ومنذ نشوء الحركة الصهيونية وهي تبذل كل جهد لإغراق العالم في دعايتها . وحين قامت دولة الصهاينة زادت المنظمات الصهيونية من دعايتها واستغلت تخلف الوطن العربي ، جاعلة من ذلك التخلف مادة للدعاية .

ولما كان العرب في عداء مع الدول الغربية بسبب استعمارها ، فقد كان سهلاً على ذهن المواطن الاوروبي ان يتقبل الدعاية الصهيونية .

ولم تقم الدول العربية بدعاية تستحق الذكر منذ البدء بسبب فسادها وخيانتها وتآمرها . وعلى الرغم من ازدياد الوعي الشعبي بعد النكبة وانفجار الثورات في العراق وسوريا ومصر واستقرار ثورة مصر وتقدمها على طريق

الوحدة والاشتراكية فإن وضع الدعـــاية لم يتحسن كثيراً ... وليست مكاتب الجامعة العربية بالشيء الذي يذكر في هذا المجال .

وكانت الدول العربية ــ رجعية ومتحررة ــ تستغل دورات الامم المتحدة لتوضح للرأي العام العالمي قضية فلسطين، كما كانت تستغل بعض المؤتمرات العالمية والافريقية ــ الآسيوية . ومنذ مؤتمر باندونج حرص الرئيس جمال عبد الناصر على ان يشير الى قضية فلسطين في كل بيـــان يصدر عن محادثاته مع تيتو ونهرو وغيرهما . ونشطت الجمهورية العربيـــة المتحدة في مكافحة التسلل الصهيوني الى افريقيا . وحين استقلت الجزائر بدأت نشاطات مماثلة وصرح أحمد بن بلا اكثر من مرة ان معركة إسرائيل في افريقيا .

غير ان الدعاية العربية لم تكن ذات فعالية ، ولم تستطع السياسة الخارجيـة العربية ان تكسب اية جولة ضد الصهيونية . ويرجع هذا للأسباب التالية :

أولاً : مـا يثيره العرب في اجتماعات الامم المتحـــدة والمؤتمرات الدولية والاجتماعات الاخرى هو المطالبة بتنفيذ مقررات الأمم المتحـدة اي التقسيم ؛ وهذا ما لا يمكن ان يرفضه احـــد غير الصهاينة . وليس صعباً على تيتو أو نكروما او غيرهما ان يوافق على بيان يشار فيه الى حق عرب فلسطين في العودة الى بلادهم ولكن الذي تطالب بـه جماهير الشعب العربي هو غير قرارات الامم المتحدة ... انها تطالب بالقضاء على دولة اسرائيل وهذا مـــا لم يجرؤ أحد من المسؤولين العرب على طرحه في أي مؤتمر من المؤتمرات او اجتماع من الاجتماعات. ولذلك فالدعاية العربية تقوم حتى الآن على « مناورة » مكررة فاشلة وغـــير ذات فائدة .

ثانياً : امكانيات الصهيونية هائلة جداً في ميادين السياسة والمال والاعلام . وليس من الممكن مواجهة هذه الامكانيات بمثلهـا ، وعلى الارض التي اصبحت عريقة فيها .

ثالثاً : لليهود مركز أدبي في العـــالم ناتج عن المنجزات الفكرية والادبيـة والعلمية التي قدموها للحضارة .

رابعاً : وهنالك عطف اوروبي — امريكي على اليهود ناتج عن عاملين اولهما ديني وهـو احساس كل من يقرأ التوراة من المسيحيين بأن اليهودي مشرد من ارضه وان فلسطين هي ارض الميعاد التي وعده بهـا الله ، وثانيهما خاص ناتج عن الشعور بالاثم ازاء اليهود الذين اضطهدتهم اوروبا طويـلا ... وكانت جرائم النازية آخر حلقة من سلسلة الاضطهاد الطويلة .

خامساً : دولة الصهاينة تخـدم الاستعمار العالمي ؛ والمواطن الاوروبي — الامريكي يتقبل دعايتها لانها في اتجاه مصلحته ولانها تنصب عليه من كل مكان .

سادساً : تبحث الدول النامية عن القروض والمساعدات والمعونات الفنية ، ودولة الصهاينة تقدم كل الخدمات الممكنة حتى أنها قدمت مدرسين للغة العربية في سيراليون ، ولا تستطيع الدول العربيـة ان تجاريها في هذا المضمار . ولذلك نجد ان اكثر الدول الافريقية تتعامل مع اسرائيل وتربطها بها علاقات صداقة .

سابعاً : ما زال ما تقوم به الدعاية العربية هزيلاً وضئيلاً . ولست اعتقد ان العرب قادرون على ان يكسبوا معركة الدعاية للاسباب الآنفة الذكر . فأكثر شعوب العالم تعتبر اسرائيل دولة قائمة ولا يختلف الاتحاد السوفياتي مع الولايات المتحدة في هذا الموضوع .

نسوق هـذا كله لنصل الى حقيقة واضحة . هذه الحقيقة هي ان معركة فلسطين ليست معركة دعاية ، فإذا ما أصرت بعض الجهات على انهـا معركة دعاية كانت اما مخطئة في التقدير او متآمرة تريد ان تحول الانظـار عن الميدان الحقيقي لتحرير فلسطين . وهو الاعداد لمعركة سريعة مسلحة .

وخلال هذا الاعداد لا بد من الافادة إفادة تامة من تناقضات الوضع العالمي ، واهم هذه التناقضات اثنان :

الاول : الصراع بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي وهـو صراع تقدمي ، يخدم قضية الحرية والسلام ، وقـد اخترنا ان نكون طرفاً في هـذا الصراع منذ اخترنا طريق مقاومة الاستعمار وطريق بناء الاشتراكية . وسيزداد دعم المعسكر الاشتراكي لنـا بمقدار حـدة مقاومتنا للاستعمار واتجاهنا نحو

الاشتراكية . وعندما تصبح قضية دولة الصهاينة هي قضية التحرر من الاستغلال فعلاً في الوطن العربي لن يتردد المعسكر الاشتراكي في تأييدنا . ويجب ان نعمل على كسب المعسكر الاشتراكي لئلا نقف وحيدين كما وقفنا سنة ١٩٤٨ ، ونحن لن نستطيع أن نقنع المعسكر الاشتراكي بموقفنا ازاء دولة الصهاينة ما دمنا نقيم حلفاً رجعياً من اجل القضاء عليها . ولن يستطيع احرار العالم ان يفهموا كيف يكون الحلف الذي يجمع الحسن والحسين حِلْفاً تقدمياً ، ولعل القضاء على هذه الأشكال من الحكم الرجعي هو الخطوة الأولى اللازمة لاقناع أحرار العالم بأن حربنا مع دولة الصهاينة حرب تقدمية .

ولقد بدأت الصين الشعبية تتجه اتجاهاً جديداً . ويحتاج هذا الاتجاه الى كثير من الاهتمام والرعاية وهو ينمو ويزداد فعالية كلما اصبحت السياسة العربية اكثر ثورية واكثر انسجاماً مع مصالح الشعوب المناضلة من أجل التحرر والتقدم والسلام . ويلفت موقف الصين النظر الى كثير من الحقائق لعل اكثرها أهمية كونه موقفاً اتخذته الصين دون ان يكون للسياسة العربية المتحررة اثر ؛ وسيكون مُضحكاً لو قارنا موقف الصين من قضية فلسطين بموقف دولة عربية كالأردن من الصين الشعبية . ففي الوقت الذي تقف فيه الحكومة العميلة للاستعمار في الأردن مع الحكومة العميلة في فرموزا تقف حكومة الصين الثورية مع العرب ضد اسرائيل .

ان الاستفادة من الصراع بين المعسكرين يجب ان تكون هدفاً من أهداف الاستراتيجية العربية العاملة من أجل تحرير الوطن العربي واستعادة فلسطين .

الثاني : الصراع داخل المعسكر الرأسمالي . ان الصراع داخل المعسكر الرأسمالي حتمية تاريخية ، وهو قد يشتد حيناً ويخفت احياناً ، ولكن عوامله موجودة في طبيعة النظام الرأسمالي نفسه . ولا يهمنا شكل هذا الصراع في المستقبل البعيد او التسويات التي ستدخل عليه بل يهمنا أنه الآن موجود . وقد أعلن عن نفسه بتمرد ديغول على الولايات المتحدة ، ومحاولته خلق كتلة اقتصادية سياسية اوروبية . ومثل هذا الصراع هام جداً ومفيد جداً

لسببين هما :

١ — كون المعسكر الرأسمالي هو السند الرئيسي للصهيونية .

٢ — المصالح الاقتصادية التي تربط هذا المعسكر بوطننا .

فاذا ما عرفنا كيف نستفيد من هذا الصراع في كسب بعض دول هذا المعسكر ، حققنا كسباً كبيراً . ويجب أن تفهم الدول الاستعمارية أنها معرضة لمقاطعة اقتصادية اذا ما استمرت في دعمها لاسرائيل ... واذا كان من المؤكد أنها لن تستجيب فلنبادر الى مقاطعتها كلياً أو جزئياً حسب الحاجة . فنحن مثلاً نستطيع منع الاستيراد من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا دون ان نمنع تصدير النفط . فاذا ابدت أي من هذه الدول استعدادها للتعاون ، سمح بالاستيراد منها دون الأخريات .

أما اذا حدّت دولة من تعاونها مع اسرائيل فيجري التعاون معها في الحدود التي فرضتها على نفسها في تعاملها مع اسرائيل .

ان مقدار الدعم وكمية التبادل التجاري مع اسرائيل هي التي يجب ان تكون الاساس الذي ننطلق منه في تحديد علاقاتنا مع الدول الاستعمارية .

ولكي يكون موقفنا قوياً، لا بد من أن يكون اقوى سلاح نملكه في ايدينا، وهذا السلاح هو النفط . ولكي يصبح هذا السلاح في ايدينا لا بد من ان تتحرر البلدان المنتجة للنفط من الرجعية والاستعمار .

المعسكر الرأسمالي مكون تكويناً مصلحياً ، وهو لذلك لا يفهم الا لغة المصالح . وعندما نكون قادرين على الاستفادة من ثرواتنا ومواقعنا الهامة نكون قادرين على السير في طريق فلسطين .

٢ — قضية تحرير الجزائر وقضية تحرير فلسطين

تكاد اسطورة تحرر الجزائر أن تدفع بقضية تحرير فلسطين الى الهاوية . ذلك ان الظفر البطولي لثورة الجزائر جعل بعض ابناء فلسطين وبعض احرار

العرب(*) يتوهمون ان سلوك نفس الطريق يؤدي الى نفس النتيجة ، وفات هؤلاء اختلاف الظروف اختلافاً كبيراً يجعل المعركة غير المعركة . ولا بد لنا من ايضاح جوانب الاختلاف لنكون قادرين على كشف الالتباس الذي تحدثه المقارنة غير الواعية ، والخطورة التي تنتج عن مثل هذا الالتباس .

أولاً : ميدان المعركة — عندما قامت ثورة الجزائر كانت الجزائر مستعمرة فرنسية ، تخضع لجيش فرنسي غاصب وادارة فرنسية استعمارية واستغلال فئة من المستعمرين . وكان الاستعمار قد استعدى كل فئات الشعب عليه ولم تبق له من صلة بالجزائر غير جنوده ومعمريه وادارته الاستعمارية ، كان هناك عشرة ملايين انسان من المذلين المهانين المحرومين المضطهدين يواجهون استعماراً رهيباً .

أما فلسطين اليوم فهي ثلاثة اقسام . الأول : هو الأرض المحتلة ولا يزيد سكانها العرب عن عشر مجموع السكان ويقيم اكثرهم في منطقة الجليل والناصرة ويعيشون في ظروف صعبة جداً تشلهم وتجعلهم غير قادرين على الحركة . الثاني : هو بقية فلسطين الباقية غرب الاردن التي تحتلها قوات البادية والمرتزقة من جيش ما يسمى المملكة الاردنية الهاشمية وتعيش في ظروف عسيرة تجعل محاولات التنظيم والتدريب والتسليح عسيرة جداً . الثالث : غزة ، وهي تخضع للادارة العربية ، وقد تحدثنا عن أوضاعها في باب سابق . لقد تجزأت هنا الأرض واختلفت الادارات واختلفت مع الادارات والتوزيع السكاني عوامل الضعف والقوة . واذا كان الكفاح ضد سلطة مستعمرة غاشمة ممكناً كما حدث في الجزائر فان مقاومة سلطة عربية وطنية كما هي الحال في غزة عملية فائقة الصعوبة . ثم ان الحواجز القائمة بين المقيمين في غزة وفلسطين المحتلة والاردن والمهاجر الأخرى تجعل الاتصال عسيراً وتحد بالتالي من امكانية قيام تنظيم موحد قادر على الحركة السريعة الفعالة .

ثانياً : طبيعة المعركة — كانت المعركة في الجزائر استقلالية .. كانت صراعاً

---

* — كشف الاستاذ وليد الخالدي ، الفرق بين قضية فلسطين وقضية الجزائر في كتابه فلسطين ومنطق السيادات .

بـين جماهير شعب مضطهد وجيوش استعمار غاصب، ولكن المعركة في فلسطين ليست معركة استقلال . انهـا معركة استئصال دولة تعترف بها الأمم المتحدة ويؤيدها الرأي العام العالمي وتدعمها الدول الرأسماليـــة الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة . ولقـد كانت بريطانيا والولايات المتحدة على استعداد للقبول باستقلال الجزائر ولكنهما ليستا على استعداد للقبول بالقضاء على دولة الصهاينة . ان كفاح الجزائر من اجل الاستقلال يمكن مقارنته بكفاح ابنـاء فلسطين قبل سنة ١٩٤٧ ، مع ملاحظة الفوارق الهائلة في موازين السياسة العالميـــة والقوى السياسية العالمية . أمـا بعد سنة ١٩٤٨ فقد تغيرت طبيعة الوضع في فلسطين . وكان يمكن ان تصبح قضية الجزائر مثل قضية فلسطين لو استطاع المعمرون ان يقيموا دولة في الشاطىء الجزائري تعترف بهـــا الأمم المتحدة وتدعمها الدول الكبرى. لو حدث مثل هذا هل كان يستطيع شعب الجزائر وحده ان يستأصل الدولة الجديدة لاسيما اذا كان في وضع مثل الذي فيه أبناء فلسطين ؟.. والجدير بالذكر ان كل القوى العالمية التي دعمت شعب الجزائر في كفاحه ، لا تدعم شعب فلسطين ، بل ان كثيراً منها لا يؤيد القضاء على دولة الصهاينة حتى الآن .

ثالثاً : عندما انطلقت ثورة الجزائر كانت الثورة تعم تونس والمغرب . وحين أجهضت ثورتا تونس والمغرب ظلت ثورة الجزائر تقف وحدها ولكنها وجدت في تونس والمغرب تأييداً واستطاعت ان تقيم المعسكرات وان تحشد الجيوش . وهـــذا لن يكون ممكناً بالنسبة لفلسطين لأسباب سياسية يعرفهـا كل المهتمين بالشؤون السياسية . ولا توجد حتى الآن الدولة العربية ، من الدول المجاورةلدولة الصهاينـــة ، المستعدة للموافقة على نشوء جيش فلسطيني غير تابـــع لها وملتزم بسياستها .

رابعـاً : مسألة القوى — كان شعب الجزائر يستطيع عن طريـــق حرب العصابات ان يشل الجيش الفرنسي الكبير ، ذلك ان مساحة الجزائر ٨٥٢و٦٠٠ ميل مربـع، تكثر فيها الجبال والأدغال والمناطق التي لا طرق معبدة فيها وهذا يجعل تنقل الجيوش عسيراً ، ويفسح المجـال لحرب عصابات ناجحة . أمـــا في

فلسطين فأكثر الأرض المحتلة سهلي مأهول بالمستعمرات المحصنة وتربط انحاءها شبكة مواصلات واسعة تجعل تحرك الجيوش سهلاً وتجعل مهمة الفدائيين صعبة .

خامساً : عندما انطلقت ثورة الجزائر كانت تنظيماتها العاملة على أرض الجزائر . أما فلسطين فلا بد من ان تنشأ تنظيمات ثورتها خارج الأرض المحتلة . لكون العرب قلة في الأرض المحتلة ولصعوبة أوضاعهم . وقيام تنظيمات الثورة خارج حدود دولة الصهاينة، يجعل أي عمل تقوم به، عملية غزو مسلح ستجابهها الدولة الغاصبة بعملية عسكرية حاسمة تستهدف البلدان العربية المجاورة .

سادساً : قام بالثورة في الجزائر مناضلون مرتبطون بشعبهم هجروا المدينة وزيفها وعادوا إلى أحضان الجماهير . ودعاة الثورة في فلسطين ثرثارون برجوازيون يفضلون مقاهي بيروت ودمشق وغزة على رمال الأرض المغتصبة وجبال البقية الباقية من فلسطين غربي الأردن . انهم ينظمون انفسهم في غزة ولبنان والكويت ويصدرون آلاف المنشورات دون أن يذكروا مرة واحدة اين ميدان المعركة ودون ان يكشفوا حدودها وأهدافها . ولست ضد التنظيم أينما كان ، ولكني ضد التنظيمات الهاشمية التي تدعي لنفسها صفة القيادة .

سابعاً : كان ما قدمته الدول العربية من دعم للجزائر هزيلاً، ولقد انتصرت ثورة الجزائر لأن أوضاعها جعلت هذا المقدار الضئيل من الدعم كافياً ولكن معركة فلسطين لا يفيد الدعم فيها حتى ولو كان كبيراً . ذلك ان المطلوب هو استئصال الدولة الغاصبة وليس بث الرعب والتخريب داخل حدودها . وليس بإمكان شعب فلسطين المشرد المجزأ المضطهد ان يجند القوى الكافية لسحق دولة الصهاينة التي يحميها ثلاثمائة ألف جندي من المدربين تدريباً حسناً والمسلحين تسليحاً حسناً .

ثامناً : لقد ثارت الجزائر فأيدها المتحررون وتظاهر بتأييدها العملاء والخونة ولكن الثورة في فلسطين — اي جزء منها — لن يؤيدها المتحررون حالياً لأنهم ليسوا في وضع يسمح لهم بتحمل النتائج التي تسفر عنها ، ولن يؤيدها الخونة والعملاء لأنها ثورة تستهدفهم .

تاسعاً : اتخذت معركة الجزائر طابعاً اقليمياً ، وما زال هذا الطابع ملازماً للثورة . وهي لذلك توقف النضال الثوري على حدود الجزائر التقليدية وتحترم الحدود التي صنعها الاستعمار . وان طبيعة الثورة الاقليمية في الجزائر هي التي تجعلها تطالب ابناء فلسطين بنضال اقليمي ، مع ان اي نضال اقليمي غير ممكن في فلسطين . كانت الجزائر تستطيع ان تتحرر دون الاصطدام بتونس والمغرب وبحكومتيهما الرجعيتين ، ولكن العمل الثوري من اجل تحرير فلسطين لا بد من أن يصطدم بحكومة الاردن مثلاً ..

عاشراً : وتحاول ثورة الجزائر ان تجعل من تجربتها نموذجاً للنضال في فلسطين ، وهي تجربة محدودة ومرتبطة بظروف معينة ولن تجعلها بطولتها قادرة على تجاوز حدودها التاريخية ، كما ان بطولتها لا يجوز ان تجرنا الى مقارنة غير منطقية .

ليس وضع فلسطين كوضع الجزائر وليست معركة فلسطين كمعركة الجزائر ولا تجوز المقارنة بينها . أما اذا كان المقصود من المقارنة مطالبة شعب فلسطين بأن يناضل النضال البطولي الذي ناضله شعب الجزائر فإننا لا نرى حاجة للمقارنة بين المعركتين . ان المطلوب من عرب فلسطين هو أن يناضلوا نضالاً بطولياً ليصححوا السياسة العربية ازاء فلسطين قبل ان تبدأ معركة فلسطين الحاسمة ، ذلك أنهم لن يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً من أجل فلسطين قبل تحرير المنطقة المجاورة للأرض المغتصبة على الاقل . واذا كان هنالك من يريد ان يجعل قضية فلسطين مثل قضية الجزائر فإنما هو يجهل او يتجاهل الظروف الموضوعية للمعركتين .

٣ – التيارات السياسية وأثرها في تحرير فلسطين

ان التعقيد الذي تعيشه قضية فلسطين نتيجة المؤامرات المحلية والدولية ينعكس في نفسيات ابناء فلسطين فيظهر في تيارات سياسية تحمل أخطاء السياسة العربية ونقائصها، ويمكن التعرف على ملامح اتجاهين في هذه التيارات:

الأول منها اقليمي والثاني : عربي .

ويمكن تحديد خصائص الاتجاه الاقليمي بما يلي :

أولاً : انه اتجاه انفعالي .

ثانياً : انه اتجاه لا يرفض فكرة الوحدة العربية قولاً ، ولا يقاومها ولكنه يناقضها سلوكاً .

ثالثاً : انه اتجاه لا يعي بالضبط ظروف قضية فلسطين وبالتالي لا يعي طريقة العمل السليمة .

قضية هـــذا الاتجاه هي الكيان الفلسطيني واسطورته هي تحرر الجزائر . ان دعاة هذا الاتجاه من الذين لا يريدون ربط قضية فلسطين بنضال الوحدة ؛ لا لأنهم لا يؤمنون بأن الوحدة هي طريق تحرير فلسطين بل لأنهم يريدون عودة أسرع من الوحدة ما دام العرب مشغولين بنزاعاتهم وما دام تحقيق الوحدة امراً ليس في قدرة عيونهم الزائغة ان تراه . وقد ساعد على نمو هذا الاتجاه عاملان :

١ – زيادة الصراع في الوطن العربي بين الدول العربيـــة المتحررة والدول العربية الرجعية منذ معركة حلف بغداد .

٢ – انتصار الثورة الجزائرية التي اعتمدت على كفـــاح الشعب العربي في الجزائر أولاً ومساندة الشعب العربي لهم ثانياً . وزاد من التعلق بهـــذا الاتجاه تبني الرئيس احمد بن بلله، ودعوة الرئيس جمال عبد الناصر ابناء فلسطين لتنظيم انفسهم والعمل من أجل قضيتهم .

ويبرر هذا الاتجاه ضرورة قيام الكيان الفلسطيني بما يلي :

أولاً : احياء لوجود فلسطين .

ثانياً : حتى لا تجد الدول الأجنبية مبرراً لدخول الحرب بجانب اسرائيـل اذا ما وقعت الحرب .

ثالثاً : لانشغال الدول العربية بقضاياها ونزاعاتها ، ولأن ابناء فلسطين هم الوحيدون القادرون على تحرير أرضهم .

وهذه المبررات تقوم على افتراضات غير منطقية للأسباب التالية :

١ – ان المعركة مع الدولة الغاصبة هي معركة مع الاستعمار والصهيونية، وسيقف الاستعمار الى جانب اسرائيل ، أكان المحاربون من فلسطين أو من الجزائر . ولقد كان ابناء فلسطين يناضلون وحدهم منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٧ ولم يقف الرأي العام العالمي معهم بل وقف مع الصهاينة ولم تقف الدول الاستعمارية حيادية بل وقفت مع الصهاينة أيضاً. وما حدث في الماضي سيحدث في المستقبل لأن معركة دولة الصهاينة هي معركة الصهيونية والاستعمار .

٢ – ان تجميع ابناء فلسطين في كيان لا يجعلهم قادرين على مواجهة الدولة الغازية ، لأنها قائمة على أساس تعبوي لا يستطيع ابناء فلسطين ان يلحقوا به حتى على المدى البعيد ، كما أنهم لا يستطيعون امتلاك الاسلحة التي تمتلكها دولة الصهاينة لعدم توفر الامكانيات المادية لديهم . لقد وجد الصهاينة ثروة الصهيونية العالمية ومساعدات الولايات المتحدة وتعويضات المانيا الاتحادية فمن أين تأتي لعرب فلسطين ثروة مماثلة ؟

٣ – ليس هنالك امكانية لقيام « الكيان الفلسطيني » الذي يتحدث عنه ادعياء الثورة والنضال من « احرار العرب » نتيجة ظروف يعيشها الشعب العربي في جميع اقطاره ؛ ولعل خير برهان على ذلك ما تمخضت عنه اجتماعات مؤتمر القمة العربي الأول . وقد تحدثت عن هذه الناحية في اكثر من مجال .

٤ – ان الصراع القائم في الوطن العربي على مختلف اشكاله صراع له اسبابه. وهو ذو طبيعة تقدمية ولا بد من أن يتمخض عن القوة الثورية القادرة على خوض معركة التحرير من المحيط الى الخليج .

٥ – ولن يكون هنالك أمل بتحرير فلسطين قبل وجود هذه القوةالثورية. لأن هذه القوة الثورية العربية هي وحدها القادرة على مواجهة الاستعمار والصهيونية بتعبئة جماهير شعبنا وحشد كل امكانياته للمعركة الحاسمة . أما المصالحات والمساومات فهي عاجزة عن حماية ما تبقى من ارضنا فضلاً عن استعادةما فقدناه،وليس ضرورياً أن تنتظر هذه القوة حتى تنتهي معركة الحرية والاشتراكية والوحدة لتبدأ معركة تحرير فلسطين . فلقد تبدأ هذه المعركة

حين يتوافر لها الحد الادنى من الامكانيات وهو وحـدة المنطقة المجاورة للأرض المحتلة وتعبئة القوى العربية تعبئة تامة في الجزء المحرر من الوطن العربي .

هنالك مقابل هذا الاتجاه الاتجاه « العربي »، وهو اتجاه ليس فيه من العروبة الا الاتكال . وقد سميته العربي لا لانه يحمل ملامح حل عربي لقضية فلسطين بل لأن دعاته ينتظرون الخلاص على يد الجيوش العربية الزاحفة دون ان يعملوا من اجل قضيتهم شيئاً .

واذا كان دعاة الاتجاه الاول سلبيين في اعتقادهم ، انهم وحدهم القادرون على مواجهة اعدائهم، فإن دعاة الاتجاه الثاني سلبيون لانهم لا يعتبرون انفسهم طرفاً في معركة الدفاع عن وجودهم .

يهمني جداً ان أبين ان هذين الاتجاهين الانفعاليين السلبيين ليسا قادرين على مواجهة قضية فلسطين لانهما لا يطرحان القضية طرحاً ثورياً ولا يعيان ظروفها المعقدة وارتباطاتها العربية والعالمية .

ان اتجاهاً لا يطرح شعار تحرير المنطقة المجاورة للمنطقة المحتلة ووحدتها على اعتبار انها الخطوة الاولى لتحرير فلسطين انما هو اتجاه ضال مضلل ، تكون نتيجته الحتمية تمزيق أبناء فلسطين وبلبلة أفكارهم . كما ان الاتجاه الذي يطلب من ابناء فلسطين ان يناموا حتى تهبط عليهم معجزة التحرير هو اتجاه خطر لانه ينمي عوامل الهزيمة والاتكال في صفوف شعبنا .

أما الاتجاه السليم فهو الاتجاه الذي يجعل معركة فلسطين عربية ، أي يجعلها معركة القوى العربية الثورية الاشتراكية . ويساهم ابنـاء فلسطين في تحرير ارضهم بمقدار ما يساهمون في تفجير القوى العربية الثورية الاشتراكية ، وهـذا يعني ان عليهم ان يحددوا موقفاً حاسماً من السياسة العربية ، وهم مطالبون — لانهم افراد من الامة العربية لا لانهم ابناء فلسطين — بأن يكشفوا خطأ السياسة العربيـة وتهافتها وانحرافها ، وان يناضلوا للقضاء على عوامل الخطـأ والتهافت والانحراف . ان عليهم ان يخوضوا معركة الصراع الدامي الدائرة رحـاه على الارض العربية وان يكونوا في اتجاه القوى العربية الثورية الاشتراكية، وبذلك

يكونون على طريق العودة . وهذا ليس واجبهم وحدهم ان كانوا يؤمنون بمعركة المصير العربي الواحد ... انه واجب الطلائع العربية في كل مكان من ارجاء الوطن العربي الكبير .

٤ – قوتنا وقوة اسرائيل

ان عملية تقدير القوى عملية ضرورية وأساسية . وعلى الرغم من ذلك فهي لا تنال الاهتمام الذي تستحقه على مستوى الفكر والصحافة . ولذلك لا نجد من المقارنات ما يسد الحاجة أو يصح مرجعاً .

وتكتفي جماهيرنا وصحفنا عادة بالحديث عن قوة العرب وشجاعتهم وضعف الصهاينة وجبنهم ، ولكنها لا تبحث عن عوامل الضعف والقوة هنا وهناك . وكانت هزيمة سنة ١٩٤٨ نتيجة لهذا التغافل . كما كان استمرار الهزيمة نتيجة لاستمرار سياسة التمويه والخداع التي انتهجتها الدول العربية خلال الاعوام التي تلت النكبة .

فما هي عوامل ضعفنا وقوتنا ؟

وما هي عوامل ضعف الصهاينة وقوتهم ؟

ان عوامل ضعفنا هي :

أولاً : اننا شعب مجزأ متخلف يرزح تحت نير حكم رجعي ، أو يسير وراء قيادة بورجوازية اصلاحية ، وما زال عاجزاً عن تحرير ارضه من النفوذ الاستعماري وتحقيق خطوات جادة نحو الوحدة . واذا استثنينا ما بنته الثورة في مصر فإن شعبنا ما زال عاجزاً عن تحقيق تقدم يذكر حتى الآن .

ثانياً : اننا شعب ما زال يعاني من آثار الجهل والفردية والتخاذل التي تحكمت به منذ ألف عام تقريباً والتي كانت نتيجة الظلم والاضطهاد والجوع في عهود التأخر والانحطاط .

ثالثاً : ما زال الفكر العربي الثوري القادر على تحريض الجماهير الراكدة وتنظيمها قاصراً . ولعل قصوره هو السبب الأول لتأخر النهضة العربية ولنجاح

المؤامرة الصهيونية سنة ١٩٤٨ .

أما عوامل قوتنا فهي :

أولاً : شعبنا ذو امكانيات بشرية هائلة تزيد على ثمانين مليوناً من البشر .

ثانياً : وتجثم هذه القوة البشرية الهائلة على مدخلي قارتين هامتين هما آسيا وافريقيا .

ثالثاً : وتضم ارضنا ثروات هائلة مائية ومعدنية ويعتبر النفط أهمها الآن لوفرته ورخص انتاجه وحاجة اوروبا إليه .

وتتلخص عوامل ضعف الدولة الغازية فيما يلي :

أولاً : ضآلة طاقاتها البشرية أمام المحيط العربي الزاخر .

ثانياً : ضآلة امكانياتها الاقتصادية أمام امكانيات الوطن العربي الكبيرة .

ثالثاً : ضعف وضعها العسكري لصغر مساحتها وازدحامها بالسكان ، وسهولة تدمير منشآتها وطرقها من البحر والجو والبر .

أما عوامل قوتها فهي :

أولاً : النظام التعبوي الدقيق المتبع فيها والذي يجعلها قادرة على تعبئة ثلاثمائة ألف جندي خلال اربع وعشرين ساعة .

ثانياً : وجودها في مكان وسط من الوطن العربي وصغر مساحتها ووجود شبكة مواصلات شاملة فيها يجعلها قادرة – نتيجة وجود نظام تعبوي دقيق – على توجيه ضربات حاسمة بالسرعة اللازمة ، وفي الجهة التي تريد .

ثالثاً : الدعم المادي والادبي الذي تقدمه الصهيونية العالمية والاستعمار لها .

ولكننا لا نستفيد من مصادر قوتنا . وينتج هذا عن عجز قياداتنا السياسية وتخاذلها. فنحن – حتى في البلدان المتحررة – لا نعبىء قوى شعبنا من اجل الثورة العربية الشاملة والصدام السريع الحاسم مع الاستعمار . ولا نعرف كيف نستخدم مواقعنا الاستراتيجية وثرواتنا في خدمة قضية الثورة وقضية تحرير فلسطين .

ان مقدرتنا على التعبئة تفوق مقدرة عدونا من الناحية العددية اربعين مرة ،

فإذا كان بإمكان الدولة الغازية ان تجند ثلاثماية ألف جندي فيجب ان يكون بامكاننا تجنيد اثني عشر مليوناً . فإذا اخرجنا حـالياً من قائمـة الحساب الدول العربية الرجعية ، كان بامكاننا ان نعبىء نصف هـذا العدد على الأقل . وتفوق امكانياتنا في الحصول على العتاد امكانيات العدو مئات المرات . ذلك ان مورد عدونا الوحيد هو المساعدات والقروض بينما نملك نحن ثرواتنا الهائلة .

وتستطيع الدولة الغازية أن تؤمن خبرات فنية هامة وضرورية لا نملك نحن مثلها ، ولكن تجربة الجمهورية العربية المتحدة أثبتت ان بامكاننا الحصول على الخبرة الفنية من مصادر عدة منها المانيا والاتحاد السوفياتي ، وقـد استطاعت الجمهورية العربية المتحدة بالاستفادة من هذه الخبرة صنـاعة الصواريخ والطائرات النفاثة التي لم تستطع الدولة الغازية ان تصنع مثيلاً لها على الرغم من توافر الخبرة الفنية لديها ، ووجود المتبرعين لخدمتها من علماء أوروبا وأمريكا .

ولعل نقطة ضعفنا ، التي تجعل عدونا قوياً الآن ، هي عدم وجود وحدة تجمع المناطق المحيطة بالأرض المحتلة على الاقل . فعدم وجود وحدة لا يمنح الدولة الغازية امكانيات المناورة الهائلة فحسب ، بـل يمنحها إمكانيات نصر مؤقت تكرسه الأمم المتحدة او مجلس الأمن او الولايات المتحدة بالتدخل الحاسم لوقف القتال وبحث امر الصلح بعدئذ .

ان دولة الصهاينة تعرف حق المعرفـة ان ليس بامكانها الانتصار في معركة طويلة المدى ، ولذلك فهي تعتمد على معركة سريعة حاسمة ، مستفيدة من وضعها الجغرافي ، وإمكانياتها التعبوية ، والتمزق العربي ودعم الدول الاستعمارية لها .

وهي لكي ترفع عن صدرهـا كابوس الرعب الذي يزداد وطـأة كلما ازداد الوعي العربي نضجاً ، تسعى لامتلاك السلاح الذري الرهيب . ويقدر الخـبراء أنها على مسيرة عام او عامين من امتلاكه ... فإذا ملكته اصبح من غير الممكن الدخول في حرب معها حتى لو ملكناه نحن ، لهذا فإن علينا ان نهيىء أنفسنا لمعركة سريعة حاسمة .

٥ – موقف أخلاقي من اليهود

اننا سنحارب دفاعاً عن الانسان ، عن كرامته وحريته ، نحارب لنقضي على جرثومة الخطر . ولهذا يجب ان يكون موقفنا واضحاً للعالم . ونحن عندما ندعو للقضاء على الدولة الغازية لانفعل ذلك انتقاماً من جمهرة اليهود او نتيجة حقد عليهم . اننا نفعل ذلك تدميراً لقاعدة استعمارية . ويجب ان يعرف العالم ان تدمير قاعدة استعمارية لا يعني ارتكاب الفظائع والجرائم . ان ما يهمنا هو «اسرائيل» – «الدولة» وحين سقوط الدولة تنتهي مشكلة الخطر وعندئذ يجب ان يكون واضحاً اننا لن نقذف باليهود في البحر . ان الفكر العربي مطالب منذ الآن بالمساهمة في البحث عن حل لمشكلة اليهود.. وعلى الدول العربية ان تطرح في الامم المتحدة مشروعاً لحل مشكلة اليهود .

لماذا لانطالب شعوب العالم بالبحث عن مكان مناسب يقيم فيه اليهود دون ان يكون ذلك على حساب شعب غيرهم . ولماذا لانطالب هيئة الأمم المتحدة بالمساهمة في تمويل هذاالمشرع .

ويمكن طمأنة الدول المجاورة للدولة اليهودية الجديدة ، بمنع الدولة اليهودية الجديدة من انشاء جيش ، وبحرمان مجرمي الحرب في اسرائيل من ان يكون مواطنين فيها .

ونحن عندما نطرح هذا كله ، لانطرحه خداعاًللرأي العام العالمي او محاولة لكسبه ، بل نطرحه لاننا نعرف ان كثيراً من الاضطرابات في العالم تنتج عن وجود أقليات تعيش أوضاعاً شاذة .

ويجب أن تحل مشاكل الأقليات هذه من أجل استتباب السلم في العالم (*) .

* – « أعتقد ان القضاء على الرأسمالية وقيام عالم اشتراكي يجعل حل مشكلة اليهود خاصة والقوميات والأقليات عامة ممكناً . فالاوضاع الحالية مسؤولة عن خلق هذه المشاكل وتعقيدها» .

المسيرة إلى فلسطين

من أين تبدأ المسيرة الى فلسطين
وكيف تبدأ ؟

بالاجابة على هذين السؤالين نطرح الفكرة ومشروع العمل . ونقطة البدء بالطبع هي قيام تنظيم ثوري، يجمع طلائع عرب فلسطين ، ولا بد من أن تتوافر في هذا التنظيم الخصائص التالية :

أولاً : الناحية المبدئية

أ – معركة فلسطين عربية فهي جزء من معركة التحرر العربي ، وهي في حقيقتها صراع مع الرأسمالية العالمية وربيبتها الصهيونية .

ب – معركة فلسطين ثورية ولذلك فهي تقتضي تنظيم قوى الشعب كلها واعداد الجماهير اعداد واعياً شاملاً ثورياً ، قادراً على مجابهة الاحتمالات الكثيرة .

ج – معركة فلسطين تقدمية ، ولذلك فقيام حكم مؤمن بالشعب يعتمد على الجماهير اعتماداً كلياً ، وينبثق من تطلعاتها للحياة والحرية أمر ضروري ولازم .

د – ومعركة فلسطين مصيرية ، ولذلك فيجب أن يكون الاستعداد بمستوى خطورتها ، وأن يكون سريعاً واعياً لقيمة الزمن .

ثانياً – من الناحية التنظيمية

أ – قيام حركة عربية ثورية في فلسطين المحتلة ، وفي الضفة الغربية وغزة

والمخيمات والمهاجر .

ب – أهداف الحركة المرحلية هي :

١ – تحرير الاردن من الطغمة الرجعية عميلة الاستعمار .

٢ – حشد القوى الشعبية كلها في الضفة الغربية وغزة والمخيمات والمهاجر ، حشداً ثورياً واعياً واعدادها لليوم الحاسم بالسرعة اللازمة المنسجمة مع متطلبات المرحلة التاريخية .

٣ – الزام الدول العربية المتحررة بخطط موحد من اجل فلسطين ، يستهدف :

أ – فتح معسكرات التدريب في الدول العربية المتحررة لابناء فلسطين الراغبين فيه .

ب – تدريب القادرين على التدريب من ابناء فلسطين الموجودين في الدول العربية المتحررة .

ج – اعتبار غزة منطقة محررة وانشاء اذاعة ومراكز حكومة مؤقتة فيها واعلان انضمامها قطراً باسم فلسطين الى الجمهورية العربية المتحدة [١] .

قيام الحركة الثورية في فلسطين

ان قيام الحركة الثورية في فلسطين يجب أن يستهدف أهدافاً ثلاثة :

الأول : استعادة وحدة فلسطين بالثورة ورفض الاغتصاب الصهيوني رفضاً ثورياً ، بعد أن كان الرفض سلبياً منذ سنة ١٩٤٨ . وان قيام تنظيم موحد في الارض المغتصبة والضفة الغربية وغزة والمخيمات والمهاجر هو خير تعبير عن هذه الوحدة ، وخير اعلان عن هذا الرفض .

الثاني : حشد الجماهير ، التي شردت ، في حركة ثورية وتفجير قواها تفجيراً يخدم قضيتها .

الثالث : وضع معركة فلسطين في مكانها منخطة التحرر العربي، والاستفادة

---

١ – تمت الوحدة أو لم تتم في المرحلة الحالية .

من فعاليات عرب فلسطين استفادة كاملة في هذه المعركة .

وبهذا .. بهذا فقط نزيـــد التجربة العربية غنىً بزيادة جماهيرها المناضلة ، وبتعميق وعي قسم منها هو عرب فلسطين .

وبهذا .. بهذا فقط نقضي على النزعات السلبية ذات الطابع الاقليمي السلبي ، أو القومي السلبي التي كشفناها فيما مضى .

ان قيام حركة ثورية ، تنظم صفوف عرب فلسطين ، وتُفجر طاقاتهم ، أمر ضروري ولازم لتحرير فلسطين ، الا أن هذا التنظيم يجب أن يظل واعياً حدود معركته ، مدركاً بأنها معركة وحدة وتحرر قبل كل شيء .

مخطط عربي موحد

ان معركة تحرير فلسطين معركة ثورية تقدمية ولذلـــك يجب ألا يعول على الدول العربية الرجعية في أمر من أمورها حتى ولو كان تصويتاً في هيئة الأمم .

وعليه فالمسؤولية تقع على الدول العربيــة المتحررة ، وعلى هـــذه الدول والدول التي ستتحرر أن تعمل من أجل ما يلي :

أولاً : تحقيق أهداف حركة فلسطين الثورية .

ثانياً : تحقيق وحدة ثورية بين الاقطار المتحررة .

ثالثاً : العمل بحزم وسرعة من أجـــل تحرير المناطق المحاذيـــة لاسرائيل وتوحيدها ، لكي يكون ممكناً بدء معركة حاسمة مع الصهيونية .

رابعاً : اعـــداد الجماهير في الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريـــة والجزائر واليمن اعداداً عسكرياً واعياً شاملاً ورصد كل الامكانيات الماديـــة والمعنوية لتحقيق هذه الغاية .

خامساً : زيادة كفاءة التسليح في الجيوش العربية زيادة تتفق مع متطلبات المعركة الحاسمة ، والحصول على السلاح الذري بعد أن بات مؤكداً بأن اسرائيل في سبيل امتلاكه .

ان الاستعداد حتى الآن ما زال دون المستوى المطلوب ، ذلك أن النضال من أجل الوحدة ما زال يتعثر ، كما أن النضال من أجل تحرير الأردن مـــا زال غير جدي ... كما أن الاستعدادات في الدول العربية المتحررة ما زالت بدائية . فليس كافياً ان يحشد مائة أو مائتا ألف جندي على بعد من الحدود .

ان الاستعداد الجدي يقتضي ما يلي :

أولاً : مصادرة وسائل الانتاج كلها ونقل ملكيتها وادارتها الى جماهير الشعب ، وتوجيه الانتاج وجهة تتفق مع متطلبات المعركة مع الاستعمار والصهيونية .

ثانياً : انتهاج سياسة واعية في رفع معنويات الجماهير .

ثالثاً : تدريب كل المواطنين في الدول العربية المتحررة خلال عام واحد .

رابعاً : العمل على انهاء الوضع الرجعي في الأردن في أقرب وقت ممكن .

خامساً : تأمين الحدود العربية الاسرائيلية عسكرياً بحشد القوى العسكرية القادرة على حمايتها .

سادساً : التخلص من البوليس الدولي .

سابعاً : رفض تدخل الأمم المتحدة لثبوت انسياقها مع الصهيونية ورفض مشاريعها واعتبار كل ما حدث بعد سنة ١٩١٧ غير شرعي .

ويجب ان تعي القوى التقدمية العربية وعياً جاداً مشكلة الزمن ، اذ أن الانشغال بأية قضية أخرى يجب ألا يحول بين الجماهير العربية واستعدادها السريع لليوم الحاسم .

كما ان الخطوة الهامة الأولى بعد قيام «التنظيم الثوري» تنظيم عرب فلسطين، يجب ان يكون تحرير عمّان من الحكم الرجعي العميل، ويجب ان تحشد كل القوى العربية لخوض هذه المعركة الحاسمة ، التي لن تبدأ المسيرة الى فلسطين قبل الانتصار فيها .

اهداف المخطط العربي

تنبع أهداف المخطط العربي من الوعي الموضوعي لقضية فلسطين وحدودها، فهي معركة عربية لإنها جزء من معركة العرب مع الاستعمار . ولذلك ، ولقوة الاستعمار وانتشار معاقله على الأرض العربية من الدار البيضاء الى بنزرت ومن عدن الى البحرين ، تقتضي المعركة استعداداً عربياً شاملاً كاملاً لتدمير معاقل الاستعمار ومعاقل عملائه في الأرض العربية ولمواجهة تدخله اذا ما تدخل ..

وهي معركة تقدمية لأنها معركة مع الاستعمار العالمي وحلفائه من الرجعيين ، رأسماليين واقطاعيين . ولهذا فهي معركة مع الاستغلال والاذلال ، مع السيطرة الاجنبية والاستغلال الداخلي. وهي لهذا تقتضي محاربة الجندي الأجنبي الغاصب والرجعي – اقطاعياً ورأسمالياً – الذي يرتبط بقاؤه ببقاء الغاصب . ان معنى تقدميتها ينبثق من رفض طلائع الثورة العربية للاستعمار والاستغلال وايمانها بحق الأمم، كل الأمم، في تقرير مصيرها وحق الشعوب كل الشعوب في ان تحكم نفسها بنفسها . وهي معركة ثورية ، لانها تقتضي الوثبة لا التدرج ، وتتطلب حشد كل الامكانيات حشداً واعياً مسؤولاً، ولأنها بقضائها على سيطرة الاقطاعي والرأسمالي والمستعمر تفسح المجال أمام الشعب ليحكم نفسه عن طريق مجالسه الثورية . وهي معركة مصيرية ، لأن مصير العرب مرهون بها ... فاليهودي الذي حرق الجسور كلها – أمامه ووراءه، يميناً ويساراً – مستعد ان يفعل فعل شمشون الجبار ، اذا لم يقتله العرب قبل أن ينمو شعر رأسه[1] .

ولأنها معركة مصيرية يجب ان تصادر كل وسائل الانتاج وتنقل ملكيتها وادارتها الى الجماهير الكادحة ، لأنها أقدر على تحقيق التقدم السريع من الملكية الفردية والعمل الفردي الخاضع للمصلحة والأهواء ، ولأن تحقيق الملكية العامة لوسائل الإنتاج والادارة الاشتراكية لها يضع أساس مجتمع متكامل متماسك متحرر من الجوع والضعف والتسكع ، ذي فعاليات ناشطة خالقة. وببدء العمل الاشتراكي يكون ممكناً رفع معنويات الجماهير ، ذلك ان الجماهير الممزقة الجائعة المهانة اضعف من ان تجابه تحدياً مصيرياً . ومع ان بدء العمل الاشتراكي لن يقضي على الجوع بالسرعة التي تقتضيها المعركة الا أن شعور الجماهير بأنها متحررة من مستغليها ومستعمريها يجعلها ذات قوى هائلة لا تحد . ولكي تستطيع ثقة الشعب بنفسه ان تنمو لا بد من ان يقتلع ما يهددها من خدر وانحلال وعبث...

---

١ – شمشون الجبار بطل يهودي أسره الفلسطينيون بعد ان احتالوا عليه وحلقوا شعر رأسه الذي تكمن قوته فيه .. ولكنه بعد ان نما شعر رأسه استعاد قوته فانتقم منهم بأن هدم بنياناً كانوا يحتفلون بفرح فيه قائلا : « علي وعلى أعدائي يا رب » وقد هلكوا جميعاً وهلك معهم .

منبثقاً من اوكار الرذيلة والضياع والخمول . فهناك قيم منحرفة يجب ان تحارب كالفردية السلبية المتمثلة في الركض وراء المصالح ، والاجتماعية السلبية المتمثلة في العمل الفردي والابتعاد عن العمل الجماعي والسياسي منه خاصة . ان في الامثال الشعبية مثل « ألعب وحدك تجي راضي » و « ما حك جلدك مثل ظفرك » ، و «جانب السلطان واحذر بطشه » دلالات اجتماعية تبرز الروح الفردية السلبية . وهذه الروح عندما تصطدم بالواقع تؤدي الى اللامبالاة والانحلال والضياع ، وتدفع الافراد الى بيوت الخدر والانحلال والخمول ، وتقود الى تقاليد شعبية قاتلة . ان زوال الواقع الاقتصادي الاجتماعي مُوجد هذه القيم ، وراعي هذه التقاليد ضروري لزوال هذه القيم والتقاليد ذاتها ، ولإطلاق القوى الشعبية من عقالها ورد كرامة الانسان وفعاليته اليه ، وجعله قادراً على مواجهة التحديات المصيرية . ويجب ألا يفهم من هذا ان زوال اسرائيل والمعركة معها مرهونان بالقضاء النهائي على هذه الروح ، فالقضاء النهائي عليها يحتاج الى جيل او جيلين ، وسنكون أغبياء اذا انتظرنا نتيجة المعركة مع السلبية لنبدأ معركتنا مع الصهيونية . ان ضرب الفردية بالغاء مؤسساتها (الملكية الفردية ، العمل الفردي ، الحكم الاستغلالي) هو الخطوة الأولى التي تجعل مواجهة الصهيونية ممكنة وفعّالة .

الا أننا ونحن نطرح هذه البديهيات المبدئية ، يجب ألا ننسى الاجراءات المرحلية التي يجب اتخاذها، ومن هذه الاجراءات تدريب كل المواطنين – رجالاً ونساءً – الذين يستطيعون حمل السلاح حتى يكون الشعب مستعداً لليوم الحاسم وحتى لا تأخذه الدولة الغازية بهجوم مفاجىء . ولكي يكون الاستعداد فعالاً لا بد من ان يحشد ربع مليون جندي خلال شهرين على الحدود الاسرائيلية حتى يكون ممكناً مواجهة الهجوم المفاجىء بهجوم مضاد فعال ، ويجب ان تحشد هذه القوات في الحدود السورية اللبنانية المصرية والأردنية إذا كان هذا ممكناً .

ويتطلب وجود هذه القوات ابعاد القوات الدولية ليتيسر لجيش مصر وهو أقوى الجيوش العربية دخول المعركة دخولاً حاسماً وسريعاً .

وتكون هـــذه الاجراءات احتياطية ، على أن يتم سريعاً القضاء على الحكم الرجعي في الاردن ليكون ممكناً وضع خطة لاستعادة فلسطين ، ان تحرير الاردن يفتح المجال أمام العرب لضربة سريعة حاسمة ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : اتساع خط الهجوم العربي وأثر ذلك على توزيع قوات العدو .

ثانياً : ان اختراق اسرائيل طولياً – من مصر وسوريا – يجعـــل العمليات العسكرية صعبة وغير حاسمة بينما يكون اختراق اسرائيل عرضاً من الأردن سهلاً ، لطول الحدود ولكون المسافات العرضية قصيرة جداً لا تتجاوز الخمسة عشر كيلومتراً في بعض الاحيان ولقرب القدس وتل أبيب من مجالات الضرب والانطلاق .

ثالثاً : تشكل جبال الضفة الغربية المشرفة على الساحـل المحتل افضل خط هجوم وخط دفاع ، ويكون الانطلاق منها أو التمركز فيها افضل من الزحف في صحراء سيناء أو التمركز في قطاع غزة .

فلتتحد جهود ابناء فلسطين أولاً لتحرير الاردن ، ولتعمل الدول العربيـــة المتحررة بكل ما لديها من قوة لتحقيق هذا الهدف .

اسرائيل وهيئة الأمم المتحدة

يثير بعض الانهزاميين والبسطاء مشكلة تدخل الامم المتحدة في حالة حدوث هجوم عربي مفاجىء على اسرائيل . ويثير آخرون مشكلة تدخل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في حالة حدوث الحرب ؛ ويدفعهم خوفهم من هذا التدخل الى التخوف من نشوب المعركة بين العرب واسرائيل والتقليل من قوة العرب ومقدرتهم على كسب المعركة . ان هؤلاء يجهلون قوة العرب الحقيقية .. قوة جماهيرهم اذا حشدت ، وهؤلاء يجهلون ان التخوف من المعركة لايفيد العرب شيئاً ، بل يفرض عليهم — على المدى البعيد — القبول بالامر الواقع. ان المعركة يجب ان تكون ، وهى تكون في مصلحة العرب كلما كانت اسرع . وهي لن تكون هزيمة اذا جعلنا من كل جماهير شعبنا وحدات مقاتلة .

ان تدخل الامم المتحدة غير وارد اذا اعددنا لمعركة حاسمة سريعة ، أما تدخل الولايات المتحدة فوارد ولكنه لن يكون فعالاً اذا ما استعد شعبنا .. وعلى شعبنا ان يكون مستعداً لمواجهة اي هجوم خارجي مهما كان عنفه .

وسيفشل اي هجوم اذا استعدت جماهير شعبنا استعداداً شاملاً لمواجهته . ذلك ان الخطة الاستعمارية تقوم اليوم على اساس غزو سريع ناجح . وهذا غير ممكن بالنسبة للوطن العربي في حالة استعداد جماهيره .

ويجب ان تقاوم كل محاولة للاعتماد على الامم المتحدة او الاعتماد على كسب الدول الكبرى لاسيما الولايات المتحدة ، ذلك ان في مثل هذه المحاولات اضاعة للوقت والجهد ، وخداعاً للجماهير وخيانة للقضية .. فليس ممكناً عمل شيء في الامم المتحدة غير الصلح ، وليس ممكناً اقناع الولايات المتحدة بغير حل ودي

ترضى عنه اسرائيل .

قضية فلسطين والخلافات العربية

لقد بدأت الهزيمة من الضعف .. من التفكك .. من استسلام الجماهير وتسلط الرجعية ، وتبدأ العودة من القوة .. من الوحدة .. من استنفار الجماهير وحكم الجماهير . وعلى هذا تكون قضية فلسطين قضية التحرر والوحدة ، قضية الثورة الجماهيرية . انها تقدمية بطبيعتها ، وفهمنا لها على هـذا الأساس يجعلنا نعرف الطريق المؤدية اليها . وبمقدار ما ندرك هذه الحقيقة تبدو لأعيننا حقيقة أخرى مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً ، وهي ان الرجعية العربية التي باركت هزيمة سنة ١٩٤٨ لن تكون قادرة اليوم على ان تغير من طبيعة الأمور فتقود الجماهير العربية الى النصر .

ويبدو هذا واضحاً مما يلي :

أولاً : الرجعية والتخلف مظهران لظاهرة واحدة ، وتسلط الرجعية مرتبط مباشرة باستسلام الجماهير . وهكـذا تكون هلهلة الاجهزة الحاكمة جزءاً من ظاهرة التخلف ذاتها . والرجعية اليوم معنية بضمان بقائها فقط ، على حساب وحدة الامة العربية وحريتها . أما الوسائل فمعروفة ... استعمال كل اساليب القمع والارهاب ، شراء الذمم والضمائر ، والوقوف وراء الحراب الاجنبية . ولقد ذكر لنا التاريخ كثيراً من الامراء الذين تعاهدوا مع الصليبيين ايام صلاح الدين ، فلماذا لا يعيد التاريخ نفسه ؟ بلى ، انه ليعيد نفسه .

ثانياً : من مصلحة الرجعية ان تظل الجماهير مستسلمة لانها اذا ما عبئت فلن تكون خطراً على الصهيونية وحدها بل على الرجعية ذاتها . ولقد استحكم العداء بين الرجعية الحاكمة وجماهير الشعب منذ هزيمة سنة ١٩٤٨ ، وما زال هذا العداء يشتد ، فكيف يمكن ان تقود الرجعية المعركة ؟

ثالثاً : ترتبـط الرجعية ارتباطاً مباشراً بالاستعمار الانكلو – امريكي ، والاستعمار الانكلو – امريكي هو خالق اسرائيل ومتعهدها ، فهل تستطيع

حكومـــة الاردن التي تعيش على المساعدات الامريكية ان تعادي الصهيونية ربيبة الولايات المتحدة ؟

رابعاً : اسرائيل دولة حديثة لاتستطيع الاجهزة العشائرية والجيوش الهزيلة التسلح كالجيش الاردني والهزيلة التدريب والتسلح كالجيش السعودي ان تدخلها محتلة .

خامساً : لقد هيأت الرجعية العربية منذ سنة ١٩٤٨ لقيام دولة اسرائيل واعترفت بها رسمياً وما زالت . والا ماذا يمكن ان يعني قبول الهدنة والمطالبة بالتقسيم ؟ !

لهذا كله يجب :

أولاً : أن تعرف الجماهير العربية العلاقة بين الحركة التقدمية وتحرير فلسطين، ذلك ان انتصار الحركة الشعبية ولا سيما في المنطقة المجاورة لفلسطين هو ضمانة تحرير فلسطين لأن الحركة الشعبية يضمن :

أ— المساهمـة الشعبية الفعالة في تحرير فلسطين ، وهي مساهمـــة لايمكن ان تسمح الرجعية العربية بها ، لان تنظيم الجماهير الشعبية وما ينتج عن هـــذا التنظيم من قوة وثقة بالنفس يؤدي الى القضاء على الرجعية ذاتها — كما ذكرنا .

ب — وجود قيادات سياسية وعسكريـــة فعالة وأمينة ، ليست متخاذلة أنانية منحلة خاضعة للاستعمار معادية لجماهير الشعب .

ثانياً : أن تعرف الجماهير العربية ان الرجعية لن تسهم في معركـــة تحرير فلسطين وأن كل محاولات التوفيق والدعوة للوئام ستكون اضاعـــة للوقـــت وتضليلاً للجماهير المنتظرة وشراء لصمتها وصبرها ، في الوقت الذي يعد العدو فيه نفسه إعداداً كافياً لمعركة حاسمة . ولذلك يجب ان تبدأ معركة التحرير من المنطقة المجاورة لفلسطين حتى يكون تحرير فلسطين ممكناً ، ان تحرير عمّان هو بدء الطريق نحو تحرير يافا ..

قد يرى كثير من أبناء شعبنا ان تحرير المنطقة المجاورة لفلسطين بحاجة الى وقت طويل وليس صحيحاً ان ننتظر حتى يتم ، لذلك فتسوية الخلافات امـــر

سهل ولابـــد منه . وربما كان طريق تحرير المنطقة المجاورة لفلسطين طويلاً أو قصيراً ، مع انني اؤمن انه يقصر بمقدار مساهمة الجماهير الشعبية ، الا أنه الطريق الوحيد الذي لا يتم تحرير فلسطين دون سلوكه .

ان ما تطلقه الرجعية من أن الخلافـــات القائمة في الوطن العربي خدمـــة للاستعمار والصهيونية ليس الا محاولة منها تهدف الى ما يلي :

١ — اعتبار القوى التقدمية مسؤولة عن مثل هذه الخلافات والمنازعات والقاء مسؤولية «عدم التفرع» لتحرير فلسطين عليها لاحراجها أمـــام الجماهير وبهذا تطرح الرجعية حجتين محاولة بالأولى أن تستّر على تخاذلها وتآمرها، وبالثانية أن تجعل من التقدم تخريباً .

٢ — تمويه طبيعة الصراع القائم بين التقدم والرجعية واظهارهـــا بمظهر الخلافات الشخصية. فما يهم الرجعية هو ان تضيع هوية النضال الشعبي في بحر من الاضاليل والاكاذيب ، فاذا ما حققت ذلك استطاعت ان تضرب قواعد هذا النضال . ويهم الرجعية ان تجمد «الصراع» لان استمراره يُشرِك أوسع الجماهير به ويجعل الرجعية مهددة في مجرد بقائها . كما يهم الرجعية ألا ينكشف ارتباطها بالاستعمار وخضوعها له .

وليس تباكي الرجعية اليوم الا تباكي ابناء يعقوب عندما عادوا اليه بقميص يوسف ؛ ولن يكون الذين دبروا المؤامرة منقذين ، ولن تقود عقلية الهزيمة الى النصر .

ان الجماهير العربية مستعدة كل الاستعداد للعمل ، وعندمـــا تزول بعض العقبات من طريقها وتبدأ حركتها فستبدأ المسيرة الظافرة الى فلسطين . ولعل ابرز هذه العقبات الآن هي الهدنة مع الرجعية العربية .

فهرست

هـذا الكتاب ...

قضية فلسطين تثير كثيراً من الاسئلة في هذه الايام ، وتنال كثيراً من الاهتمام ، ما عمق هذه الاسئلة ، وما جدية هذا الاهتمام . . . ثم ما هي الملابسات السياسية التي تحيط بالقضية كلها ؟

هذا ما يحاول كتاب « المسيرة الى فلسطين » الاجابة عليه .

منشورات دار الطليعة بيروت

السعر ٤٠٠ ق. ل.
٥٠٠ ق. س.